Edited with the trial version of
Foxit Advanced PDF Editor
To remove this notice, visit:
www.foxitsoftware.com/shopping

النجوم جميلة ... فقط من بعيد

رواية

وجدان سكيني

Edited with the trial version of
Foxit Advanced PDF Editor
To remove this notice, visit:
www.foxitsoftware.com/shopping

إسم الكتاب: النجوم جميلة... فقط من بعيد.
تأليف: وجدان سكيني.
لوحة الغلاف: وجدان سكيني.
التدقيق و التصحيح اللغوي: سكينة هكو ، بدر سكيني.
تصميم الغلاف: نبيل البازي.
رقم الإيداع2017MO2918
الترقيم الدولي: 978-9954-99-057-5

الإهـداء

هذه الرواية إهداء لكل من علمني حرفا أو كلمة أو جملة، إهداء لأساتذتي الذين أحبوني و خصوصا لتلك التي شجعتني على الكتابة، التي قد لا تتذكر اسمي و لكن اسمها سيظل محفورا في ذهني ما حييت.

إهداء لعائلتي التي علمتني بطرق مباشرة و غير مباشرة أسس الحياة، إهداء للكُتاب الذين لطالما أحببت كتبهم و حفظت أسطرهم التي تعلمت منها ما لم أتعلمه في المدارس. إهداء لأصدقائي الذين ساعدوا عقلي على النضوج بنقاشاتهم الحادة و الغنية. أخيرا إهداء للذين يتركون أحلامهم على الرف، دائمي التردد في إخراجها و نفض الغبار عنها و تحقيقها، أهديكم روايتي، حلمي الذي ظل على الرف لأكثر من أربع سنوات، إلى أن قررت تحقيقه مهما كلفني الأمر، فتحقيق الأحلام لا ثمن له.

شكر خاص

سيكون من الجحود أن لا أتقدم بالشكر الجزيل لأخي العزيز بدر الذي ساعدني على تحقيق حلمي، كما لا يمكن أن يفوتني حتى و لو لم تسعفني الكلمات على شكر كل من منال، نبيل، سكينة و فاطمة الزهراء، أصدقائي الأعزاء الذين قدموا لي كل الدعم و شجعوني و ساهموا بطرق مباشرة و غير مباشرة في إخراج هذا العمل الأدبي المتواضع إلى الوجود.

و أخيرا شكر خاص لكل أفراد عائلتي و أصدقائي و كل من خصص بعضا من وقته لقراءة سطور هذه الرواية.

مقدمة المؤلف

هذه الرواية كتبتها مستندتا لقصة حقيقية لشاب طموح، عايش الخطوط العريضة لما جاء ذكره في الأحداث، تمت إضافة بعض الأحداث و الشخصيات و إزالة أخرى لأجل إضفاء بعض الخيال على أحداث الرواية و لسد ثغرات تفاصيل يصعب إدراجها إحتراما لخصوصية الشخصية.

أملي الوحيد أن تلامسكم قصة هذا الشاب و تترك أحداث الرواية - التي كتبت أول سطورها في سن الثامنة عشر و أنهيتها في سن الثانية و العشرين - أثرا فيكم.

" مَرَّ خلالها في لحظة فراغ ذهني، ثم جثا على ركبتيه و أجهش بالبكاء و هو يفكر أن الحياة طردته و الموت رفض استقباله".

الفصل الأول

15يومًا مضت على امتحان التخرج و غدا هو يوم الإعلان عن النتائج، هذه هي الفكرة التي كانت تسيطر على ليل و هو متكئ على سريره و عيناه لا تفارقان المنبه الذي يشير الآن إلى الثانية بعد منتصف الليل.

- لم يبقى سوى 7 ساعات على الموعد المنتظر. (قال ليل متنهدا)

مع حلول الصباح تسللت خيوط من أشعة الشمس و أصوات العصافير إلى غرفة ليل عبر فجوة صغيرة في ستائر نافذة الغرفة.

فتح ليل عينيه ليجد الساعة تشير إلى التاسعة.

- يا إلهي لقد تأخرت. (ليل صارخا)

أخد يتخبط و سط الغرفة بحثا عن ملابسه كمن أصابه الصرع، أخيرا خرج من المنزل بعد أن حيَّى أمه الواقفة في المطبخ ليركب دراجته التي نال من هيكلها الصدأ حصته.

راح يسرع و يسرع و الأفكار تنهال على ذهنه.

(ماذا لو لم أنجح؟ ماذا سأفعل؟ ماذا سأقول لأهلي؟).

ثم فجأة (و حتى لو نجحت، ماذا سأفعل؟ أتظن أنك ستجد عملا بهذه السهولة؟)

ليصرخ حينها:

- لا، لا، لا، لا تفكر في كل هذا الآن، يجب أن تتخرج أولا.

ثم ابتسم بعد أن لمح جزءاً من باب الجامعة.

- أخيرا. (متنهدا)

وضع دراجته أمام باب الجامعة، ثم دخل مسرعا ليرى نتيجة الامتحان، نظر يمينا ثم يسارا لكنه لم يجد شيئا ثم عاد إلى وعيه ليجد أصدقاءه جالسين أمام الباب، لكنه لم يلحظهم عند دخوله، ثم توجه إليهم قائلا:

- ماذا هناك أين النتائج؟

- هاهاهاهاها... هل أنت معتوه؟ أكنت تظن أنهم سيعلنون النتائج في الموعد المحدد؟

- و لما لا؟

- أتظن أنك في اليابان ؟

- و أنا الذي ظننت أنني تأخرت.

جلس بعد ذلك مع أصدقائه يتبادلون أطراف الحديث عن ماذا سيفعلون بعد التخرج. لم يحسوا بالوقت الذي مرَّ بسرعة، فجأة جاء الحارس ليعلق ورقة النتائج و كل الأعين تنظر إليها كأنها حسناء فتنت الجميع بجمالها.

نهض ليل من مكانه بخطوات متثاقلة و قد صنعت عيناه هالة ضوء على الورقة، فصارتا لا تريان ما حولهما إلا ظلاما. أخد يبحث عن اسمه، يبحث و يبحث، لكنه لم يجده، بدت خيبة الأمل ظاهرة على محياه ليسمع صوت صديقه يناديه فجأة:

- تلك ليست ورقتنا يا ليل، هاهي الورقة الخاصة بشعبتنا. (مشيرا

بأصبعه إلى الورقة الثانية)

ليتمم حديثه قائلا:

- لقد نجحنا يا ليل، لقد نجح كلانا بميزة جيدة.

نظر اليه ليل مصعوقا، ثم خرَّ على الأرض باكيا، كانت دموع الفرحة تنهمر على وجنتيه الحمراوتين، فأخيرا و بعد فشله لسنتين متتاليتين استطاع التخرج، ليستجمع قواه بعد دقائق من ذلك و يأخذ دراجته و يعود إلى المنزل. و قبل أن يفتح الباب كان قد قرر أن يخبر أمه أنه لم ينجح ليرى ردَة فعلها، لكنه ما إن دخل حتى خانته عيناه اللتان طغى عليهما بريق الفرح، فانطلقت أمه بالبكاء و الضحك، ثم أطلقت زغاريد الفرحة لتجمع بها كل أهل المنزل.

نزل الجميع من غرفهم متسائلين عن سبب هذه الزغاريد فأجابتهم الأم:

- نجح صغيري، نجح، نجح.

فرح الجميع بنجاح ليل، و بما أنه كان مدلل العائلة، ليس فقط لأنه كان الابن الأصغر بل كذلك لأنه كان الصبي الوحيد وسط بنتين، فلم يكن ممكنا أن تفوت مناسبة نجاحه دون احتفال.

بعد سهرة طويلة أوى إلى فراشه ممسكا شهادة تخرجه و عيناه لا تفارقان الميزة، و هو يفكر أن بميزته هذه لن يكون من الصعب إيجاد عمل يناسبه و بينما الأفكار تنهمر عليه كالمطر الغزير و دون أن يشعر غطت عيناه في نوم عميق.

في صباح اليوم التالي استيقظ ليل، فبعد تصفحه لموقع التوظيف وجد شركة تبحث عن موظف يحمل نفس شهادته، لبس بدلته المخصصة للمناسبات الراقية، أخذ شهادته و أوراق تعريفه و كل ما يلزمه، و غادر المنزل قبل استيقاظ الجميع.

بعد طريق طويل وصل للشركة المنشودة، كانت واجهتها زاهية و بديعة و تظهر لناظرها أن من بداخلها أناس متفوقون و ذوو ذوق رفيع.

بإصرار دخل ليل الشركة و هو واثق أنه بكفاءته و شهادته سينال الوظيفة لا محالة. و بعد أن تجاوز الباب أوقفه عامل الحراسة قائلا:

- ماذا تريد؟

- (أجابه مستغربا) أريد الدخول.

- و لماذا؟

- أود التقدم إلى الوظيفة، فقد وجدت إعلانا على أحد المواقع.

- و أي شهادة تحمل؟

- شهادة عليا في إدارة الأعمال.

- هل لديك كل الأوراق اللازمة؟

لم يجب ليل و ظل صامتا للحظة و هو يفكر، لماذا يسألني عامل الحراسة كل هذه الأسئلة؟ ثم أجابه أخيرا.

- نعم.

- حسنا تفضل، ستجد عند الباب آنسة جميلة ذات شعر أشقر، أعطها أوراقك و اسألها أن تدخلهم للآنسة مروى.

- و من الآنسة مروى؟

- إنها المسؤولة عن التوظيف بهذه الشركة.

- لماذا ألن يراني المدير؟

- هههه، المدير؟ من تظن نفسك يا هذا، افعل فقط كما قلت لك.

ثم فتح الباب قائلا:

- هيا تفضل، ماذا تنتظر؟

كان ليل متسمرا في مكانه و قدماه لا تستطيعان الحراك، فقد بدأ التوتر يتسلل إليه شيئا فشيئا، و رغم محاولته لإزالته إلا أن شيئا بداخله كان يقول له (إذا كان الحارس بهذا الشكل فكيف ستكون الآنسة مروى تلك؟) ثم سمع فجأة صوت يصرخ عليه قائلا:

- أنت... ألا تسمع، هل أنت أصم؟ لقد قلت لك تفضل.

- آه، حسنا.

ثم دخل إلى المكتب، بعد تجاوزه للحارس الذي كان بمنظر الجلاد، حينها وجد أمامه الفتاة الشقراء التي وصفها الحارس، كانت فتاة مغربية بسحنة أوربية، فقد كان لها عينان خضراوان و بشرة ناصعة البياض و شعر حريري طويل، افتتن بها ليل لحظة و لكن سرعان ما استعاد وعيه بعد أن سألته بصوتها الرنان:

- ماذا تريد يا سيدي؟

- أنا هنا من أجل الوظيفة التي وضعتم إعلانها على شبكة الأنترنيت.

- أرني أوراقك و بطاقة تعريفك.

بينما ليل يسحب بطاقة تعريفه من جيب سترته أسقط أوراقه، فأخذ يلملمها بتوتر و ارتباك شديدين، نهضت الفتاة لمساعدته ثم قالت له:

- مقابلتك الأولى اليس كذلك؟

- نعم و كيف عرفت؟

- لأنني كنت مثلك في بداياتي و لكن لا عليك، انس التوتر و القلق و لا تدعهما يسيطران عليك.

- شكرا لك يا آنسة...؟

- تِتريت، اسمي تِتريت و معناه النجمة بالأمازيغية.

- شرف كبير لي يا آنسة تِتريت، أنا ليل.

فابتسمت تِتريت ابتسامة خجولة ثم أخذت الأوراق و قالت:

- تفضل بالجلوس سأدخل أوراقك الآن.

ثم طرقت الباب و دخلت إلى مكتب فخم.

جلس ليل يتأمل جمال و فخامة الشركة، فقد كانت جميع المكاتب بنوافذ و أبواب زجاجية، و كانت الثريات العصرية تزين المصابيح، و بينما انغمس بالتحديق في ذلك الديكور الفاخر، سمع صوتا عذبا يقول:

- تفضل يا سيد ليل.

نهض ليل بعد أن أطلق تنهيدة طويلة حاول بها إزالة كل التوتر الذي يكاد يطبق على نفسه، ثم دخل و هو يقرأ دعاء في سره.

بعد بضع ثوان وجد نفسه جالسا أمام الآنسة مروى، كانت امرأة في الثلاثين من العمر تبدو عليها الجدية و الكفاءة، كما يبدو جليا للناظر لها أنها تهتم بحياتها المهنية أكثر من الشخصية، فبالرغم من أنها كانت لا تنقص من الجمال و الأنوثة إلا أنها لا تزال غير مرتبطة، و هذا ما استنتجه ليل من غياب خاتم الزواج عن يديها إضافة لمناداة الحارس لها بلفظ آنسة، كانت هذه هي الأفكار التي تدور في ذهنه آنذاك، و هو يحاول أن يخفي يديه اللتين ترتعشان خلف المكتب و بعد ثوان قليلة استأنفت الآنسة مروى المقابلة قائلة:

- عرفني عن نفسك اكثر يا سيد ليل.

- إسمي هو ليل محمد، عمري هو 24 سنة و لدي دبلوم تقني عالي في إدارة الأعمال.

- حسنا لقد قرأت ملفك كاملا، لكن على ما يبدو أنه ليست لديك خبرة عملية في هذا المجال.

صعق ليل من هذه الملاحظة رغم توقعه لها و رغم محاولته التغاضي عنها بقوله:

- نعم أعرف هذا و لكن أحاول أن أعوض نقص خبرتي بشغفي للتعرف على كل ما هو جديد.

إلا أنه و في داخله أحس أنها وضعت يدها على أكثر نقاط ضعفه.

استمرت المقابلة بضع دقائق فقط، حاول فيها ليل أن يبقى متماسكا و أن يجيب على أكبر قدر من الاسئلة دون أن يظهر توتره، لتنتهي المقابلة بعدها بقول الآنسة :

- حسنا إذا، من فضلك أترك رقم هاتفك للكاتبة و سوف نتصل بك بعد بضعة أيام.

(قالت ذلك و وجهها تعلوه ابتسامة تبث التفاؤل في الناظر لها).

خرج ليل ممتلئا فرحة و تفاؤلا، و حسب ظنه فالمقابلة رغم كل شيء مرت على أحسن حال و الوظيفة لابد أن تكون له.

دخل المنزل و كل الأعين تتجه له، نظر إليهم بنظرة تغمرها الثقة قائلا:

- كل شيء سيكون على أحسن ما يرام.

ثم توجه إلى غرفته و اتكأ على سريره من غير أن يغير ملابسه، فأخذ يحدق في سقف غرفته و هو يفكر أنه في اليوم التالي سيصله الاتصال الذي يتمناه.

في صباح اليوم التالي تفقد ليل الهاتف لكنه لم يجد أي مكالمة من الشركة، ففكر أنهم لم يقرروا بعد أو أنهم يهيئون مكتبه الفخم الذي سيجلس عليه، لكنه فوجئ أنهم لم يتصلوا في اليوم الموالي، ثم الموالي،

ثم الموالي. بدأ يفكر أن هناك أمرا مريبا فقد مر أسبوع كامل دون أن أي اتصال، ثم تراجع عن تفكيره هذا بقوله:

- لا ربما فقدوا رقم هاتفي هذا مؤكد، سأتصل بهم أنا.

ثم حمل سماعة الهاتف و بتردد كبير ركَّب رقم هاتفهم و ها هو ذا يرن ثم...

- الشركة العامة للمعاملات المالية هل من خدمة؟

- مرحبا آنسة تِتريت أنا ليل هل تذكرينني؟

- نعم سيد ليل بما أخدمك؟

- لقد مرّ أسبوع كامل و لم تتصلوا بي؟

- بشأن ماذا؟

- بشأن الوظيفة.

- آه، أنا آسفة جدا يا سيدي و لكن لقد تم رفض طلبك، بدعوى أنه ليست لديك الخبرة الكافية، أنا آسفة، آسفة جدا.

- آه حسنا.

أقفل ليل سماعة الهاتف ببطء كأنه لا يصدق ما حدث، يتمنى لو أنه مجرد خطأ ستقوم الكاتبة بتصحيحه، ثم تعاود الاتصال لتبشره بالخبر الذي تمنى سماعه، لكنه سرعان ما استوعب الأمر ثم التفت إلى والدته قائلا:

- آه يا أمي لقد صدق المثل القائل إن كان الحظ مغناطيسا فليشهد العالم بأنني خشبة.

- لما تقول هذا؟

- لقد ضاع أملي في التوظيف بإحدى أهم الشركات بالبلاد.

- ألهذا أنت حزين؟ لا عليك إنها مجرد محاولة أولى.

- لا تبسطي الأمور يا أمي.

- حسنا و ما إسم هذه الشركة التي رهنت حياتك بها؟ (مستهزئة)

- إنها الشركة العامة للمعاملات المالية.

- حقا؟!

- نعم و لماذا تستغربين؟

- إن أحد موظفيها هو أحد أصدقاء طفولة والدك و إسمه محمود.

- أحقا ما تقولين؟

- لقد زارنا عشرات المرات عندما كنت طفلا.

- هذا يعني أنه يمكن أن يتوسط لي لدى المدير ليوظفني بكل سهولة.

- لا أظن أن والدك سيقبل أن يطلب منه ذلك، أنت تعلم مبادئ والدك و تعلم أن عزة نفسه و كرامته هي كل ما يملك.

- أرجوك يا أمي أقنعيه، أرجوك لا تطمسي بصيص الأمل الوحيد الذي بقي لدي. (بنظرة متوسلة و بنبرة حزينة)

لم تستطع الأم المقاومة أمام هذه النظرة فأجابته مستسلمة:

- حسنا سأحاول بكل ما أوتيت من حيل.

فجأة تحولت عينا ليل المثيرتان للشفقة لعينين تشعان بالتفاؤل، و عادت حمرة الدم إلى وجنتيه من جديد ثم هلل قائلا:

- مرحى يا أمي إنك الأفضل.

في مساء ذلك اليوم أعدت أم ليل طبق الكسكس باللحم المقدد، الطبق المفضل لدى صغيرها ليل، كمحاولة منها لرفع معنوياته، لكن هذا الأخير كان آخر همه هو العشاء، فقد كان كل تفكيره بما ستكون

ردة فعل والده.

بعد العشاء حملت الأم أطباق الطعام إلى المطبخ و بينما توجه الجميع إلى غرفهم، تفاجأت الأم بليل الذي يلتصق بها كظلها:

- أمي اذهبي الآن أرجوك.

- انتظر يا بني، سوف أغسل الأواني ثم أتوجه إلى والدك.

- لا يا أمي، أرجوك اذهبي الآن، أو تعرفين؟ هاتي هذه الأطباق، أنا سأغسلها. (تفاجأت الأم بالعرض السخي من ابنها المدلل، فليل كان من الشبان الذين لا يساعدون في أعمال المنزل مهما كانت الظروف)

- حسنا، إذ كنت ستغسلهم فسوف أذهب الآن.

ثم ذهبت، لتستدير مرة أخرى نحوه قائلة:

- عندما تنتهي من غسل الأواني، لا تنس كنس الأرضية.

- حسنا فقط اذهبي. (بنظرة جادة)

ارتدى ليل المئزر وبدأ في غسل الأواني ثم كنس الأرضية و جلس ينتظر عودة أمه بخبر سار يثلج صدره. لم يطل غياب الأم سوى بضع دقائق، لكن الدقائق القليلة مرت على ليل كأنها ساعات، بعد انتظار طويل ها هي ذي الأم تنزل الدرج، نظر إليها ليل ينتظر منها أي إشارة توحي له بإجابة الأب، لكن الأم حافظت على حياد ملامح وجهها إلى أن نزلت آخر السلالم.

نظرت إليه بنظرة حطمت بها كل آماله في الوظيفة، ثم أعادت إحيائها بابتسامة براقة.

- لقد أقنعته بعد جدال طويل.

- حقا؟ شكرا لك يا أمي لن أنسى جميلك هذا ما حييت.

في صباح اليوم التالي اتفق الوالدان على دعوة السيد محمود

للعشاء، و أعدو على شرفه مأدبة فخمة، ساعد الجميع في إعدادها.

في تمام الساعة التاسعة ليلا و بينما الكل مشغولون في إعداد المائدة و ترتيب المنزل، طرق باب المنزل، فتحه ليل ليرى أمامه رجلا طويل القامة، أشيب الرأس، بشرته بيضاء تكاد تكون شفافة كأنها قطعة ثلج، سلَّم عليه و رحب به ثم نادى على والده:

- أبي لقد حضر السيد محمود.

نزل الأب من غرفته ثم توجه نحو الضيف مباشرة.

- أهلا يا صديقي العزيز، لقد طال غيابك، أين اختفيت؟ و كيف حالك؟

أجابه محمود مبتسما،

- أنا بخير و أنتم؟

نحن بخير لا ينقصنا إلا النظر إلى وجهكم العزيز (أجابه بحس من الفكاهة). فأنت لم تزرنا منذ فترة.

- إنها مشاغل الدنيا.

ثم انغمسوا بالحديث لفترة و هم يتوجهون نحو غرفة الضيوف، ليحضر بعض أفراد العائلة ليسلِّموا على الضيف العزيز.

ثم حضرت الأم مع كؤوس الشاي و الحلويات ترحيبا منها بالسيد محمود، سلَّمت عليه و خرجت من الغرفة ثم نادت على زوجها، اعتذر الوالد من صديقه ثم لحق زوجته إلى المطبخ.

- ماذا هناك يا فاطمة؟

- أردت أن أُذكرك فقط أنه يجب أن تعرفه على ليل، أن تخبره بما يحمله من شهادات.

- حسنا.

عاد الوالد إلى غرفة الضيوف، و أكمل حديثه مع صديق طفولته، و خلال الحديث دخل ليل الذي أرسلته أمه إلى الغرفة ليجلس مع الضيف.

رحب الوالد بحضوره قائلا:

- أهلا يا ليل لقد كنت على وشك مناداتك لأعرفك بالسيد محمود، فأنتما لم تتعرفا على بعضكما بالشكل الكافي لحد الآن.

ثم استدار نحو صديقه قائلا:

- أقدم لك ابني ليل، الابن الوحيد وسط البنات، لقد حصل على دبلوم تقني عالي في إدارة الأعمال مؤخرا و أجرى بعض مقابلات العمل لكنه لم يوفق في أي منها لحد الآن.

- حقا؟ و ما هي الشركات التي قابلتك رغم عدم ردها الإيجابي؟

أجابه ليل بابتسامة طغى عليها اليأس:

- العديد من الشركات من ضمنها الشركة العامة للمعاملات المالية.

- آه حقا؟ (مبتسما).

- نعم لماذا؟

- إنها الشركة التي كنت أعمل بها.

أجابه ليل بابتسامة خبيثة أخفى تحتها صحة علمه بالأمر:

- حقا؟ لا يمكن.

- نعم إنها الحقيقة، (ثم أضاف باندفاع تام) أتدري ؟ أعطني أوراقك لأطلع عليها، أظن أنه يمكنني فعل شيء ما بهذا الخصوص.

رد عليه الوالد قائلا:

- لا لست مضطرا لهذا، إن هذا هو يوم ضيافتك، لا نريد إرهاقك

أو الإثقال عليك بشيء كهذا.

كلام نطق به لسان والد ليل و لكن قلبه كان يقول النقيض تماما و هذا ما كان يعرفه السيد محمود جيدا، و لكنه كان مصرا على مساعدتهم لأنه كان يحمل لوالد ليل معروفا قديما لم يعلم أحد ما هو، و لذلك أكد كلامه قائلا:

- إسمع، أنا عملت في تلك الشركة لسنين و قدمت لهم الكثير من الخدمات، فلن يضر إن استغللت نفوذي لتقديم معروف لصديقي القديم، ألا تظن ذلك؟

- فقط إن كنت مصرا. (أجابه والد ليل و قلبه يرفرف من السرور)

ثم استغرقوا في حديث طويل عن دراسة ليل و ما قام به من دورات تدريبية، فما استطاع أن يوقف حديثهم سوى مناداة فاطمة لهم للجلوس على مائدة العشاء، كان العشاء أقل ما يوصف به هو عشاء ملكي، فقد كانت السفرة مليئة بشتى أصناف الطعام التقليدي منه و العصري.

رحبت أم ليل بالسيد محمود مرة أخرى ثم بدؤوا في تناول الطعام و هم يتحدثون في كل المواضيع تقريبا، بعد ساعة و نصف كان الجميع قد فرغوا من تناول الطعام، ليتوجه الصديقان نحو الشرفة لشرب كوب قهوة و تذكر أيام الصبا.

مر الوقت بسرعة هائلة لم يلحظها أي منهم، نهض السيد محمود مودعا صديقه الذي حاول بكل الطرق إقناعه بالمبيت معهم إلا أنه لم يوافق، ليسلم عليه و على أفراد عائلته واحدا واحدا، توجه إلى الباب و هو يؤكد على ليل أن يحضر أوراقه في اليوم التالي.

في الصباح استيقظ ليل من النوم و كله نشاط و تفاؤل، استحم، لبس بدلته، وضع العطر، ارتدى ساعته و حذاءه ثم نزل إلى الطابق السفلي، سلم على أمه و توجه نحو مائدة الإفطار، كانت أمه قد

أعدت له عجة البيض التي يفضلها مع الشاي الأخضر مع النعناع، تناولها ليل بنهم ثم توجه نحو الباب مغادرا المنزل ليفاجأ بأمه تنادي عليه:

- ليل خذ معك المظلة إن السماء ملبدة بالغيوم لابد أنها ستمطر.

- حسنا يا أمي.

تناول ليل المظلة و غادر المنزل، ركب سيارة أجرة لأن دراجته كانت معطلة ثم توجه للمقابلة المنشودة، بعد دقائق قليلة و صلت السيارة أمام باب الشركة، نزل ليل و وقف للحظة أمام باب الشركة و هو يفكر في ما ينتظره بالداخل و خاصة بعد المعاملة الفظة التي عامله بها عامل الحراسة في المرة السابقة، بتردد كبير خطا الخطوة الأولى مقتحما المدخل، لتلمح عيناه الجلاد الذي لم تمحى صورته من ذاكرته، لكنه فوجئ بابتسامة عريضة لم يتوقعها و لكن ما زاد صدمة ليل هي عبارات الترحيب التي أغدق عليه بها الجلاد ذو اللسان السليط، فما كان منه إلا أن أجابه مبتسما:

- شكرا لك.

تم أضاف:

- هل يمكنني الدخول؟

فأجابه

- بالطبع يا سيد ليل إن الآنسة مروى تنتظرك.

- تنتظرني؟ و لكن كيف ذلك؟ (مستغربا)

- هاهاهاها، كأنك حقا لا تعرف.

- أنا حقا لا أفهم. (بنظرة بريئة)

تعجب عامل الحراسة لحظة ثم قال:

- ألست أنت قريب السيد محمود؟

حينها فهم ليل القصة بأكملها، أجابه و الثقة قد ملأت عيناه الغائرتين:

- بلى أنا قريب السيد محمود.

- إذا تفضل سيدي.

دخل ليل من الباب الزجاجي الضخم ليرى أمامه الحسناء ذات السحنة الأوربية، رحبت به بدورها ثم أدخلته و بدون أي تأخير للآنسة مروى التي كانت في انتظاره.

عند دخول ليل إلى المكتب، وجد السيد محمود واقفا يسلم عليها، سلم بعدها على ليل ثم انصرف، جلس ليل بعد أن حيى بدوره الآنسة بشكل لائق ليهيمن بعدها على المكان صمت لم يكسره سوى سؤالها له:

- لما لم تخبرني أنك قريب السيد محمود؟

- لم تتح الفرصة لذلك.

- حسنا إذا أظن أن الأمور قد تغيرت الآن أليس كذلك؟

فكر ليل للحظة ثم قال:

- كيف؟ أنا لم أفهم.

- أحقا أنت لا تفهم؟

- فعلا أنا لا أفهم.

لترد عليه الآنسة مقطبة حاجبيها:

- أأنت ساذج أم أنك...؟

صمتت للحظة ثم أضافت:

- أعتذر يا سيد ليل، كل ما أريد قوله هو أن السيد محمود قد أوضح لي بعض الأشياء التي كنت أجهلها عن شهادتك و مدى أهميتها، و على ما يبدو فإن لدينا نقصا في الموظفين هذه الأيام لذلك قررنا توظيفك.

- حقا يا آنسة؟

- نعم، و إن كان ممكنا تحدث مع الآنسة تِتريت لتخبرك بالوثائق التي يجب عليك إحضارها غدا لتبدأ معنا العمل.

- و هل سأبدأ العمل ابتداء من الغد؟

- نعم، سآمر الحارس بوضع مكتب لك مع السيد وائل، المسؤول عن الدراسات المالية و تدبير الميزانية في الشركة.

ثم نهضت مِن مكانها باسطة يدها لتسلم على ليل قائلة:

- مرحبا بك بيننا يا سيد ليل.

- شكرا لك على ثقتك، لن أخيب ظنك.

- آمل ذلك، يمكنك الانصراف الآن.

حمل ليل أوراقه ثم انصرف متوجها نحو مكتب تِتريت، حياها مرة أخرى ثم قال:

- لقد أخبرتني الآنسة مروى بأن أمر عليك لتخبريني بالأوراق التي يجب علي إحضارها لأبدأ العمل معكم غدا.

- حقا؟ مبارك يا سيد ليل إنه حقا خبر مفرح.

- شكرا لك يا آنسة تِتريت.

- انتظر سوف أحضر ورقة و قلم لأدون لك ما يجب عليك إحضاره.

ثم أخذت الورقة و كتبت مجموعة كبيرة من الوثائق الإدارية التي على ليل إحضارها، أعطتها له و بينما أراد ليل أخد الورقة لمس يد الآنسة

دون قصد فسحبت هذه الأخيرة يدها بسرعة بعد أن أحس كلاهما برعشة سرت في جسديهما.

احمرت وجنتا ليل و أخد بالاعتذار، و ما كان من الآنسة الجميلة إلا أن تقبل اعتذاره بابتسامة خجولة، لينصرف ليل بعد ذلك.

دخل ليل إلى المنزل و قد بدت عليه علامات الإرهاق التي كانت الأم أول من لاحظها، لتعلق قائلة:

- ما بك؟ تبدو مرهقا، لا تقل لي أنك لم تُقبل بالوظيفة.

- على عكس ذلك يا أمي لقد قبلت، لذلك كان علي جمع بعض الأوراق التي يحتاجونها لإعداد ملفي بالعمل، فمررت بمكتب المقاطعة لإحضارها و لكن الموظفين كانوا قد خرجوا لاستراحة الغذاء، لذلك بقيت أنتظر لساعات ولم أتناول شيئا.

- آه حقا؟ إذا سأحضر لك وجبة خفيفة لتأكلها في انتظار طعام العشاء.

- شكرا لك يا أمي، أنا حقا أحتاجها.

بعد تناول ليل لشطيرته، أخد حماما ساخنا يزيل عنه التعب ثم توجه إلى المطبخ ليستعجل أمه في وضع مائدة العشاء:

- أمي أسرعي في وضع العشاء يجب أن أنام لأستيقظ في الصباح الباكر.

- حسنا يا بني، إذهب لمناداة والدك و أختيك.

ذهب ليل للمناداة على الجميع بينما شرعت أمه في إعداد المائدة التي ما فتئ أن اجتمع حولها كل أفراد العائلة.

بعد العشاء توجه ليل مباشرة نحو غرفته لينام و هو يفكر أن الغد سيكون حقا أفضل يوم في حياته.

في صباح يوم الغد استيقظ ليل باكرا، ارتدى ملابسه و أخذ الوثائق المطلوبة لاستلام وظيفة أحلامه ثم ألقى التحية على والدته التي كعادتها لابد من أن تعد له فطوره المفضل، تناوله ليل ثم خرج من المنزل متوجها للعمل بواسطة دراجته التي كان قد طلب من والده أن يصلحها له .

بعد مشوار طويل وصل ليل إلى الشركة وضع دراجته عند الحارس بعد أن أقفلها ثم دخل بخطوات ثابتة و هو يفكر في شيئين أولهما كان كيف سيكون أول يوم له في العمل و ثانيهما كيف سيبدأ كلامه مع الآنسة تِتريت خصوصا بعد ما حدث في لقائهم السابق، لكن توتره قد اندثر تلقائيا بعد أن ألقت الآنسة تِتريت عليه التحية قائلة:

- أهلا سيد ليل، كيف حالك؟

- بخير شكرا لك و أنت؟

- الحمد لله، هل أحضرت الملف كاملا؟

- نعم هاهو ذا.

ثم مرر الملف إلى يد الآنسة، تصفحته هذه الأخيرة بسرعة ثم قالت:

- رائع، لقد أحضرت كل الوثائق المطلوبة.

ثم وضعته على مكتبها لتكمل قائلة.

- تفضل معي يا سيد ليل لأريك غرفة مكتبك.

اتسعت حدقتا عيني ليل فجأة ثم قال:

- حقا؟ هل صار لدي مكتب منذ الآن؟

- طبعا يا سيد ليل، تفضل معي. (مشيرة إلى غرفة المكتب)

ألقى ليل نظرة على المكان الذي كان عبارة عن غرفة كبيرة تضم مكتبين عصريين و أربعة كراسي و طاولتين زجاجيتين، إضافة إلى

خزانة كتب جميلة جدا.

ران في الغرفة صمت ثقيل مدة من الزمن لم يكسره سوى صوت يقول:

- عفوا تِتريت أيمكنني المرور؟

إلتفت ليل ليرى مصدر الصوت، ليجد أمامه رجلا متوسط القامة، أبيض البشرة، عريض الكتفين، كثيف الشعر و كان يتميز بظهور غمازتين عند تبسمه.

إلتفتت إليه تِتريت قائلة :

- بالطبع يا وائل و لكن قبل ذلك أريد أن أعرفك بمساعدك الجديد (ثم وضعت يدها على كتف ليل لتتمم بعدها) هذا ليل موظف جديد معنا في الشركة.

مدَّ وائل يده نحو ليل ليصافحه و ما كان من ليل إلا أن فعل نفس الشيء.

ابتسمت تِتريت بعد ذلك ابتسامة متفائلة ثم انصرفت لتترك مهمة شرح أسلوب و قواعد العمل لوائل.

في اليوم الأول أبدى ليل اندفاعا و حبا كبيرين للعمل و هذا ما جعل وائل لا يبخل عليه بالنصائح التي استفاد منها ليل كثيرا في صنع مكانته بين زملائه.

يوما بعد يوم ازداد تفوق ليل و ازداد إعجاب تِتريت به و هذا ما لاحظه ليل الذي لطالما كان يخفي حبه لها، فمنذ أول يوم استطاعت بجمالها و لطفها أن تستولي على تفكيره و أن تتربع على عرش قلبه، لقد كان و دون شك حبا من النظرة الأولى، لم يكن في البداية قادرا على أن يتحدث معها بشكل مباشر و يفصح عن مكنونات قلبه، فهو لم يتوقع أن تكون تلك الحسناء غير مرتبطة، إلا أنه و بعد شهور من

العمل، إضافة للأحاديث التي كانت تجمعهم خلال استراحة الغذاء، لاحظ أنها تهتم لأمره و تسأل عن أحواله باستمرار، مما شجعه للاعتراف لها و التحدث مع والديه بشأنها و الذهاب لخطبتها رسميا من والدتها.

******

انتصف الليل و لازال وائل يتقلب في فراشه محاولا النوم، محاولا طرد كل الأفكار التي تؤرقه، لم تكن فعلا أفكار عدة، بل كانت فكرة واحدة ترسخت في عقله و قلبه منذ عام مضى، منذ أن التقى تِتريت أول مرة كانت آنذاك مجرد متدربة في الشركة، رحب بها كما رحب بها الجميع، لم يكونا يتحدثان كثيرا، حاول في بادئ الأمر أن لا يختلط بها، لكن ما فتئ أن أعجب بشخصيتها و حديثها، صارا يتناولان طعام الغداء معا، كانت صداقتهما تكبر و تقوى و صارا أعز صديقين، و خصوصا بعد تعيين تِتريت سكرتيرة في الشركة، كان وائل بالنسبة لها هو الزميل الوحيد الذي تبقى على اتصال معه خارج ساعات العمل، كان هو صديقها الوحيد الذكر و كانت هي صديقته الوحيدة الأنثى، لكن و مع توالي الأيام، اضطربت مشاعر وائل تجاه تِتريت، فقد كانت حين تحدثه عن خاطب متقدم لها أو شاب معجب بها، يتظاهر باللامبالاة و ينصحها و في بعض الأحيان يشجعها على القبول و يمازحها بأنها إن بقيت ترفض الشبان، فسيشيب رأسها و تبقى عانسا للأبد، و لكن في كل مرة كان يتفوه فيها بهذه الكلمات كان يتمنى في داخله أن تخبره أن سبب رفضها للخاطبين هو حبها له، لكن دون جدوى، يوما بعد يوم كان حبه لها يزداد و صار هذا الموضوع يشغل باله ليل نهار، نهض من فراشه و قرر أن يقوم بأمر قد يندم عليه بقية حياته، فهو لم يعد يتحمل الألم و أراد الخلاص بأي شكل من الأشكال، قرر أن يكتب لها رسالة يعبر فيها عن مشاعره، أخذ القلم تردد قليلا ثم بدأ بكتابة الرسالة:

عزيزتي تِتريت، ترددت كثيرا في كتابة هذه الرسالة، لكن حسمت أمري اليوم فقد أردت أن أفهم حقيقة مشاعري، فأنا لم أجرب يوما الشعور بالحب و لا أعلم كيف يبدو و على أي شاكلة يتمثل، كل ما أعلم أني أحب الحديث معك و لا أمل منه أبدا و أتمنى في كل مرة أن يتوقف بنا الزمن و تستمر ثرثرتنا إلى ما لا نهاية، و حين أراك أحس أن الذكاء الذي هو من أهم صفاتي يندثر و يتلاشى و يحل محله غباء صبياني ليس له مثيل، أحب أن أمازحك و أن أكسر القيود بيننا و لكن في كل مرة ألقي طرفة أتراجع خوفا من أن أتسبب في غضبك أو حزنك أو جرح مشاعرك، لطالما كنت إنسانا قويا يكره الأحاسيس و أعتبرها ضعفا و لكن لا أعلم كيف تحولت إلى إنسان يعشق الأغاني الرومانسية و خصوصا تلك التي تذكرني بك، أحاول قدر الإمكان أن أظهر بمنظر الرجل الذي لا يأبه للمشاعر و الذي يمتلك آلة تحميص قهوة بدل القلب و ذلك لكي لا أشعرك بشيء و لكي لا تغضبي و تتراجعي و ربما حتى تتخلي عن صداقتنا التي تعتبر آخر جرعات أكسجين تربطني بالحياة، أتعلمين؟ في بعض الليالي أفكر أنه ربما أنت أيضا واقعة في غرامي و أن تصرفاتي الهوجاء هي ما يمنعك من البوح أو ربما كبرياؤك الأنثوي هو ما يثنيك عن الاعتراف و لذلك قررت اليوم و بعد طول تفكير أن أرسل لك هذه الرسالة التي عبرت فيها عن كل مكنونات قلبي، رسالة تمنيت لو أخبرتك بها وجها لوجه ولكن جرأتي تنهار كل مرة أمام عينيك البراقتين، أرجو أن تسامحيني إن كان في رسالتي أي إساءة لك و كم أتمنى أن يصدق ظني و أن تبادليني نفس الشعور الذي لا أستطيع أن أسميه حتى اليوم حبا لأني لم أجربه من قبل.

******

في اليوم الموالي للخطبة توجه المخطوبان إلى العمل معا و فاجآ الجميع بدخولهما ممسكين بيدي بعضهما البعض، وقف الكل مذهولين أمام

المنظر و كان أكثرهم تعجبا هو وائل الذي وقف مصدوما و هو يمسك بالرسالة التي كتبها في الليلة الماضية كان ينظر بعينين ملأتهما الحيرة و الغضب و في ذهنه ألف سؤال و سؤال لم يجب عنهم سوى تِتريت برفع يدها اليسرى مظهرة خاتم الخطوبة. تقدم الجميع لتهنئتهما بينما انسل هو إلى الخارج و يداه ترتجفان من شدة الغضب، وقف أمام الباب و أخذ يدخن سيجارة بعد أخرى ليخفف من توتره ولكن ذلك لم يزده إلا غضبا و انفعالا و هو يتذكر منظر صديقه و هو يمسك بيد الفتاة التي لطالما أخفى حبه لها في قلبه المفطور. سلسلة من الأفكار و الإحتمالات تبادرت إلى ذهنه، لم يقطعها سوى صوت يقول:

- أراك خرجت من الشركة و لم تهنئني حتى؟

إلتفت ليجد أمامه ليل، نظر إليه بنظرة حاقدة سرعان ما مسحتها ابتسامة يائسة، ثم عاد لتدخين سيجارته.

- مابك؟

- لا شيء هناك فقط ما يوترني لذلك لم أتحمل الضجة.

- لا عليك كل شيء سيكون على ما يرام، انظر إلي مثلا، من كان يظن اني سأحظى بوظيفة و فتاة رائعتين في سنة واحدة، حقا أن الله يحقق المعجزات.

كلام زاد من غضب وائل بدلا من أن يهدئه، نظر إليه هذا الأخير بنفس النظرة الباردة ثم قال:

- حقا من كان يظن، مبارك يا صديقي العزيز. (ثم دهس سيجارته بقدمه اليمنى وعاد لمكتبه بعد أن رمى الرسالة في سلة الأزبال)

مضت الأيام و بدأ ليل يلاحظ تغيرا في تصرفات صديقه وائل، فقد صار قليل الكلام و لم يعد يتناول طعام الغذاء معه و مع تِتريت، تغير

لم يعره أي اهتمام و هو ينظر لما وهبته له الحياة من نِعم، فبعد أن استولى على قلب تِتريت و حظي بوظيفة الأحلام هاهو ذا يرشح اليوم لترقية قد تجعله يصير بنفس مزايا و سلطة الآنسة مروى و هذا ما زاد من حقد وائل و غضبه، مما جعله يفكر في حيلة يزيله بها من طريقه ليحظى بقلب تِتريت و الترقية في آن واحد، حيلة كان من الصعب تطبيقها دون مساعدة مروى، التي كان عليه إقناعها أن ليل يشكل خطرا عليها.

في إحدى الليالي و بعد خروج كل الموظفين، توجه وائل لمكتبها بينما كانت تهم بالخروج، استوقفها للحظة و أقنعها بالبقاء للاستماع لحديثه المهم، أقفل الباب ثم قال:

- آنسة مروى، لقد انتظرت حتى خرج الجميع لأخبرك بموضوع مهم جدا.

نظرت إليه مروى بهدوئها المعتاد قائلة:

- خيرا ما الأمر؟

- إسمعي يا مروى أنا أعرفك منذ زمن طويل، فقد عملنا معا لأكثر من أربع سنوات و لذلك أردت أن أحذرك من أمر فائق الخطورة سيحدث في الشركة.

- ماذا هناك؟ أسرع بالحديث فأنا مشغولة.

- إنه ليل.

- ما به؟

- أنتِ تعلمين جيدا أنه من أقارب السيد محمود، و هو من وظفه بالشركة.

- و ماذا في ذلك؟

- يجب أن تعلمي أنه مثل ما وظفه في الشركة بكل بساطة يستطيع أن يضمن الترقية له التي ستجعله في منصب و سلطة يوازيان منصبك و سلطتك الحاليين.

- و بعد؟

- الكل يعلم جيدا أن ليل يملك شخصية طموحة جدا، مدعومة بأحد أعز أصدقاء المدير، إذا لن يكون من الصعب عليه تخطيك و ربما يحصل بعد الترقية الأولى على ترقية ثانية تجعله يحصل على المنصب الذي كافحت من أجله أربع سنوات كاملة. (إحمرت وجنتا مروى من التوتر و بدت معالم القلق واضحة عليها من جبينها المتصبب عرقا)

- ما تقوله غير ممكن أبدا، فأنا أملك خبرة و كفاءة تضمنان لي الترقية الثانية، أما الترقية الأولى فأنا لا أرى أنه سيستفيد منها أصلا فهناك موظفون أكثر براعة منه، و الترقية ستكون لأحدهم بكل تأكيد.

وقف وائل ثم توجه نحو الباب ليلتفت بعدها نحو الآنسة قائلا:

- أنا أخبرك بهذا فقط لأني أكن معزة خاصة لك في قلبي و لا أريد أن يضيع تعبك و جهدك سدا بسبب فتى مدلل. كل ما أنصحك به الآن يا عزيزتي هو أن تفتحي عينيك جيدا لما يحدث حولك. (ثم انصرف وقد تركها في حال توحي باهتزاز ثقتها بنفسها و بكل من حولها)

*****

جلس ليل و تِتريت بأحد المقاهي بجانب البحر يتحادثان عن مستقبلهما و عن كيف ستكون حياتهما بعد الزواج الذي قررا الاحتفال به في الشهر الثاني من أشهر الصيف ، لم تكن علاقة ليل و تِتريت كباقي علاقات المخطوبين التي تتسم بالجرأة في الأقوال و الأفعال بل كانت علاقة تتسم أكثر بالبراءة، فقد كانت تِتريت مهووسة بقراءة الروايات الرومانسية و قصص الحب و لكنها كانت

متأثرة أكثر بروايات الكاتبة التونسية خولة حامدي، فقد أحبت تِتريت قصة حب ندى و أحمد أبطال الرواية، القصة الطاهرة و العفيفة، مما جعل أحاديثهما تتناول في أغلب الأحيان الأمور المتعلقة بترتيبات الزفاف، و كيفية عيشهما كأزواج، فكانا قد اتفقا على أسماء أبنائهم حتى كانوا يتحدثون عنهم و عن مستقبلهم و مِهنهم باستعمال الألقاب، لم يكن ليل مضطرا لإخبار تِتريت عن مدى عشقه لها، فقد كانت مخطوبته تخبره دوما بأن لا يخبرها عن حبه قولا بل فعلا، و كذلك هي، فقد كانا يتفاديان كل ما يثير حنق بعضهما البعض، كما أن تِتريت لم يكن يلزمها إلا نظرة واحدة في عيني ليل لتعلم أنه يهيم و يذوب عشقا بها.

وضع النادل الشاي الأخضر مع النعناع لليل و فنجان القهوة مع الحليب لتِتريت ثم انصرف، كان الجو هادئا و جميلا فقد كانت الشمس أمامهما تحضن المحيط بهدوء و حنان، انسجم الحبيبان مع المنظر و عم المكان سكون ساحر، نظرت تِتريت لليل و هو منغمس في جمال المنظر ثم تناولت فنجان القهوة و ارتشفت منه رشفة سرى دفؤها في جميع أطراف جسدها، لتكسر الصمت قائلة:

- ليل؟

إلتفت نحوها منتبها لتحديقها به.

- ماذا؟

- تعلم جيدا أننا اتفقنا منذ البداية أننا لن نتغزل ببعضنا البعض، و أننا سنجعل قصتنا أسمى من باقي قصص الناس العاديين.

- نعم أعلم ذلك و ليومنا هذا لم أخل باتفاقنا و كنت أحاول أن أعبر عن مشاعري بأفعالي.

نظرت له تِتريت بعينين حانيتين.

- نعم يا ليل، هذا ما زاد تعلقي بك و ما زاد في رغبتي في الزواج بك، فمنذ اليوم الأول كان خجلك هو ما يميزك عن باقي الرجال، فالخجل و اللطف صفتان نذر وجودهما في بني جنسك، و لكن اليوم قررت إخبارك بأمر معين.

ثم صمتت للحظة قبل أن تكمل

- تعلم أن النجوم لا تظهر عادة إلا بالليل.

ثم ابتسمت و احمر وجهها.

- أنا نجمة و أنت ليلي الذي لا ألمع إلا في حضوره، فكن على يقين أنني لم و لن أكون يوما لرجل غيرك.

تفاجأ ليل بكلماتها التي لم يتوقع يوما أن يسمعها منها في فترة الخطوبة و ما كان منه إلا أن رد عليها قائلا:

- اسمعيني يا نجمتي، كنت أريد أن أخبرك بهذا منذ البداية و لكن الفرصة لم تسمح لي بذلك، فمنذ رأيتك أول مرة، عرفت أنك نجمة براقة و ظننت أنك لن تلتفتي لي أنا الليل المظلم، و دعوت الله و ترجيته أن تكون من نصيبي و أن تضيئي علي حياتي، و أحمد الله الذي استجاب لي، و أنا متأكد أنك لن تكوني لرجل غيري ليس لأني أثق في كلامك وحسب بل لأنني يجب أن أكون أحمق أو ميت لأتركك لغيري.

****

بعدَ مرور أسبوع على الحديث المثير بين وائل و مروى، قررت هذه الأخيرة نسيان الموضوع، إلا أن حدثًا ما غير موقفها تماما.

ففي صباح يوم الاثنين فوجئ الجميع بزيارة من المدير العام، زيارة خلقت توترا كبيرا لدى جميع الموظفين، و خاصة لدى الآنسة مروى، التي كانت تعاني ألما شديدا في الرأس جراء الليالي البيض التي أمضتها

محاولة إتمام ملفات الحسابات المتراكمة، بسبب خروج الموظفين في إجازات متوالية. استقبلت مروى المدير بابتسامة عريضة حاولت أن تخفي وراءها كل التوتر و القلق اللذين يخالجانها، ثم قامت بعد ذلك بجمع الموظفين لاجتماع طارئ يترأسه المدير شخصيا، كان موضوع الاجتماع هو أزمة مالية طرأت على الشركة و محاولة استخلاص ميزانية للاستثمار في مشروع خيري فرض على الشركة و ذلك ما استعصى على جميع رؤساء الفروع إتمامه. عرضت على الموظفين صور الملف و جميع تفاصيله، ثم فتح مجال نقاش كيفية حله، ولكن كما توقع المدير لم يستطع أي من الموظفين طرح حل للمعضلة.

بدت ملامح اليأس و الغضب ظاهرة على المدير، التفت بعدها ليقوم بجمع أغراضه استعدادا للمغادرة، ليفاجأ بتمتمة من أحد الموظفين، استدار ليجد ليل واقفا و هو يقول:

- اعذرني يا سيدي.

- ماذا هناك؟

- أظنني وجدت طريقة لاستخلاص الميزانية.

- حقا، وكيف ذلك؟

- أظن يا سيدي إن شركتنا تضيع أموالا مهمة في أشياء ليست أساسية والتي نستطيع تجنبها.

- مثل ماذا؟

- سيدي أفضل أن أشرح لك الأمر على انفراد.

- حسنا، اتبعني.

دخل الرجلان إلى مكتب الآنسة مروى التي كانت لا تزال في الاجتماع ثم استرسل ليل في الحديث مباشرة...

- اعتقد يا سيدي أن الأوراق و الأقلام و الملاقط و الكثير من المواد في هذه الشركة تبدر و تستغل بشكل لا مبال، لذلك أقترح يا سيدي أن نعطي لكل موظف عدد محدود من هذه الأشياء و ذلك ليكون حريصا عليها و لا يبذرها، و كذلك الطاقة الكهربائية يجب أن نرشد استهلاكها، فمثلا بدل أن يظل جهاز التبريد مشغلا طوال اليوم، أقترح أن تقفل الأبواب و النوافذ لتبقى الغرفة باردة لوقت أطول رغم إطفاء المبرد، وكذلك أقترح أن يشرب الموظفون ماء الصنبور بدل المياه المعدنية التي نقوم بتوزيعها أناء فترة الغذاء و...

قاطعه المدير قائلا:

- هل أنت مستعد لإجراء دراسة مالية دقيقة لهذا الموضوع لنرى كم ستوفر لنا إجراءات التقشف هذه من المال خلال سنة واحدة؟

- بالطبع يا سيدي.

- إذا ابدأ العمل و حاول الاستعجال قليلا.

- كن مطمئنا يا سيدي.

- حسنا اذهب الآن و نادي الآنسة مروى، أريد أن أكلمها قبل أن أرحل.

نفد ليل ما طلبه المدير، لتتوجه مروى بعدها إلى مكتبها بخطوات متثاقلة، طرقت الباب ثم دخلت.

نظر إليها المدير ثم ابتسم قائلا:

- افرحي يا آنسة، إن لديك موظفا يفتخر به حقا، لقد قدم لي اقتراحا جريئا سيحل لنا المشكلة.

ابتسمت مروى ابتسامة عريضة، أزالها تعليق المدير:

- أنا حقا أتنبأ له بمستقبل زاهر جدا، أتعلمين يجب أن تخشي على

منصبك، فهذا الشاب منافس لا يستهان به.

رحل المدير تاركا الآنسة مروى و قد نزل عليها كلامه كالصاعقة، كلام جعلها تتذكر اقتراح وائل و تفكر فيه بجدية.

في صباح اليوم الموالي و بعد دخول جميع الموظفين، اتصلت مروى بوائل هاتفيا و طلبت منه الحضور لمكتبها في الحال، استغرب هذا الأخير من موقفها، لكنه لبى طلبها رغم ذلك.

طرق الباب ثم دخل، نظر إليها باستغراب ازداد عند رؤيته لوجهها الشاحب و عينيها المرهقتين اللتين تظهران جليا أنها لم تنم الليل بطوله، رفعت مروى عينيها نحوه و دون مقدمات:

- أقبل عرضك.

- ماذا؟! (مستغربا)

- قلت أقبل اقتراحك، أعني ما تريد فعله بليل.

- آه فهمت، أخيرا اقتنعت أنه يشكل خطرا عليك و على الجميع؟

- نعم.

- وما الذي غير رأيك؟

- لا يهم، ما يهم الآن هو ما الذي سنقوم به.

- حسنا، إليك الخطة...

بعد انتهاء وائل من سرد تفاصيل الخطة لمروى، قررا تنفيذها في اليوم الموالي خوفا من حدوث أي طارئ يمنع تنفيذها.

في الغد دخل ليل و تِتريت إلى الشركة معا كعادتهما، ليتوجه كل منهما الى مكتبه استعدادا لبدأ العمل. فتح ليل باب مكتبه فوجد وائل قد حضر قبله، حياه ثم جلس ليستهل عمله، كان يخيم على المكان صمت غريب دام لساعات، صمت لم يكسره سوى سؤال وائل.

- ليل، هل أستطيع أن أطلب منك شيئا؟

- خيرا؟

- لقد طلبت مني الآنسة مروى أن أبقى في المكتب إلى ما بعد السابعة، لأن علي تسليم الميزانية لأحد موظفي الفرع الثاني، لكن والدتي اتصلت بي في الصباح الباكر و أخبرتني أن والدي مريض جدا وأن علي الذهاب لرؤيته، لذلك يجب علي المغادرة قبل السابعة، فهل يمكنك البقاء بدل عني لتسليم الميزانية.

- طبعا يا صديقي.

- شكرا سأخبر الآنسة مروى بأنك ستحل محلي.

- نعم و أنا أيضا سأخبر تِتريت أنني لن أستطيع مرافقتها اليوم إلى السينما.

خرج الرجلان من مكتبهما و توجه كل منهما إلى ضالته، في المساء و عند إشارة الساعة إلى السادسة، خرج كل الموظفين بينما بقي ليل و وائل في المكتب، أخد هذا الأخير بعض الأوراق التي كانت على مكتبه ثم انصرف بدوره ليعود بعدها حاملا في يده زجاجة عصير، ناولها لليل قائلا:

- هذه لشكرك يا صديقي.

تناولها ليل مبتسمًا، ثم قال:

- لا عليك.

انصرف وائل و بقي ليل وحده في المكتب، ينتظر الموظف المنشود و يستعين برشفات من العصير ليبدد ساعات الانتظار التي طالت كثيرا، فهاهي ذي الساعة تشير إلى الثامنة و الموظف لم يحضر بعد، و زجاجة العصير قد فرغت تماما و ليل بدأ يراوده النعاس، فجأة أحس بدوار شديد ثم انهار على الأرض.

بعد سماعه لصوت السقوط، دخل وائل الذي كان ينتظر في مكتب شريكته، نظر إلى ليل بابتسامة خبيثة، فتح الخزنة و أخرج كل ما فيها من مال، وضع المفاتيح بين يدي ليل ثم غادر الشركة من الباب المخصص للطوارئ.

بعد مرور ساعات طوال بدأ ليل يسترد وعيه و بصعوبة بالغة استطاع الوقوف، نظر إلى الساعة فإذا هي تشير إلى الرابعة صباحا، التفت نحو الباب ليجد الآنسة مروى و عامل الحراسة أمامه مباشرة نظر إليهما بتمعن ثم قال:

- ما الذي تفعلانه هنا في هذا الوقت؟

تقدم العامل و أمسك ليل من كتفيه ثم أجلسه على الكرسي قائلا:

- نحن من عليهم طرح هذا السؤال.

- ماذا تعني؟

خطت مروى نحوه بضع خطوات ثم قالت:

- لقد سألك ما الذي تفعله هنا فأجب حالا.

نظر إليها ليل باستغراب ثم رد:

- أنت تعلمين أن وائل طلب مني أن أبقى هنا لأسلم الميزانية للموظف بدل عنه.

- أنا لا أعلم شيئا لا عنك و لا عن وائل و سأتصل به ليحضر حالا لمناقشة هذا الأمر.

خرجت من المكتب، اتصلت بوائل و بعد وقت قصير حضر، حيَّى الجميع ثم قال باستغراب:

- ما الذي تفعلونه هنا في هذا الوقت؟

- لقد حضرت مضطرة في وقت كهذا بعد أن اتصل بي الحارس

ليخبرني أنه سمع صوتا في مبنى الشركة، لم أكن أعلم أن الدخيل ليس إلا ليل.

- لقد بقيت أنتظر الموظف الذي أخبرني عنه وائل لكنه لم يحضر، فغلبني النعاس و بعد استيقاظي وجدتك أمامي و عامل الحراسة و...

ابتسم وائل للحظة ثم قال :

- أي موظف؟

صعق ليل من سؤال صديقه، بقي صامتا للحظات كأن لسانه قد شل ثم وقف و أمسك بكتفي وائل قائلا:

- الموظف الذي أخبرتني أن أنتظره من أجل الميزانية، لقد طلبت مني أن أحل محلك لأن عليك زيارة والدك المريض.

دفع وائل يدي ليل عن كتفه و نظر إليه ببرود شديد ثم قال:

- أنا لم أطلب منك شيئا، إضافة إلى أن والدي متوفي منذ زمن بعيد، ما الأمر يا ليل هل أنت ثمل؟

تراجع ليل خطوة للوراء و هو ينظر لتقاسيم وجه صديقه الباردة، و كيف تبرأ منه، و بينما ليل متجمد في مكانه التفت وائل نحو مروى قائلا:

- هل فتشتم المكان ربما كان هنا بغاية السرقة؟

- معك حق.

ثم توجهت لمكتبها، فتحته فوجدته لا يزال مغلقا كما تركته ثم عادت:

- لا داعي للقلق فمكتبي لا يزال مغلقا، لم يسرق منه شيء.

- لا تكوني متأكدة، فنحن لم نفتش الخزنة بعد.

- نعم هذا صحيح، أعطني المفاتيح.

فتش وائل في جيبه و في حقيبته لكنه لم يجدها، التفت نحو مروى قائلا:

-لا أجد مفاتيحي، أنا متأكد أنها كانت هنا في حقيبتي.

ثم توجه نحو ليل و أمسكه من قميصه قائلا:

- أين المفاتيح لابد أنك أخذتها من حقيبتي دون أن أراك.

بقي وائل يرجه بشدة، دون أن يبدي ليل أي ردة فعل، كان غائبا تماما عن الوعي، ثم فجأة رفع نظره نحو وائل ثم فتح يده لتسقط منها المفاتيح، و هو لا يصدق أنها كانت بين يديه، أخذها وائل و بسرعة فتح الخزنة ليجدها فارغة تماما، التفت نحو الآنسة مروى ثم نحو ليل و بلهجة غاضبة :

- أين النقود يا ليل ؟

نظر إليهم ليل بذهول تام و جلس على كرسي كان بالقرب منه بعد أن خذلته ركبتاه.

- إسمعي يا مروى يجب أن تتصلي بالشرطة حالا، فلا يبدو أن هذا المجرم سيعترف بالتي هي أحسن و أنا لن أتحمل مسؤولية كهذه.

- معك حق يا وائل، هذا ما سأفعله حالا.

رفع ليل نظره نحوهما متوسلا:

- من فضلك لا داعي للاتصال بالشرطة فأنا لم أفعل شيئا.

- إن استمريت بالإنكار فستضطرني للاتصال بالشرطة حالا.

- لكن...

- لا يوجد لكن، إن أردت أن تنجو بفعلتك فعليك إعادة المال و حالا قبل وصول أي أحد.

- لكن...

- قلت لا يوجد لكن، سأتصل بالشرطة.

- حسنا، حسنا لا تفعلي، سأحضره لكم الآن، لكن المشكلة هي أنني لا أعرف ما المبلغ.

أطلق وائل ضحكة تردد صداها في كل أرجاء المكتب ثم قال:

- كفاك استهبالا يا رجل، أنت تعلم أن المبلغ هو 40000 درهم، كيف لا تعرف و أنت الذي أخذته.

- أنت الذي يجب أن يكف عن هذا يا وائل، أنت تعلم كل شيء فلماذا لا تقول الحقيقة؟

- أية حقيقة؟ هناك حقيقة واحدة، أنت سارق نذل، هل تفهم؟

- هذا يكفي كلاكما، اسمع يا ليل أنا لا يهمني إن كنت السارق أو لا، ما يهمني هو أنني وجدتك في المكان غير المناسب و الزمان غير المناسب و ليس لدي من أتهمه غيرك، و الآن أخبرني هل ستحضر المال أم تريد مني أن أتصل بالشرطة؟

- لا، لا داعي للشرطة سأحظر المال حالا، فقط لا تتصلي بالشرطة حتى أحضره.

أخذ ليل حقيبته و خرج من المكتب و هو يفكر كيف و من أين سيحضر المال.

دخل المنزل و توجه مباشرة لغرفته، فتح درج مكتبه و أخرج صندوقا يوفر به المال، عدَّ ما يوجد به لكنه لم يجد سوى 14500 درهم و فكر أنه لا يزال محتاجا لأكثر من 25000 درهم ليتم المبلغ، فما كان منه إلا أن يطلب المساعدة من والده.

توجه نحو غرفة والديه، وقف مترددا للحظة فقد كان الوقت مبكرا

جدا لكنه نسي تردده و قرر أن يطرق الباب، رفع يده و هي ترتجف ثم طرق الباب، بعد انتظاره لثواني معدودة، سمع أمه من وراء الباب:

- من..؟

- أمي هل يمكنني التحدث معك للحظة؟

- انتظر حتى الصباح.

- أمي من فضلك، أريد التحدث معك الآن.

بعد قليل، أطلت أم ليل من باب الغرفة و قد بدا على وجهها القلق الشديد، و عيناها تستفسران في صمت، أشار لها ليل لتتبعه إلى غرفة المعيشة، التفتت لتطمئن أن زوجها لا يزال نائما، ثم تبعت ولدها.

جلس ليل و أشار لوالدته أن تجلس بقربه، لم تنبس الأخيرة ببنت شفه من شدة القلق، دام الصمت لثوان بدت كأنها ساعات، ليستجمع ليل قواه و يقول أخيرا:

- أمي ... أريد أن أخبرك أمرا و لكن لا تقلقي أو تغضبي.

- تحدث يا ليل لقد أقلقتني بشدة.

عض ليل على شفتيه و تردد لبعض الوقت ثم قال:

- لقد تم إيقاعي في فخ في العمل...

اتسعت حدقتي الأم من الدهشة، ليكمل بعدها.

- اتهموني بالسرقة و أعطوني مهلة يوم واحد لأحضر المبلغ قبل أن يتصلوا بالشرطة.

وضعت فاطمة يدها على فمها مانعة نفسها من الصراخ و قلبها قد انقبض من وقع الخبر ثم قالت:

- و كم المبلغ؟

- 40000 درهم.

- ماذا؟ 40000 درهم كاملةً و كيف ستجمع المبلغ في ظرف يوم واحد؟

- لقد تفقدت ما كنت قد جمعته من مال من أجل الزفاف، وجدت 14500 درهم، ينقصني الآن 25500 درهم و لذلك....

- حسنا فهمت، أنا و والدك كنا قد وفرنا بعض المال من أجل مساعدتك على الزفاف.

- كم من المال.

- لا أعلم صراحة سأحضر الصندوق و نتفقد ما به.

جلس ليل و هو يفكر كيف تغيرت حياته بين ليلة و ضحاها و ما قد سببه لأمه من قلق، لم يقطع حبل تفكيره سوى صوت وقع خطوات على الدرج التفت ليجد أمه و والده ينزلان الدرج في صمت، تتبع خطواتهما حتى جلسا بقربه، بقيت عيناه تحدقان في والده كأنه ينتظر توبيخه، لكن والده خيب ظنه و فتح الصندوق و هو يقول:

- لقد عددت ما يوجد بالصندوق لكن لم أجد سوى 20000 درهم لا يزال ينقصنا 5500 درهم، لكن لا تقلق سأتدبر المبلغ غدا.

دمعت عينا ليل و هو يتأمل هدوء والديه فما كان منه إلا أن أمسك يديهما بين يديه و قبلهما معتذرا، مسح والده بيده على رأسه و ابتسم قائلا:

- اذهب للنوم الآن و غدا إن شاء الله ستجد المبلغ فوق مكتبك.

توجه ليل في صمت لغرفته دون أن ينطق بكلمة، تمدد على سريره و هو يتذكر ما حدث، تمر مشاهد الحدث أمامه مشهدا مشهدا، يحاول أن يفهم لماذا فعل به وائل ما فعل، لكنه لم يستطع استيعاب

ما حدث، لم يستطع تحمل فكرة أن صديقه قد نصب له فخا ليتخلص منه.

ضغط بشدة على جفنيه محاولا النوم لكن عبثا، فقد كان الحدث يشغل كل جزء من دماغه، حمل هاتفه النقال فوجد الساعة تشير إلى السادسة و النصف، لم يتبق الكثير حتى تتسرب أشعة الشمس لتضيء الغرفة.

فتح عينيه ليجد أن أشعة الشمس قد غطت الغرفة بالكامل، فقد غفت عيناه دون أن يشعر، تفقد هاتفه فوجد الساعة تشير للثامنة و الربع، وجه نظرة سريعة نحو المكتب ليجده كما تركه بالليل، فكر أن والده ربما لم يستطع تدبر المبلغ. ارتدى ملابسه و فتح الباب متوجها لغرفة المعيشة، لكنه فوجئ بوالده أمام باب غرفته مباشرة، تفقده بعينين تملكهما الفضول، فلم يتجرأ على سؤاله خوفا من إجابة يتوقعها لكن والده ما فتئ أن خيب ظنه و هو يخرج من جيبه ظرفا و هو يقول:

- جيد أنك ارتديت ملابسك، تفضل هاهو المبلغ كامل اذهب حالا و أرجع المال لتسترد عملك.

- شكرا يا أبي.

دخل ليل الشركة دون أن يوَجه أيّة كلمة لتِتريت التي اكتفت بتتبعه بعينيها، توجه مباشرة لمكتب الآنسة مروى ليجدها و وائل يتحدثان بهدوء، لم يعر وائل أي اهتمام و توجه بكلامه مباشرة نحوها:

- لقد أحضرت المبلغ الذي سرق.

ثم وضع الظرف على المكتب، تبادلت مروى و وائل نظرات استغراب ليكمل ليل بعدها:

- إنه مبلغ 40000 درهم، أظن أنه من حقي الآن أن أسترد وظيفتي.

ابتسمت مروى وهي تنظر لوائل الذي بادلها الابتسامة الساخرة، ضغط ليل على يده محاولا السيطرة على غضبه، نظر لمروى مستفسرا:

- ماذا هناك؟

- آسفة يا ليل، لا تستطيع أن تسترد ثقتي بك و بذلك آسفة لقولي أنه لا يمكنك أن تسترد الوظيفة.

أمسك ليل رأسه و يداه ترتجفان، لتكمل بعدها مروى:

- أجد أنه من العادل أن تعلم أنه بعد أن تأخرت عن الموعد، ارتأيت أنه من الآمن أن أتصل بالشرطة، لأزيح المسؤولية عن عاتقي.

- لكن أحضرت المال، كيف لك أن تتصلي بالشرطة؟

- لابد أن الشرطة ستأخذ بعين الاعتبار إعادتك للمال.

ساد صمت غريب في المكتب قبل أن يتدخل وائل أخيرا قائلا:

- سأوجه لك نصيحة إكراما لصداقتنا القديمة.

إلتفت نحوه ليل و هو يعض على أسنانه من الغضب، ليكمل بعدها وائل:

- من الأفضل لك أن تهرب حالا فالشرطة قد تصل في أية لحظة.

ثم صمت للحظة ليستطرد قائلا:

- من الأفضل أن لا تذكر اسم تِتريت للشرطة، و لا تخبرها بأي شيء، لأنه لو علمت الشرطة بذلك فلن يفهموا أنه ليس لها علاقة بالأمر.

فكر ليل في أن صديقه السابق معه الحق تماما، فالشرطة لن تهتم لبراءته و ستكتفي بشهادة وائل و رجل الأمن و الآنسة مروى لتزج به في السجن بدون أي نقاش.

دخل ليل منزله و جمع ما استطاع من مال و أوراق ثم غادر المنزل دون أن يراه أحد.

الفصل الثاني

دخل ليل المحطة ثم ركب أول حافلة صادفها، لم يكن يعلم وجهتها لكنه علم أنها ستقوم بإبعاده عن مدينته المشؤومة، فتح حقيبته ثم اتصل بهاتف أمه، بقي الهاتف يرن و لا أحد يجيب، أعاد الاتصال ثم أخيرا:

- ألو ليل.

- ألو... أمي.

- أين أنت يا عزيزي؟

- أنا آسف يا أمي آسف، لقد أعدت المال لكنهم اتصلوا بالشرطة و هي تلاحقني الآن و لذلك رحلت.

- ماذا تعني ب"رحلت "؟

- أنا الآن خارج المدينة، سوف أتصل بك مرة أخرى لأخبرك عن مكاني، لا داعي للقلق و أخبري أبي أن لا يقلق هو أيضا، و أرجوك لا تخبري أحدا بما حصل و خصوصا تِتريت لا أريد أن أتسبب لها بأي مشكل، وداعا.

أقفل الهاتف و ضمه لصدره كأنها آخر مرة سيسمع صوت أمه، أو ربما آخر مرة سيسمعه بأذني ليل الطفوليتين، كان ليل على علاقة خاصة بأمه، فهو لم يفارقها يوما و ما ظن أنه قد يفعل ذلك أبدا فلطالما كانت تمازحه و تخبره أن أختاه سيتزوجان كلاهما و يذهبان لبيوت أزواجهما بينما سيسكن هو و زوجته معها بالمنزل و لكن الحياة

تخفي دوما ما لا يخطر ببال بشر، لم تكن أمه وحدها من لم ينوي فراقها، فتِتريت كان يحلم أن يشيب رأسهما معا، فحينما كانا يتمشيان قرب الشاطئ ممسكين بيدي بعضهما، كانا يتحدثان بالساعات عن حياتهما بعد 40 سنة، كانا يتخيلان نفسيهما عادا وحيدين بعد أن زوجا كلتا بناتهما ريحانة و تَفُوكْتْ لأهم الرجال و أكثرهم لطفا بالكوكب بعد أن أكملا دراستهما و التحقا بسوق الشغل، بينما كان ابناهما جاد و هود قد تخرجا من أرقى الجامعات وذهبا للعمل في إحدى المدن الكبرى التي تعج بالسكان، ربما قد يجدان هناك زوجات مثقفات، جميلات، و صالحات، كانا يخططان لإعادة شهر العسل في جزر الكاريبي التي لطالما حلمت تِتريت بالذهاب اليها و التي لم تسمح لهم ميزانيتهم المتواضعة بالذهاب لها في شبابهم، كانا يحلمان و يخططان لكل شيء حتى لجنس أطفالهم و عددهم، كانت تِتريت تريد الاكتفاء بطفلين، ولد و بنت، أما ليل فأقنعها بضرورة إنجابهم لأربعة أبناء على الأقل و من الأفضل أن يكونا ذكران و أنثيان، فقد أثرت الوحدة به كثيرا، لطالما تمنى وجود أخ له يسانده و يشاركه همومه و أفكاره الذكورية، لكن كل الأحلام و الآمال ضاعت في لمح بصر فقد ترك البيت الذي تربى فيه و ترك أمه التي أحبها منذ وعيه بالعالم و الأهم ترك مخطوبته التي وقع في غرامها من أول نظرة، لعن في سره اليوم الذي التحق فيه بتلك الشركة المشؤومة و تعرف فيه على وائل الخائن، كان يفكر و يفكر في كل الاحتمالات لكن رجلا قطع حبل أفكاره قائلا:

- سيدي أعطني تذكرتك من فضلك؟

مد ليل يده في جيبه ليتذكر أنه ركب أول حافلة وجدها أمامه دون أن يشتري التذكرة، التفت للمشحم قائلا:

- و كم ثمن التذكرة؟

- 180 درهم؟

- لماذا؟ ما هي وجهتها ؟

استغرب المشحم من سؤاله و حاول الحفاظ على هدوئه مجيبا:

- الجنوب الشرقي.

أخرج محفظته من جيبه و دفع ثمن التذكرة، ثم وضع رأسه على ركبتيه و انغمس في تفكير عميق جعله لا يشعر بانطلاق الحافلة، و فجأة توقفت الحافلة، رفع ليل رأسه باحثا حوله عن سبب توقفها، ليجد أن رجال الدرك قاموا بإيقاف الحافة، أدرك ليل مباشرة أن رجال الشرطة قد أصدروا مذكرة توقيف في حقه، و لابد أن رجال الدرك قد توصلوا بها و هم يبحثون عنه الآن في كل مكان، أخد يفكر بسرعة فيما عليه فعله فلم يجد إلى أن يقلد النعامة في اختبائها، وضع رأسه على ركبته بدأ في قراءة بعض الآيات:

- "جعلنا بين أيديهم سدا و من خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون".

مرّ أحد رجال الدرك بالقرب منه و شعر به واقفا بقربه، اقترب منه أكثر و وضع يده على كتف ليل:

- أنت استيقظ.

شعر ليل أن قلبه توقف من الرعب، ولكنه استجاب و رفع رأسه، نظر الدركي إليه بإمعان ثم أكمل طريقه و نزل من الحافلة لتكمل طريقها، لم يفهم ليل ما حصل لكنه أغمض عينيه و حاول النوم ليرتاح، و رغم تعبه الجسدي عقله لم يرد الاستجابة و أصر على التفكير.

أقفلت أم ليل السماعة و ذهبت مباشرة نحو والد ليل، فتحت الباب قائلة:

- محمد، انهض.

فتح والد ليل عينيه:

- ماذا هناك؟

انهارت فاطمة باكية و قالت بصوت مخنوق:

- لقد هرب ليل، لقد رحل لأن الشركة اتصلت بالشرطة.

وقف والد ليل و توجه نحو زوجته، أمسك بكتفها قائلا:

- ماذا تقولين يا امرأة، كيف رحل و إلى أين؟

- لا أعلم، لا أعلم شيئا سوى أنه اتصل بي اليوم، طالبا السماح، لقد أخبرني أنهم اتصلوا بالشرطة، و لذلك توجب عليه الرحيل.

لم ينطق والد ليل بكلمة أخرى، بل ارتدى ملابسه و خرج من المنزل.

دخل الشركة و لم يسمح للحارس بإيقافه، نظرت إليه تِتريت باستغراب:

- عمي ماذا هناك؟

- من المسؤول هنا؟

- إنها الآنسة مروى، لماذا؟ ماذا هناك؟

- أين مكتبها؟

أشارت تِتريت للمكتب، دخل والد ليل المكتب دون أن يطرق الباب، ليجد امرأة جالسة على المكتب و رجلا جالسا بالكرسي المقابل، توجه نحوها مباشرة:

- هل أنت هي الآنسة مروى؟

- نعم، و من أنت و من سمح لك بالدخول؟

- أنا والد ليل.

- و ماذا تريد؟

- لقد أعاد ابني المال لكم فلماذا اتصلتم بالشرطة؟

حاولت الآنسة مروى إجابته، لكن وائل سبقها قائلا:

- لم يُعد أي شيء، لقد جاء لتهديدنا و رحل بعد ذلك مما اضطرنا للاتصال بالشرطة.

- لا يمكن! لقد أعطيته المال بيدي هاتين، رأيته حين خرج متوجها نحوكم.

ابتسم وائل قائلا:

- سيدي، لقد دخل ولدك و لكنه لم يعطنا أي مال، و لذلك اتصلنا بالشرطة.

خرج والد ليل و الصدمة قد ألجمت فمه، لم ينتبه لتِتريت التي كانت تناديه لتحاول فهم سبب تغيب ليل و سبب حضوره هو للعمل بدل عنه، فما كان منها إلا أن دخلت لمكتب مروى لتحاول فهم ما حصل، لكن وائل فاجأها بقوله:

- لا نعلم شيئا، فقد جاء والد ليل ليسأل عن ولده الذي لا نعلم عنه شيئا.

- ماذا تعني؟ لماذا؟ أين ليل؟

- لا أعلم، ربما سافر و نسي إعلامهم.

خرجت تِتريت من المكتب و أخذت هاتفها محاولة الاتصال بليل و لكن عبثا، فقد كان خارج الخدمة.

******

دخل والد ليل للبيت و وجهه يعلوه شحوب أقلق كل من حوله، فجأة و قبل أن تسأله زوجته عن ما حصل، انهار على الأرض فاقدا

الوعي.

ركضت الأم و ابنته إليه ليحاولا مساعدته، كل محاولاتهما لم تفلح، فما كان من ابنته ميسون إلا أن اتصلت بالطبيب.

خرج الطبيب من غرفة والد ليل ليجد الأم و البنت في حالة بكاء هستيري، حاول تهدئتهما أولا ليصدمهم بالخبر المفجع:

- لا داعي للقلق فقد استيقظ، لقد كان مجرد إغماء ناتج عن التعب و ربما صدمة.

قاطعته الأم قائلة:

- هل أستطيع الدخول لرؤيته.

نظر إليها الطبيب بأسف ثم رد قائلا:

- نعم لا بأس بذلك و لكن قبلا، أريد أن أخبركم أمرا ما و أتمنى أن تتمالكوا أعصابكم، فكل ما يحصل هو ابتلاء من رب العباد و الله قادر على أن يحقق المعجزة.

- ماذا هناك؟ لقد قلت أنه مجرد إغماء.

مرر الطبيب يده على لحيته و هو يفكر كيف عليه إيصال الخبر:

- لقد أصيب والدكم بشلل رباعي.

انهارت الأم على ركبتيها باكية، بينما بقيت ميسون مصدومة تنتظر الطبيب ليكمل كلامه، الذي حاول إيضاح كلامه قائلا:

- قد يحتاج لبعض حصص الترويض و كذلك بعض الأدوية.

- و هل سيتحسن والدي بعد كل هذا؟ أرجوك أخبرني الحقيقة.

- اسمعيني يا آنستي، والدك شل بسبب صدمة على ما أظن، لذلك فكل ما عليكم فعله هو الإحاطة به و محاولة التخفيف عنه و إبعاده

عن كل المشاكل، و كذلك مساعدته في حصص الترويض، و لا تنسوا الدعاء له.

تم توَجّه للأم ليساعدها على الوقوف ليكمل:

- سيدتي من فضلك يجب أن تصيري أقوى، فضعفكن لن يساعده بل سيزيد من همه و كربه.

ثم ناولها وصفة الدواء و انصرف.

******

خرجت تِتريت مسرعة من الشركة، أخذت سيارة أجرة و توجهت مباشرة لمنزل ليل الذي لم يجبها على الهاتف، بعد دقائق معدودة كانت تقف قرب الباب، طرقته و انتظرت لثوان قبل أن تفتح ميسون لها الباب قائلة:

- مرحبا تِتريت، تفضلي.

- مرحبا، هل ليل بالمنزل؟

- لا يا عزيزتي لقد استيقظت اليوم للذهاب للدراسة و لم أجده، وبعد ذلك...

صمتت للحظة لتكمل و عيناها ملأتهما قطرات الدمع.

- لقد شل والدي يا تِتريت، لا أعلم لماذا لكنه فقد الإحساس بأطرافه الأربع.

ثم ارتمت في حضن تِتريت منهارة من البكاء.

دخلت تِتريت لغرفة السيد محمد لتفاجئ بأم ليل الجالسة بقربه و عيناها الحمراوتان لا تفارقانه، توجهت مباشرة إليها لتسلم عليها ثم جلست بقربها، انتظرت قليلا قبل أن تقول:

- كيف حاله الآن؟

- لا أعلم لقد استيقظ لدقائق معدودة ثم عاد للنوم، أظنه تأثير المهدئ.

- و كيف حصل كل هذا؟

نظرت أم ليل إليها، و تذكرت وصية ولدها ثم ابتسمت قائلة:

- إنه القدر.

- و أين ليل؟ لماذا لا أراه هنا؟

- لقد اختفى، استيقظنا اليوم و لم نجده، حاولنا الاتصال به لكنه لا يجيب.

- هل اتصلتم بالشرطة ربما حصل له مكروه ما.

فكرت السيدة فاطمة أنه إذا توجهت تِتريت للشرطة فستتسبب بجعل نفسها طرفا في مشكل ليل دون أن تدري، فكرت بسرعة و لم تخطر على بالها سوى فكرة واحدة، أمسكت بيد تِتريت ثم قالت:

- اسمعيني يا عزيزتي، هناك أمر أريد إخبارك إياه.

- خيرا يا خالتي؟

- لقد كذبت عليك، فليل اتصل بي و أخبرني أنه سيرحل من أجل أمور خاصة به.

- و متى سيعود؟

- لا أعلم، طلب مني أن أخبرك أن لا تنتظريه.

كان وقع الكلام على تِتريت كمن صب عليها دلو من الماء البارد، تراجعت خطوة للوراء محررة يدها من يد فاطمة.

- لا أصدقك، أنت تمزحين لا يمكن لليل أن يفعل بي هذا.

- اسمعيني يا ابنتي، الزواج نصيب و ظروفه الحالية....

قاطعتها تِتريت

- مهما كانت الظروف هو يعلم جيدا أنني سأنتظره، سأنتظر عودته مهما طالت.

- صغيرتي هو يعلم جيدا أنك ستنظرينه و لذلك طلب منك أن لا تفعلي.

و فجأة انهارت تِتريت على الأرض باكية:

- ليس من حقه أن يطلب أي شيء، لماذا ؟ لماذا يتخلى عني بهذه السهولة و لم يكلف نفسه حتى عناء الاتصال بي شخصيًا؟

حاولت أم ليل مساعدتها على الوقوف، لكنها تنصلت من يديها و انتصبت قائلة:

- لا أصدقك، لا أصدق أي كلمة مما قلت، ليل لا يمكن أن يفعل هذا، هو لن يتخلى عني أبدا، لا بد أن هناك أمرا أكبر من ذلك.

ثم انصرفت من الغرفة مسرعة و غادرت المنزل غير مبالية بنداءات أم ليل.

في مكتب مروى كان التوتر يطغى على المكان، فمروى لم تقتنع بعد بخطة وائل التي ظنت أنها قد تنهار في أي لحظة:

- أنت لا تفهم، فإذا توجه ليل للشرطة و بتحقيق بسيط ستكشف الحقيقة و قد ندخل السجن.

- لا تقلقي يا عزيزتي، فالغزالة سرعتها أكثر بكثير من الأسد و مع ذلك تسقط كل مرة فريسة له، هل تعلمين لماذا؟

- ما الذي تقوله الآن؟ أنا أتحدث عن ....

قاطعها وائل :

- هل تعلمين لماذا؟

أجابت و هي تستشيط غضبا:

- لماذا؟

- إنه الخوف يا عزيزتي، الخوف سيمنعه من القيام بالخيار الصحيح، أي من الذهاب للشرطة، فهو لن يقايض حريته بالإدلاء بشهادته في قضية يعتبرها خاسرة مائة بالمائة.

ثم وقف ليغادر قبل أن يلتفت:

- إسمعي، لا داعي لأن يستيقظ ضميرك الآن، فاستيقاظه لن يجلب لك و لي سوى المشاكل، استمتعي بنصرك الآن، فالترقية باتت بين يديك، لا داعي للتفكير بشخص كان مصيره الفشل على كل حال.

ثم التفت لينصرف قبل أن تفاجئه مروى بندائها:

- إنتظر، لقد نفدت كل ما خططت له و لكن لم أفهم إلى الآن، فسبي أنا للإيقاع بليل واضح وضوح الشمس و لكن لم أفهم إلى الآن كيف تحولت صداقتك له إلى عداوة بهذه السرعة؟

مرر وائل يده بين خصلات شعره و اصطنع ابتسامة واضحة ثم قال:

- ستعلمين قريبا.

ثم فتح الباب و انصرف.

توقفت الحافلة مرة أخرى و لكن هذه المرة في إحدى باحات الاستراحة، نزل المسافرون لتناول الطعام و قضاء حاجاتهم. لم يكن ليل يريد النزول لكنه تذكر عدم أدائه لصلاتي الصبح و الظهر بعد، توجه مباشرة إلى الحمام توضأ و ذهب لأداء واجبه الديني، كانت تلك أول مرة يستغرق وقتا طويلا في أداء الصلاة، كان يشعر كأنه يرتقي مع كل أية من عالم البؤس الذي يعيش فيه لعالم أسمى و أرقى، كان يحس أنه يخاطب الله في كل ركعة و مع كل دعاء، كان يسقط كل الهموم و الأثقال الدنيوية و يرحل لملاقاة رب العباد و لو للحظات

معدودة. سلم أخيرا و نهض متوجها للحافلة و هو يتمنى أن يجعل الله له مخرجا من هذه الحفرة العميقة التي وقع فيها.

امتلأت الحافلة عن آخرها بسبب نداءات المشحم، الذي كان يهدد الركاب بتركهم إن لم يصعدوا حالا، جلس ليل في مقعده و أشعل هاتفه الذي كان مقفلا ليجد أكثر من 20 مكالمة من أمه و من تِتريت، قلق ليل بشدة و اتصل بأمه حالا و بدون أي تردد.

رفعت الأم الهاتف:

- ألو ابني الحبيب.

- مرحبا يا أمي، ما الأمر؟ لقد أفزعتني.

- لقد اتصلت بك لأخبرك أمرا مهما.

- ما الأمر؟

- لقد جاءت تِتريت اليوم للمنزل، لم تتقبل فكرة تخليك عنها و قالت أنها ستستمر بالبحث عنك، و أخشى أن تسبب أي مشكل لك، كنت سأخبرها بالحقيقة لكن لم أفعل احتراما لوصيتك.

- شكرا يا أمي أحسنت الفعل، لا أريدها أن تتورط معي بأي شكل من الأشكال، لذلك اتركي هذا الأمر لي سأتكفل بإقناعها.

- و أين أنت يا صغيري الآن؟

- لا تقلقي أنا لا زلت في الحافلة لم أصل بعد، انتبهي لنفسك و لوالدي و أختاي و لا تقلقي علي.

ثم اقفل الخط.

فكر للحظات كيف يجب أن يقنع تِتريت بأن تتركه و شأنه و أن تكف عن السؤال و البحث عنه، ثم ركَّب رقم هاتفها و اتصل بها، لم يرن الهاتف إلا مرة واحدة لتجيبه بلهفة و بصوت مخنوق بالبكاء:

- ليل أين أنت ؟

- مرحبا تِتريت، كيف حالك؟

- كيف تسألني عن حالي بعد أن تركتني أيها الغبي؟ هل تختبر حبي؟

- تِتريت أرجوك توقفي عن هذا الهراء، اسمعيني جيدا، أنا الآن رحلت، لدي أسبابي الخاصة التي لا أستطيع مشاركتك إياها.

- كيف لا تستطيع مشاركتي؟ ألم نتفق على أن نتشارك كل شيء؟ لماذا تفعل هذا بي الآن؟

- أنا أسف فهذا الأمر بالذات لا أستطيع مشاركتك إياه، أرجوك إن كنت فعلا لا زلتي تعزينني، دعيني أرحل بسلام و لا تبحثي عني أو تتصلي بي، فأنا قد نسيتك منذ الآن.

ثم أقفل الهاتف قبل أن ترد عليه و كان يعلم جيدا أنه قد أقفل آخر باب كان مفتوحا له و صار الآن وحيدا في مواجهة العالم بأسره، كان يعلم أن تِتريت ستكون الآن منهارة و أنها ربما قد تدخل في نوبة اكتئاب حادة، لكنها على الأقل لن تدخل السجن فوائل عازم على أديته و لن يجد أفضل من تِتريت ليؤديه فيها.

رمت تِتريت الهاتف بغضب شديد، علمت أنه لا يمكن أن يتخلى عنها دون سبب لكن ما أثار حنقها هو أنه أبى أن يشاركها همه كأنه ينقص من ذكائها و رصانتها، و هو الذي لطالما كان يشيد بشخصيتها القوية و لكن تبين لها أنه عند الشدائد يتحول الرجال كلهم إلى مخلوقات متماثلة، مخلوقات غبية، أنانية و متعالية.

ارتدت ملابسها و خرجت من المنزل، مشت بخطوات حائرة فقد كان الغضب يسيطر عليها، لم ترد الذهاب للبحر لأنه يذكرها به و كذلك الحديقة ، كانت كل الأماكن تهمس باسم ليل، فلم يكن منها إلا أن عادت للمنزل و استلقت على سرير غرفتها باكية و هي تفكر أن ليل

تخلى عنها قبل أسابيع معدودة من حفل الزفاف.

توقفت الحافلة أخيرا في إحدى المدن بالجنوب الشرقي، نزل ليل و توجه مباشرة إلى داخل المحطة، كان الليل قد حل و لم يكن يعلم إلى أين يتوجه أو أين يبيت، فما كان منه إلى أن وضع حقيبته على أحد الكراسي و استلقى واضعا رأسه عليها ليريح جسده المنهك، أغمض عينيه للحظات، ثم استيقظ على صوت صراخ مزعج، فتح عينيه ليجد الحارس واقفا بجانبه يقول:

- يا سيد لقد سمحت لك بالنوم لأنك بدوت منهكا، أما الآن فقد حل الصباح، انهض من فضلك فنومك هنا سيسبب لي المشاكل.

أدار ليل رأسه يمينا و شمالا و هو لا يصدق أن الصباح قد حل بهذه السرعة، اعتذر من الحارس ثم أخذ حقيبته و انصرف، كانت المحطة قد بدأت بالامتلاء بالمسافرين، كان يسير وسطهم تائها لا يعلم وجهته و فجأة أحس بدفعة قوية أسقطته أرضا، رفع رأسه ليجد شابا طويل القامة بجانبه، مد له يده ليساعده على النهوض و قبل أن يتفوه ليل بأي كلمة أخذ الشاب ينفض الغبار عن ملابس ليل و يعتذر منه بشدة، تقبل ليل اعتذاره و انصرف الشاب، مد ليل يده ليأخذ حقيبتك لكنه فوجئ بعدم وجودها التفت يمينا و يسارا دون جدوى لم يكن هناك أي أثر لها، بدأ يسأل الناس عنها لكن لا فائدة، ثم سمع صوت الحارس من بعيد يقول:

- لابد أن للشاب الذي ارتطم بك شريكا سرق الحقيبة.

توجه ليل إليه و أمسك به قائلا:

- ماذا تعني؟

- أبعد يديك عني أيها الساذج، فحيلتهم البالية قد انطلت عليك.

أبعد ليل يديه عن الحارس مستفهما:

- أي حيلة ؟

- لقد ارتطم بك الشاب عن قصد و أخد يلهيك بالكلام حتى يتسنى لصديقه سرقة حقيبتك بسهولة.

- و لماذا لم تعلمني؟

- هل جننت أولئك اللصوص يعملون ضمن عصابات لن أستطيع تحذيرك حتى لو أحببت ذلك، إضافة إلى أنني لا أعرفك أصلا.

انصرف ليل من المحطة و هو يفكر في ماذا يجب أن يفعل فملابسه و بعض المال الذي كان يملك، كل شيء سرق مع الحقيبة لم يبقى له شيء، جلس على أحد الكراسي في الحديقة، فلم يجد حلا سوى البحث عن عمل، لم يكن طبعا ينوي استعمال شهاداته ليجد لقمة عيشه، بل فكر أن من السهل إيجاد عمل كمُيَاوم كي لا يضطر لإظهار بطاقة تعريفه، نهض من الكرسي و ذهب مباشرة إلى إحدى المقاهي، لكن النادل طرده، ليذهب بعدها لأحد محلات البقالة الكبرى، حكى لصاحبها ما حدث له و كيف سرق في المحطة، كان صاحب المحل رجلا كبير السن، رحب به و أوصى مساعده بأن يترأف به و لا يقسو عليه، استلم ليل مهمة ترتيب السلع و حمل الأكياس للزبائن حتى أبواب سياراتهم.

بعد انتهاء كل يوم عمل كان يذهب للمبيت في المحطة لم يكن الحارس يزعجه، لأنه كان يستلم منه كل يوم 5 دراهم ثمنا للتغاضي عنه، استمر ليل على حاله أسابيع عدة، إلى أن علم صاحب البقالة بحاله، و أمر مساعده بأن يسمح له بالمبيت معه في غرفة المخزن.

****

كانت تِتريت في حالة اكتئاب حادة فهي لم تتخطى بعد هجران ليل لها، كانت تذهب كل يوم للعمل و تعود مباشرة للمنزل، لم تعد تخرج مع أصدقائها و لم تعد لها أي رغبة بالحديث مع أحد، حاولت والدتها

التقرب منها و إخراجها من قوقعتها و لكن عبثا، مما دفعها للاتصال بوائل الذي كانت تعلم أنه صديقها المفضل، و بعد نصف ساعة رن جرس المنزل، فتحت الباب و إذا بوائل يقف خارجا، أدخلته و نادت تِتريت.

نزلت تِتريت، سلمت على وائل و جلست تشرب الشاي معه في صمت قبل أن تتدخل الأم:

- لقد جاء وائل لرؤيتك لأنه قلق عليك، أليس كذلك يا بني؟

- نعم يا خالة.

ثم أومأ لها أن تتركهما لوحدهما، انصرفت الأم متحججة بطعام تركته فوق النار.

استجمع وائل قواه ثم قال:

- تِتريت، ما هذا الذي تفعلينه بنفسك؟ أنت تذبلين كل يوم، أين حيوية و مرح تِتريت؟

بقيت تِتريت صامتة و هي تحدق بكأس الشاي الذي بين يديها، ليكمل قائلا:

- تِتريت، أرجوك ارتدي ملابسك و تعالي لنخرج، ما رأيك في تناول الطعام خارجا؟

حاولت الرفض لكنه قاطعها:

- تِتريت أنا صديقك هل نسيت؟ أرجوك نحن لم نتناول الطعام معا منذ زمن طويل.

تنهدت تِتريت معبرة عن عدم موافقتها الكاملة ثم صعدت لغرفتها، و بعد بضع دقائق نزلت و قد ارتدت معطفها، أعلمت أمها بخروجها ثم انصرفت.

كان الصمت يخيم على الصديقين و هما يتجهان نحو أحد المطاعم المتواضعة، جلسا ليبادر وائل بالحديث:

- ما الأمر يا تِتريت؟ لماذا أنت مكتئبة هكذا؟

نظرت إليه تِتريت بغضب قائلة:

- أنت تعلم لماذا هجرني ليل فلماذا لا تخبرني؟

نزل سؤالها كالماء البارد على وائل، لم يعرف ماذا يقول، حاول المراوغة:

- ماذا تعنين؟ أنا لا أعرف شيئا.

- كفاك عبثا يا وائل أنا أعرفك و أعرف حين تكذب، أنت تعرف كل شيء و لا تريد إخباري، لقد ظننتك صديقي و لكن لا جدوى كلكم كاذبون، أنت و ليل.

- من فضلك يا تِتريت لا تقارنيني بليل فأنا لم أتخل عنك يوما.

وقفت تِتريت قائلة:

- ها أنت ذا تفعل .

ثم همت بالانصراف لكن وائل أمسكها من يدها قائلا :

- انتظري سأخبرك، فقط اجلسي أرجوك.

جلست تِتريت و قلبها يخفق بسرعة من شدة الخوف، فلطالما أرادت معرفة الحقيقة و لكنها الآن تكاد تندم على طلبها.

- اسمعي، لم أكن أريد إخبارك بشيء و لكن ليل...

- ماذا؟ أكمل.

- ليل كان على علاقة بامرأة أخرى، و قد ..

- توقف لا تكذب علي.

- استمعي حتى النهاية ثم احكمي، قبل أن يخطبك ليل كان على علاقة بإحدى الفتيات و قد أخبرني هو نفسه بذلك لأحل معه تلك المشكلة.

- أية مشكلة ؟

- لقد كانت فتاة قاصر، لكنها لم تكن بريئة كما توقع، فقد سجلته و هو يتحدث معها بكلام لا يجب لأحد أن يسمعه، كما أنها كانت تملك عدة أدلة على علاقتهما و حين علمت بخطبته لك، هددته أنها ستخبر الشرطة بكل شيء إن لم يعطها مبلغ من المال، و هو كما تعلمين لا يملك المال لهذا ..

- أكمل .

- لهذا قام بسرقة خزنة الشركة و هرب.

- لا يمكن، لا يمكن لليل أن يفعل هذا، أنت تكذب.

- لا يا تِتريت أنا لا أكذب أنت تعرفينني جيدا ، إن لم تصدقيني إسألي مروى و حارس الأمن فقد كانا حين وجدناه متلبسا.

أمسكت تِتريت رأسها و هي تحاول استيعاب كمية الأخبار و الوقائع التي لم تتوقعها أبدا.

- و لماذا لم تخبرني منذ البداية عن علاقته و عن كل شيء؟

- لقد أخبرني أنها مجرد غلطة و أنه لن يكررها، و أن إخلاصه سيكون لك وحدك إن حلت مشكلته على خير.

- و أين هو الآن؟

- لا أعلم، أظنه هرب لأنه لم يستطع إرجاع المال المسروق.

- أتعلم يا وائل؟ لطالما ظننت أن لي صديقا مثاليا و خاطبا مثاليا و لكن في طرفة عين انهرتم جميعا.

ثم وقفت قبل أن تكمل.

- أرجوك لا تتصل بي بعد الآن، صداقتنا انتهت حين احتفظت بالحقائق كلها لنفسك و لم تكلف نفسك عناء إخباري بما كان يدور من حولي.

ثم انصرفت للمنزل دون أن تلتفت لنداءات وائل.

****

بدأ ليل يتأقلم مع العمل في محل البقالة، كان صاحب المحل الحاج سيدي محمد شخصا طيب القلب و كان يحترم عماله المواظبين، يوما بعد يوم كان احترامه لليل يزداد و لم يكن يبخل عليه بالإطراءات. مع مرور الوقت قرر الحاج تكليف ليل بمداخيل المخزن نظرا لكونه كان يتقن عمل المحاسبة و هذا ما أثار حنق عزيز مساعد الحاج، كان ليل يحاول ما أمكن أن يظهر لعزيز أنه لم يرغب يوما بهذا التكليف ما أمكن و أنه لم يستطع رفض طلبه لما يحمله له من معروف، توالت الأيام و توالت معها مكائد عزيز لليل فكان في بعض الأحيان يسرق شيئا من المحل لتوريطه و في أحيان أخرى يفتعل شجارا ليظهر أن ليل فوضوي و لا يقبل الحوار، و في أحد الأيام اتجه ليل مباشرة للحاج قائلا:

- الحاج! أريد أن أحدثك بأمر معين.

- خيرًا يا بني؟

- أعلم أنك تكن لي معزة خاصة، كما أعلم أن لك معروفا كبيرا علي سأحمله لك طوال عمري و لكن أتمنى أن تسمح لي بالرحيل.

- لماذا يا بني؟ هل أزعجناك في شيء؟

كان ليل يعلم أن كره عزيز له لن يلبث أن يزداد و قد تؤدي به غيرته لأن يوقعه في مشكل كبير كما حصل مع وائل، لكنه لم يرد أن يسبب

أي قلق للحاج، لذلك أسر ألمه في قلبه مجيبا:

- لا يا سيدي، كل ما في الأمر أني أريد الرحيل و أتمنى حقا أن تسمح لي بذلك.

ابتسم الحاج قائلا:

- و من أنا لأسمح لك أو لا أسمح؟ أنت إنسان حر، و قد كنت خير عون لي في الأربع أشهر الماضية، لذلك أتمنى أن تقبل مساعدتي.

- مساعدة؟

- نعم، إن كان عملك معي لم يعد يناسبك، ما رأيك أن تعمل مع صديق لي يملك مطحنة في الضواحي.

فرح ليل بالعرض كثيرا و عانق الحاج عناقا حارا موافقا على عرضه.

****

جلست تِتريت بهدوء في أحد المقاهي بجانب الشاطئ ترتشف فنجان قهوة و تقرأ رواية أجنبية، كانت تشعر بالوحدة القاتلة فصديقاتها كن جميعا تسألنها عما حصل بينها و بين ليل و هو ما كانت تتجنب الحديث عنه تماما، أما وائل فلم تعد تتحدث معه منذ أكثر من أربعة أشهر، و ذلك بسبب ما أخبرها به، وضعت الكتاب جانبا للحظة و حملت هاتفها ركبت أرقام هاتف محمول، رن بضع مرات ليجيبها صوت خشن:

- ألو .

- ألو مرحبا وائل.

- من؟ تِتريت؟ أنا لم أعرف رقمك.

- نعم لقد غيرته منذ مدة، كيف حالك؟

- بخير، و صرت أفضل حين اتصلت بي، و أنت؟

- أنا لست بخير، أنا أفتقدك كثيرا.

انعقد لسان وائل من الفرح و شعر أن قلبه على وشك التوقف، فهو لم يتوقع قولا كهذا.

- أتسمعني يا وائل؟

- نعم يا تِتريت لازلت أسمعك، و لكن هل سامحتني؟

- أنت لم تقم بأي شيء يغضبني منك، في الواقع، لقد كان غضبي منك بدون مبرر، أنا أعتذر، فهل تقبل اعتذاري؟

- بالطبع يا عزيزتي، لقد كنت تمرين بظروف قاسية، لذلك لا تهتمي.

- شكرا وائل، أنت حقا صديق مخلص، هل تستطيع الحضور للمقهى الذي بجانب الشاطئ، لقد اشتقت للحديث معك.

- طبعا يا عزيزتي أنا قادم حالا..

****

استلم ليل عمله في المطحنة لدى السيد عمر الذي رحب به بحرارة كونه من طرف الحاج، أعطاه بيتا صغيرا بجانب المطحنة، كلفه بفتحها في الصباح الباكر و تشغيلها و تلبية طلبات الزبائن المعدودين على رؤوس الأصابع، لم يكن ليل يجد أي صعوبة في عمله، كما أنه لم يجد أي عائق في التأقلم مع أناس المنطقة، الذين كانوا غاية في الطيبة، لم يكن للحاج أي أولاد فقد كانت زوجته عاقر و لم يرد يوما أن يكسرها بالطلاق أو يجرح قلبها بزوجة ثانية، كان له خادمتان في مكانة بناته، و لم يلبث أن اعتبر ليل ابنه الذي لم ينجبه، صار ليل يتناول الطعام معهم على مائدة العائلة لكن لم يستطع يوما تلبية طلب السيد عمر للعيش معهم حتى لا يدنس حرمة منزل مليء بالنساء، كان ليل يجلس كل ليلة في غرفته بالبيت الصغير و هو يفكر بحال عائلته هو الآخر، يفكر في أمه و أبيه و أخته و مخطوبته تِتريت

الذين لم يتلقى أي خبر منهم منذ أن سرق هاتفه، فهو لا يتذكر أرقام هواتفهم و خاف أن يرسل رسالة لهم و أن تستقبلها الشرطة بدلا منهم، فكر كثيرا في طريقة ليتواصل بها معهم فلم يجد إلا أن يكتب رسالة و يرسلها باسم و عنوان السيد عمر، أخذ ورقة و قلم و بدأ الكتابة.

كانت حالة والد ليل الصحية تسوء شيئا فشيئا ، فشلله الرباعي أثر بشكل كبير على باقي أعضائه الداخلية فصارت كليتاه لا تستجيبان للأدوية، و صار من الضروري قيامه بحصتين لتصفية الدم كل أسبوع، إضافة لنقص الشهية الذي جعل جسده نحيلا كجسد الموتى، كانت فاطمة زوجته تحرص على إعطائه أدويته في الوقت المناسب كل يوم و لكن دون فائدة، فمشكله لم يكن يوما مشكلا جسديا بل نفسيا، كانت تكذب عليه في بعض الأحيان و تخبره أن ليل اتصل حين كان نائما و أنه طلب محادثته لكنها لم تشأ إيقاظه، كان يعلم أنها تكذب لكن لم يرد يوما إحراجها، بل و كان يتصنع الغضب كونها لم توقظه. صبيحة يوم الاثنين كانت فاطمة تغير ملابس والد ليل بعد أن قامت بتحميمه، لتتفاجأ بباب الغرفة يطرق، فتحت الباب لتجد ميسون واقفة أمامه، كانت الدموع تنهمر من عينيها بغزارة، أمسكت بها أمها و قد تملكها الخوف والدهشة:

- ما الأمر؟ ماذا حصل؟

أخرجت ميسون ورقة من ظرف صغير، و ناولته لأمها قائلة:

- هذه رسالة من ليل يا أمي.

- حقا؟

أخذت الأم الرسالة بلهفة و فتحت الورقة ثم تذكرت أنها لا تجيد القراء لترجعها لابنتها:

- اقرئيها، هيا بسرعة .

أخذت الرسالة و تقدمت من والدها مستجيبات لنداءاته ثم بدأت بقراءة الرسالة:

" بسم الله الرحمان الرحيم:

والداي الحبيبان، أختاي العزيزتان، كيف حالكم؟ أتمنى من أعماق قلبي أن تجدكم رسالتي هذه بكامل الصحة و العافية، ترددت كثيرا في إرسال هذه الرسالة خوفا من أن تتبع الشرطة أثري، لكن ما طمأنني هو استعمالي لاسم السيد عمر بدل اسمي، أعتذر منكم لأني لم أتصل بكم منذ زمن، فللأسف سرقت حقيبتي و معها هاتفي النقال الذي يحمل كل أرقامكم الهاتفية، لا أعلم إن كانت رسالتي هذه كافية لتصف مدى اشتياقي لكم، لن أخبركم أن قلبي ينفطر كلما تذكرتكم فأنتم أصلا لا تغيبون عن بالي، أتذكركم عند استيقاظي، عند نومي، عند تناولي للطعام أتذكركم في كل آن و حين، فرغم طيبة العائلة التي أقطن معها، إلا أنني أشتاق لدياري، أحن لحديثنا الليلي، لجلوسنا حول مائدة الطعام، أحن لشجاري مع أختاي، أحن لدعوات أمي الحنون، و لنصائح أبي الحبيب، أنتم تعلمون أنه لطالما كنت لا أجيد التعبير عن مشاعري، كما لا أجيد كتابة الرسائل، فلطالما كان أسلوبي ركيكا، و كم أتمنى لو أنني أمتلك أسلوب محمود درويش لأعبر لكم عن مدى اشتياقي، أعلم أنكم تعانون بسببي و بسبب المشكل الذي وقعت به، إلا أنني أتمنى أن لا تؤاخذوا بذنب لم أرتكبه، أعلمكم أعزائي أنني وجدت عملا بسيطا في إحدى المطحنات و أني أعيش في بيت صغير بالقرب من مكان عملي، و أنني بخير لذلك لا داعي للقلق، فبالرغم من بعض الصعوبات التي واجهتني في البداية إلا أنني تأقلمت الآن.

ستجدون مبلغا من المال مرفقا بالرسالة، فأنا لم أنسى أنكم اقترضتم المال من أجلي في ذلك اليوم، و سأحاول أن أرسل مبلغا محترما أول كل شهر، فأنا أصلا أسكن في بيت على حساب مشغلي، كما أتناول

الطعام مع عائلته، لذلك لا حاجة لي بالمال، أخيرا و قبل أن أختم رسالتي أريد أن أسألكم عن تِتريت، كيف حالها هل لازالت تسأل عني أم أنها نسيت أمري؟ أتمنى أن لا تخبروها بأمر هذه الرسالة كي لا تعود للاتصال بي.

ملاحظه: ستجدون في هذا الظرف بطاقة تحمل رقم هاتفي الجديد، و أتمنى أن لا تتصلوا بي إلا في الحالات الطارئة، عدا ذلك فلتبقى الرسائل هي وسيلة اتصالنا الوحيدة، و أرجوا أن ترسلوا كل الرسائل باسم السيد عمر.

و السلام "

طوت ميسون الورقة و وضعتها جانبا ثم أخذت الظرف و أخرجت منه مبلغ 1500 درهم و بطاقة صغيرة كتب عليها رقم هاتفي، لتعيد كل شيء للمغلف و تناوله لأمها، كانت الأم لازالت في حالة بكاء هستيري، أخذت الظرف و احتضنته بين ذراعيها، ثم التفتت نحو زوجها الذي كان يذرف الدموع في صمت لتريه الرسالة كدليل على ادعاءاتها السابقة.

مضت بضع أيام قبل أن ترسل ميسون رسالة بأمر من والدتها و نيابة عن عائلتها.

كان ليل جالسا في بيته الصغير يقرأ رواية عربية، حين سمع طرقا قويا على الباب يسبب الريبة، لكن سرعان ما ارتاح باله حين سمع صوت السيد عمر يقول:

- افتح يا ليل، لقد وصلتك رسالة.

قفز ليل من مكانه متجها نحو الباب ، فتحه بسرعة ليجد السيد عمر واقفا بابتسامة عريضة و هو يحمل ظرفا مغلقا، ألقى السلام ثم

مد يده ليأخذ الظرف، ودع السيد عمر الذي انصرف بسرعة و لم يشأ الدخول.

فتح ليل الظرف بسرعة و بدون أي تأخير ليجد في الظرف ورقتان منفصلتان و قد كتب على كل واحدة منهما رقم ترتيبي، تناول الورقة التي حملت الرقم واحد و بدأ في قراءتها:

" بسم الله الرحمان الرحيم

أما بعد ،

أخي العزيز، لقد كلفتني أمي أن أكتب هذه الرسالة بلسانها و هي كالتالي:

ابني العزيز، كيف حالك؟ لقد اشتقنا إليك كثيرا، كانت فرحتي لا تتصور حين توصلنا برسالتك و لعلمي أنك على خير ما يرام، لقد قلقت عليك كثيرا حين انقطعت أخبارك، و ما زاد قلقي هو سؤال رجلين من رجال الشرطة منذ شهر تقريبا، أعلمك يا صغيري أننا بخير جميعا و أننا لا ينقصنا إلا الاجتماع بك، فعائلتنا لا تزال متماسكة كالسابق، و أحب أن أزف إليك خبرين سارين، فأما الأول فهو عقد قران أختك رقية على شاب محترم، كم تمنيت يا صغيري لو أنك كنت معنا في تلك الليلة، و الثاني فهو أن أختك ميسون قد وجدت عملا في إحدى المدارس كمدرسة للغة الإنجليزية، لذلك يا بني لا أريد منك أن تكلف نفسك عناء إرسال النقود، فراتب أختك و معاش والدك يكفيان لكل مصاريف المنزل، أما بالنسبة لي و لوالدك فأحيطك علما يا بني أننا بخير و بصحة جيدة و أننا في كل مرة نتحايل على والدك المشاكس بأن يجلس معنا بعض الوقت بدل الجلوس مع أصدقائه في مقهى الحي، إلا أنه يتحجج في كل مرة بأن لقاءه مع أصدقاءه ينسيه همه و كربه المتمثل في اشتياقه لك، آه يا بني كم أتمنى لو كنت أمامي لأحضنك بين ذراعي حتى أروي عطش اشتياقي،

و لكن لا مرد لقضاء الله، و في الختام يا صغيري أتمنى منك أن تعتني و تنتبه لنفسك و أن لا تهمل صحتك، كما أتمنى يا حبيبي أن تتحلى ببعض الصبر و أن تحافظ على صلاتك و أعدك أن الله سيفرج كربك عما قريب.

و السلام"

كان ليل يقرأ الرسالة والابتسامة لا تفارق وجهه، فرغم أنه حزن لعدم حضوره زواج أخته، إلا أنه سر كثيرا لأن الجميع بخير و أن مشكلته لم تؤثر كثيرا على عائلته. حين إنهائه للرسالة قبلها و وضعها جانبا ثم هم بالنهوض ليتذكر الورقة الثانية التي كتب عليها رقم اثنين، عاد للجلوس مرة أخرى و أخرج الورقة الثانية و بدا بقراءتها:

" أخي العزيز، أعلم جيدا أنك تستغرب وجود رسالتين بدل واحدة، لكن و قبل أن أشرح لك أريد أن أؤكد لك أننا توصلنا برسالتك و أننا جد فرحون لأنك بخير و لأنك وجدت عائلة كعائلة السيد عمر. أبعث لك يا أخي الصغير بهذه الرسالة المختلفة تماما عن الرسالة التي كلفتني بها أمي، لأنني أظن أن من حقك معرفة الحقيقة كاملة و بدون أي تزييف، أحيطك علما أخي الحبيب، أننا لسنا بخير و على خير كما تزعم أمي، فبعد أن رحلت أصيب أبي بصدمة عصبية أدت به لشلل رباعي جعل منه جمادا لا يقوى على قضاء أبسط حاجاته، صارت أمي تحممه، تلبسه، تطعمه و تغير له الحفاظات لأنه لم يعد يستطيع قضاء حاجته بشكل طبيعي، و ما زاد الطين بلة هو مرض كليتيه الذي فرض علينا أخذه مرتين في الأسبوع للمستشفى من أجل حصص غسل الكلى، و كما تعلم فمعاشه الشهري القليل كان بالكاد يكفينا لمصاريف المنزل، و بسبب غلاء الأدوية و حصص الغسل، لم يعد ذلك المبلغ الزهيد يكفينا للعيش مما دفعني للتخلي عن حلم استكمال الدراسة و جعلني أبحث عن عمل، و الحمد لله أعلمك أنني وجدت عملا في إحدى المدارس الخاصة كمدرسة للغة الإنجليزية، مع

أن الراتب ليس مناسبا لشهادة الإجازة التي أملكها، إلا أنه يسد بعض مصاريف المنزل و العلاج، و قد سر قلبي كثيرا حين علمت أنك سترسل لنا مبلغا شهريا لمساعدتنا، فنحن فعلا في حاجة له، أما بالنسبة لرقية فكما أخبرتك في الرسالة الأخرى فقد تقدم لها أحد الشبان و رغم أنها لم تكن معجبة به فعلا إلا أنها وافقت عليه، لإحساسها أنها صارت تشكل عبئا علينا، و بزواجها قد تخفف عنا بعض الحمل، أما بالنسبة لتِتريت، فأمي منعتني بأن آتي على ذكرها في رسالتي الأولى و لكن أحب أن أعلمك أخي أنها لم تزرنا منذ زمن، فهي أيضا تحاول التعامل مع الظروف الجديدة فالصدمة كانت أقوى بالنسبة لها. في الختام أتمنى أن تتفهم أن رسالتي هي فقط لإطلاعك على الحقائق و ليس للتشويش عليك أو لإقلاقك، كما أتمنى أخي الصغير أن تبقي أمر هذه الرسالة سرا بيننا، و لا تنسى أن تراسلنا لتعلمنا بآخر أخبارك.

و السلام"

انقلبت ابتسامة ليل و سروره لحزن و دموع بللت وجهه النحيف، فلم يظن يوما أنه قد يسبب لعائلته كل هذا الألم، كان عاجزا عن مسح دموعه و هو يتخيل والده الذي لطالما كان سنده في الحياة و الذي كان مثالا عن النشاط مشلولا و عاجزا عن الحراك، و ما زاد كربه هو عدم قدرته حتى على الاتصال به للاطمئنان عليه، بسبب الوعد الذي كان ملزما بقطعه لأخته، ضم الرسالة لصدره و انهار على الأرض باكيا و هو يحس لأول مرة بألم روحي و نفسي أقوى بكثير من كل أنواع الآلام الجسدية.

******

كانت الساعة تشير للثانية عشرة زوالا، خرجت تِتريت من مكتبها و اتجهت لمكتب وائل، نظرت إليه بحنق قائلة:

- ألا تريد تناول الغداء؟

رفع وائل نظره باتجاه الساعة ليفهم سبب غضبها، فقد حلت استراحة الغذاء بينما كان هو منهمكا في أعماله المكتبية، تناول معطفه و اعتذر منها ثم خرجا من الشركة باتجاه أحد المطاعم الصغيرة المجاورة.

كان وائل مسرورا جدا لأن صداقته بتِتريت عادت لسابق عهدها، فقد عادا أخيرا لتناول الغذاء معا و عادت أحاديثهما في الهاتف و المواقع الاجتماعية طويلة كما كانت قبل دخول ليل على الخط، فالعقبة الوحيدة التي كانت بينهما سابقا أزيلت بنجاح، رغم تأنيب الضمير الذي كان يؤرقه في السابق إلا أنه تجاوز الأمر الآن، فحتى الضمير الحي نستطيع قتله مع الزمن.

****

كان ليل في المطحنة حين دخل السيد عمر و معه رجلان من الدرك، و ما إن ألقيا السلام حتى تسمر ليل في مكانه، فقد أيقن أنهم قد تتبعوا رسالته و جاؤوا للقبض عليه، لم يدر ما عليه فعله فما كان منه إلا أن ظل واقفا دون حراك، تقدم السيد عمر بابتسامة ثم قال:

- هذان الرجلان هم من حماة الوطن كما ترى و قد انتقلوا للعمل هنا حديثا و أحببت أن أعرفهم عليك.

نظر إليهم بابتسامة مصطنعة مرحبا، ليكمل السيد عمر:

- فإن أرادا أي نوع من أنواع الحبوب فأرجو أن تلبي طلبهما دون مراجعتي، هل كلامي مفهوم؟

- نعم يا سيد عمر.

ثم التفت نحو الدركيين و هو يشير إلى ليل بيده اليمنى:

- هذا ليل، إنه المسؤول عن المطحنة، إن احتجتم أي شيء فلا

تترددوا.

شكره الدركيان ثم انسحبا بهدوء رفقة السيد.

تنفس ليل الصعداء، أدرك أن لا أحد يمكنه أن يصل إليه و هو في أقصى الجنوب الشرقي، كما لا يمكن أن يشك أحد في رسائله المبعوثة باسم السيد عمر، جلس على الكرسي و هو يفكر فيما قرأه ليلة الأمس في رسالة ميسون و كيف يمكنه أن يسألها عن حال والده في الرسالة القادمة دون أن يثير شكوك والدته، فلم يجد حلا سوى أن يضع ملاحظة في نهاية الرسالة باللغة الإنجليزية، فهو كان يعلم جيدا أن لا أحد يتحدث الإنجليزية في المنزل غيرها.

بعد بضعة أيام كان كل أفراد عائلة ليل مجتمعين في غرفة الوالد، بما فيهم رقية التي جاءت خصيصا لسماع رسالة ليل، فتحت ميسون الرسالة لتفاجأ بأحرف إنجليزية في أخر الورقة، فهمت معنى الكلمات من النظرة الأولى حاولت تمالك نفسها ثم قرأت الرسالة، كان ليل يتحدث فيها دون أن يوحي بأنه يعلم حقيقة ما يحدث فقد استهل أسطره بمباركة زواج رقية، ثم طمأنهم على نفسه ليسأل بعدها عن جديدهم، ثم أضاف بعضة أسطر يصر فيها على إرساله للمال رغم اعتراض أمه، و لم ينس طبعا أن يسأل والده عن أحوال أصدقائه في المقهى، كانت الدموع تتسلل من عيني ميسون رغما عنها وهي تقرأ الرسالة لم يفهم أحد السبب، فقد كانت كل أخبار ليل المدونة تبعث السرور و الفرحة لا الألم و الحزن، لكن ميسون هي الوحيدة التي أحست بالألم الذي يمزق قلب ليل و كيف أنه حاول أن يحافظ على وعده رغم الأشواك المنغرسة في صدره.

بعد الانتهاء من الرسالة مسحت ميسون دموعها، ناولت أمها مبلغ 1500 درهم الذي أرسله ليل ثم احتفظت بالرسالة في جيبها و توجهت لغرفتها بعد أن وعدت أمها بكتابة رسالة لليل في يوم الغد. جلست على مكتبها و ملاحظة ليل لا تفارق تفكيرها.

"لقد توصلت برسالتك و أشكرك لإعلامي بما حصل، أتمنى منك أن تستمري في الكتابة لي بنفس الطريقة".

توالت الشهور و توالت معها رسائل ليل لعائلته، و كما وعد أخته ميسون استمر في إرسال المبلغ المالي الموعود كل شهر. في صبيحة أحد الأيام، استيقظت أم ليل على وقع طرقات الباب، ارتدت عباءتها و اتجهت نحو الباب، لتجد ميسون تقفل الباب و تدخل المنزل بعد أن تسلمت رسالة من ساعي البريد، كانت الحيرة بادية عليها، مما دفع أمها للاستفسار:

- خيرا لماذا تبدين شاحبة؟

رفعت ميسون الظرف باتجاه أمها ثم ردت:

- إنها رسالة من ليل.

ابتسمت الأم و انقضت على الرسالة قائلة:

- هذا أمر مفرح فلماذا أنت مرتبكة.

- اليوم هو 12 من الشهر و ليل اعتاد على إرسال رسالة أول كل شهر، هذه الرسالة لا يجب أن ترسل إلا بعد 18 يوم و ليس الآن، أنا غير مطمئنة.

أعادت الأم الرسالة لميسون :

- اقرئي الرسالة و كفاك فلسفة.

فتحت ميسون الرسالة و كان أول ما لفت نظرها هو المبلغ الذي رافق الرسالة، فقد كان ضعف ما اعتاد ليل إرساله، أخرجت الرسالة ثم بدأت بقراءتها جهرا:

" والداي الحبيبان، أختاي العزيزتان،

أعلم أن رسالتي هذه قد تفتح باب أفكاركم على مصراعيه، لأنني

أرسلتها في وقت سابق لأوانه، كما أن ما سيزيد من حيرتكم هو المبلغ المالي الإضافي الذي يرافق الرسالة و الذي لابد أنكم لاحظتموه، أعلمكم أعزائي أنه في الوقت الذي ستصلكم فيه رسالتي هذه سأكون قد غادرت منزل السيد عمر، لذلك لا داعي أن ترسلوا لي ردا في العنوان السابق، بل انتظروا إلى حين أن أبعث لكم رسالة بعنواني الجديد، أتمنى أن تحترموا ما اتفقنا عليه و أن لا تتصلوا بي إلا في الحالات الطارئة. أما عن سبب مغادرتي لمنزل السيد عمر فالقصة هي كالتالي، كانت أحوال العمل مزدهرة جدا في الآونة الأخيرة، بل وازداد عدد الزبائن بشكل ملحوظ جدا، صرت أسير العمل كله بنفسي فالسيد عمر صار ينسى كثيرا مؤخرا، أعلم أن النسيان هو أمر طبيعي بالنسبة لشخص في مثل سنه و لكن الأمر كان أكبر من ذلك، فمع مرور الوقت، تفاقمت حالته و صار يتحدث عن أحداث لم تحصل من قبل و يصر على وقوعها و يغضب كثيرا حين نحاول أن نصحح له ما حصل، لكن ما زاد الطين بلة هو تغير حالته المزاجية فقد صار متخوفا و عنيفا، فقد كان يقول أنه شاهد أحد اللصوص في غرفة نومه و أنه ما إن نهض من فراشه حتى صعد اللص للسطح و اختفى بعد ذلك، و في الخميس الماضي و بينما كنت أهم بالرحيل من بيته بعد تناول العشاء، أصر علي أن أبيت مع عائلته في المنزل، فقد قال أن وجود رجل شاب في المنزل قد يخيف اللص، لم أستطع رفض طلب الرجل الذي آواني، أعطتني زوجته بعض الأغطية و ذهبت هي للنوم مع الفتيات بينما نمت أنا مع السيد عمر في غرفة الجلوس، و بسبب الإرهاق نمت كطفل صغير لم أشعر بشيء إلى أن استيقظت مفزوعا على صراخ السيد عمر، فتحت عيناي بصعوبة لأجد الحاج واقفا و هو يحمل عصا خشبية يلوح بها مهددا باتجاه الباب، رميت الغطاء جانبا و اتجهت نحو الباب لأجد المفاجأة التي لم أتوقعها. لم أجد أحدا أمام الباب كان الحاج يحدث و يصرخ في الفراغ، حاولت أن أهدئه و لكن عبثا لم يكن يستمع لي و لا لزوجته التي التحقت بنا

بسبب صراخه، كان يصر أنه رأى لصا و أنه كان على وشك الإمساك به لو لم أتدخل، مما دفعه لاتهامي أنني متواطئ مع اللص و أنني أنا من فتحت له الباب، انزلق بعدها من يدي و توجه نحو باب المنزل أقفله بالمفتاح ثم أخد الهاتف و ركب رقم الدرك، أخذت منه الهاتف دون تردد و رميته من النافذة، فالشرطة و الدرك هم آخر من أتمنى لقاءهم في عالمنا هذا، حاولت زوجته إقناعه ببراءتي لكنه لم يرد الاستماع، حينها فقط علمت أن السيد عمر لم يعد في حالة عقلية و نفسية تسمح له بتحليل الأمور بعقلانية، و رغم أفضاله الكبرى علي لم أكن مستعدا لأن يقبض علي بسبب هلوساته. حينها فكرت في مسايرته، أخبرته أنني متأسف جدا لما حصل و أن الشيطان هو من أغواني و أنه يجب علينا أن نذهب معا لمركز الدرك لإعطاء إفاداتنا حول الحادث، و أنني أعلم جيدا من هو اللص، علمت زوجتة السيد عمر بما أحاول فعله و سايرتني في اللعبة، حتى أنها كبلتني باستعمال حبل وجدته في القبو، و بهدوء و بعد أن اقتنع أعطاها المفاتيح لتفتح الباب و ذهب لإحضار بطاقته الوطنية، و طبعا اغتنمت الفرصة و ذهبت مباشرة لبيتي الصغير أخذت أغراضي و المال الذي كنت أوفره و اتجهت مباشرة لأحد البقالين.

أخذت ورقة و قلم وكتبت هذه الرسالة، التي سأضعها في أقرب صندوق بريد أصادفه، كما وضعت مبلغا مضاعفا لأنني لا أعلم كم من الوقت سيلزمني قبل أن أجد عملا مستقرا آخر.

في الختام أعزائي أتمنى أن لا تقلقوا لأنني سأجد عملا آخر قريبا، كما أتمنى أن لا ترسلوا أي رسائل لبيت السيد، و إن حصل طارئ ما لا تتردوا في الاتصال بي.

مع حبي و إخلاصي، ليل. "

****

كان وائل واقفا في محل بيع المجوهرات يتأمل الخواتم الذهبية و الفضية بينما كانت البائعة مشغولة مع أحد الزبائن، كان يفكر فيما عليه شراؤه لتِتريت بمناسبة عيد مولدها، كان يتمنى لو يشتري لها خاتما يعلن لها به عن حبه و لكنه تراجع خوفا من ردة فعلها.

- تفضل سيدي هل أساعدك بشيء؟

نظر باتجاه البائعة لينتبه أن الزبون قد خرج من المحل و أنه دوره هو التالي، تقدم منها بهدوء قائلا:

- أريد هدية لصديقتي.

- و أي نوع من الهدايا تريد؟

نظر وائل من خلال الزجاج للمجوهرات و الحيرة تغلف وجه.

- صراحة لا أعرف، و كنت أتمنى أن تساعديني في اختيار الهدية، فأنا لا أفقه كثيرا في أمور الفتيات.

ابتسمت البائعة و أشارت له ليجلس:

- هل هي أول هدية تقدمها لها؟

- لا ليست أول هدية و لكن بصراحة الظروف اختلفت الآن.

اتسعت عينا البائعة من الفضول و أحنت رأسها باتجاهه بصوت يشبه الهمس:

- ماذا تعني ؟

- كنت أقدم لها قبلا هدايا و لكنها كانت عادية لأنها كانت مجرد صديقة، أما الآن فقد تطورت علاقتنا على ما أظن.

- حقا؟ هذا رائع، اسمع سأجد لك هدية مناسبة و بثمن لا مثيل له، لكن على شرط أن تخبرني أمرا.

- ماذا يجب أن أخبرك؟

- أخبرني كيف علمت أنك تحبها و أنها لم تعد مجرد صديقة؟

اتكأ وائل على الكرسي ساندا ظهره، كأنه يحاول التأمل فعلى قدر بساطة السؤال، كان من الصعب إيجاد إجابة بسيطة له، فقد كان كسؤال فلسفي، استغرق في التفكير مدة قبل أن يقول:

- الأمر ليس بسيط الشرح كما يظن البعض لكن سأحاول تبسيطه، كانت في البداية مجرد صديقة، كنت أحبها و لكن كما يحب المرء صديقه، كانت تعتبرني صديقتها التي تخبرها كل أسرارها و كنت أعتبرها صديقي الذي أحب مجادلته و التحدث معه في كل الأمور دون أي خطوط حمراء، مر على صداقتنا أكثر من عام و في لحظة بسيطة انقلبت كل حياتي دون أن أدري، صرت أفكر فيها طوال الوقت، و حين أشاهد فيلمًا أو أقرأ كتابا أو أسمع طرفة، أتمنى لو أستطيع مشاركتها بالأمر، صرت أتمنى أن تشارك معي كل لحظاتي، حين أفرح أجد نفسي أبعث لها رسالة بما يفرحني، و حين أحزن أجد أنها أول من أتمنى مشاركتها بالأمر، و في كل مرة أتناول الهاتف لأتفقده إن أرسلت رسالة جديدة و حين لا أجدها أقرأ المحادثات القديمة، كنت أتفقد هاتفي أكثر من أربع مرات في الدقيقة الواحدة، و أحاول أن أتظاهر باللامبالاة حين لا أجدها ردت على رسالتي و لكن حين أسمع صوت رسالة و أجدها هي من بعثتها لا أتمالك وجهي الذي يصر على الابتسامة و لا أتمالك قلبي الذي يرقص فرحا، كنت في كل مرة أحاول أن أقنع نفسي أنني أعاملها كما أعامل أصدقائي الذكور، و أنني أغضب منهم هم أيضا حين لا يردون على رسائلي و لكن مع مرور الوقت اتضح لي أنني تخطيت خط الصداقة دون أن أدري، ففي غفلة مني صرت أتمنى أن تكون بجانبي طوال الوقت و أريدها أن تعتبرني مميزا كما أعتبرها، و لم أكن أنتبه أنني كنت لا إراديا أرفض صداقات و علاقات فتيات أخريات بي، أتعلمين كنت أدفع بهم خارجا

لأنني كنت أريد أن تستحوذ هي وحدها على قلبي و أن تكون مساحة حياتي لها بشكل حصري، و هذا ما لا يحدث عادة في الصداقة.

كانت البائعة تستمع بإمعان لكل كلمة يقولها وائل، و بعد أن أنهى حديثه، أطلقت تنهيدة قوية كأنها تحاول تحرير قلبها ثم نهضت، أحضرت علبة صغيرة من الغرفة المجاورة و قبل أن تناولها لوائل قالت:

- اسمع، أتمنى فعلا مساعدتك و لذلك أجد هذه الهدية هي الخيار المثالي.

تناول وائل الهدية، فتحها ليجد فيها حلية من النوع الذي يكون فيه سوار رقيق مرتبط بخاتم البنصر بواسطة سلسلة بطول اليد، أخرجها من العلبة قائلا:

- إنها جميلة جدا، لكن لا أريد أن أقدم لها خاتما فهذا قد يجعلها تشعر بالضيق.

- لا عليك فهذا ليس خاتم، فبدل أن تشتري لها سوار، الذي يعد رمزا للصداقة أو خاتم تتوج به حبك، أنت بهذه الهدية تكون قد تقدمت خطوة في طريق الحب و ابتعدت بخطوة من مساحة الصداقة.

فكر وائل و وجد أن البائعة معها كل الحق، فما كان منه إلا أن دفع ثمنه بعد أن غلفته و ذهب للبيت.

****

جلست تِتريت على مكتبها و تناولت ورقة و قلم لتكتب رسالة لنفسها، فقد تعودت أن تكتب كل عام رسالة بمناسبة عيد مولدها، تتحدث فيها مع نفسها المستقبلية و تخبرها بما حصل أو بما تتمنى حصوله، كانت في الرابع عشر من عمرها حين بدأت هذه العادة، كان طلاق

والديها و هجران أبيها لها سببا في انكسارها و انهيارها، كانت مشاعر الألم و الحزن تنهشها من الداخل و لم تكن تقوى على إخبار أحد بما تشعر به، بل كانت تحاول أن تكون قوية من أجل أمها، فما كان منها إلا أن بدأت بكتابة رسائل لنفسها بشكل سري، كانت تدون في رسائلها أفكار و مشاعر، كانت تكتب كل ما يدور في بالها و كل ما لا تريد أن تنساه أبدا. وضعت القلم جانبا و هي تفكر فيما عليها أن تكتبه في رسالة هذه السنة، تسللت دمعتان من عينيها و بتردد كبير تناولت القلم مرة أخرى، أخذت نفسا عميقا استجمعت به قواها ثم بدأت في كتابة الرسالة:

" عزيزتي تِتريت، اليوم هو عيد مولدي و كما تعودت أكتب لك هذه الرسالة لأخبرك بما حصل معي هذه السنة، هناك أحداث كثيرة لا أعلم من أين أبدأ و أعلم جيدا أنك ستفاجئين من وقع الأحداث ولكن سأخبرك على كل حال، هل تذكرين الشاب اللطيف الذي تقدم لخطبتي منذ سنة و نصف، الشاب الذي كان يعمل معي و الذي كنت سأتزوجه في الصيف الماضي؟ لقد هجرني، بل و هجر أهله و بيته، لقد اختفى في أحد الأيام كأنه لم يتواجد يوما، لقد ترك جرحا عميقا في قلبي و فراغا لا أفهم ماهيته، حاولت الاتصال به عدة مرات و لكن دون جدوى، أخبرني وائل أنه واقع في مشكلة مع الشرطة بسبب تقربه من قاصر، من كان يتوقع أن ليل يجرؤ على فعل أمر كهذا، لقد دمر حياتي و حياته بطيشه، فلست الوحيدة التي تعاني من جراء فعلته بل طال الضرر عائلته، و خصوصا والده الذي فقد الإحساس بأطرافه الأربعة، حاولت نسيانه كل هذه المدة و لكن دون جدوى، لن أقول أنني لازلت أحبه فلا أظنني أفعل، لكن قلبي يعتصر من الألم كلما تذكرت ما حصل لي بسبب طيشه، فقد دخلت في دوامة اكتئاب و كنت على حافة الانهيار لو لم يتواجد وائل بجانبي، فقد سامحني على كل ما تفوهت به من حماقات، بل و ساندني حتى تخطيت محنتي و لا زال يساندني إلى الآن، فاليوم وجدت رسالة هاتفية منه، يطلب

مني فيها أن أقابله في مقهى الشاطئ، أتعلمين لابد أنه تذكر عيد مولدي و لابد أنه أحضر لي هدية ككل سنة، إنه فعلا خير سند لي في هذه الحياة، في بعض الأحيان أتساءل لماذا أغرمت بليل؟ لماذا لم ...؟

في الختام عزيزتي أتمنى أن تصلك رسالتي هذه و أنت في كامل الصحة و العافية، و إلى اللقاء في السنة المقبلة.

****

كانت حالة والد ليل تسوء يوما بعد يوم، فرغم تناوله للأدوية و قيامه بحصص الترويض الطبي، إلا أنه لم يشهد أي تحسن، كانت فاطمة هي من تقوم بتحميمه و إطعامه و إلباسه حفاظاته، صار مجرد جثة هامدة لا يقوى على شيء، لا يربطه بالحياة سوى أنفاس شهيق و زفير، تفاقمت حالته أكثر في الأسبوع الماضي و لمدة أكثر من يومين، كان يستفرغ كل ما يتناوله، لم تتردد زوجته في أخده للمستشفى، و بعد تشخيص حالته وجد أنه يعاني من التهاب في الكلى.

عادت فاطمة للبيت رفقة زوجها بعد أن قضى النهار بطوله في المستشفى، حممته و ألبسته ثيابه ثم تركته لينام، خرجت لتشتري الدواء الذي وصفه الطبيب و عادت بسرعة للمنزل كي تطمئن عليه فميسون ذهبت في رحلة مع تلاميذ المدرسة، تفقدته و أضافت غطاء صوفيا على جسده العاجز ثم نزلت للطابق السفلي، ارتمت على الأريكة فقد كان جسدها منهكا، فكرت للحظة أن امرأة في سنها لم تعد قادرة على كل هذه الضغوطات، فتحت حقيبتها و تناولت محفظتها، فتحتها و ألقت نظرة على 100 درهم المتبقية و التي يجب أن تقضي بها ما تبقى من أيام الشهر، كانت الأدوية التي اشترتها غالية جدا و لم يعد معاش زوجها و أجرة ابنتها تكفيان، حتى المساعدة التي كان ليل يرسلها انقطعت منذ أكثر من 3 أشهر، اعتصر قلبها حين تذكرت انقطاع أخبار ليل، أغمضت عيناها فتسربت دمعة على

خدها، مسحتها بسرعة و نهضت للاتصال بميسون.

****

استيقظت مروى مفزوعة من النوم، كانت أنفاسها المتتالية توازي تسارع دقات قلبها، أزاحت الغطاء عنها و نهضت من فراشها باتجاه المطبخ بحثا عن كأس ماء تبلل به حلقها الجاف، شربت الماء دفعة واحدة و جلست على الكرسي الأقرب إليها و هي تفكر في الكابوس الذي أيقظها، لم تكن تلك أول مرة تشاهده فيها، كانت كل مرة تجد نفسها في مكان مظلم و فجأة تلمح ضوء شمعة يتحرك أمامها، و بدون أي تردد تتبع المصدر و تنادي على حامله كي ينتظرها و لكن دون جدوى، و دون أن تنتبه تسقط في حفرة عميقة، و بينما هي تتلوى من الألم تسمع صوتا قادما من الأعلى، ترفع عينيها باتجاه الصوت و بصعوبة تشاهد الرجل الذي يحمل الشمعة، لم يكن شخصا غريبا بل كانت تعرفه حق المعرفة، فقد تسببت له بأكبر مأساة، تحاول في كل مرة أن تستعطفه ليخرجها من الحفرة إلا أنه و في كل مرة يضع الشمعة جانبا و يأخذ رفشا و يبدأ في رمي التراب عليها محاولا دفنها، تترجاه و تتوسل له و لكن دون جدوى، و حين يتخطى التراب فمها تبدأ بالاختناق و تستيقظ من الكابوس.

****

مضى أكثر من أربعة أشهر على مغادرة ليل لمنزل السيد عمر، لم يكن إيجاد عمل جديد أمرا سهلا كما كان يتوقع فبدون توصيات من الصعب جدا أن تجد عملا، صار يعمل مياوما في الأسواق، يحمل السلع للناس، يساعد التجار في حمل الصناديق و يجمع بقايا الخضر ليبيعها لمزارع الحيوانات، لم يكن يجني الكثير فغالبا ما كان ينفق ما يجمعه في اليوم ذاته، لم يراسل عائلته منذ مدة، ليس لأنه لم يجد طريقة لذلك، فقد كانت صناديق البريد في كل مكان و كذلك الهواتف العمومية التي يصعب تتبعها حسب ظنه، بل لأنه كان خجلا من عدم

إرساله لهم أية مساعدة منذ مدة، كان يحاول توفير بعض المال لإرساله و لكن لا فائدة فبعمله اليومي كان من المستحيل فعل ذلك، في بعض الأحيان كان يتساءل ماذا حل بتِتريت، فهو لم يعرف عنها شيئا منذ أكثر من سنة و نصف، لم يحاول أن يتصل بها طبعا و لا سؤال عائلته عنها، و كم كان من الصعب عليه أن يفوت عيد مولدها دون أن يهنئها، لكن لم يكن بيده حيلة فسلامتها أسبق من سعادتها.

في صبيحة يوم الاثنين، استيقظ ليل على وقع طرقات قوية على باب غرفته، أزاح الغطاء عنه بسرعة و نهض باتجاه الباب و بتردد كبير سأل:

- من هناك؟

- إنه أنا زيد.

كان زيد شريكه في السكن، فقد كان إيجار الغرفة مرتفعا جدا، و لا يمكنه تحمله لوحده، فتح ليل الباب:

- و لكن أين مفاتيحك؟

- لقد نسيتها، جئت لأخبرك أن هناك مطعما جديدا قد افتتح بالجوار و وضعوا إعلانا عن حاجتهم لبعض المساعدين، ما رأيك؟

- في ماذا؟

- يجب أن نتقدم للعمل بسرعة، هيا ارتدي ملابسك و اتبعني.

- آه ، حسنا انتظر 5 دقائق.

ارتدى ليل ملابسه بسرعة و ذهب رفقة زيد، لم يكن هناك أناس كثيرون أمام المطعم، فقط فتاتان عشرينيتان و رجل سمين في منتصف العمر، وقفا بجانبهم و انتظروا دورهم في الدخول، لكن المفاجأة هو خروج رجل عجوز يضع نظارة شمسية، نظر إليهم و تفحصهم ثم طلب منهم الدخول دفعة واحدة، تقدم الجميع إلى

الداخل و وقفوا بقرب نافذة مطلة على حديقة صغيرة، جلس الرجل العجوز أمامهم مباشرة، ثم قال:

- يبدوا أنكم محظوظون جدا، فلم يأت الكثيرون للتقدم لهذه الوظيفة، لذلك قررت تعينكم أنتم الخمسة.

حدق الجميع فيه باستغراب ليكمل قائلا:

- لا داعي للاستغراب، فحين نظرت إليكم مسبقا وجدت أنكم جميعا مناسبون للعمل هنا، و ستكون مهامكم كالتالي:

الفتاتان ستعملان على خدمة الزبائن، أما بالنسبة لك يا سيد (و أشار للرجل السمين) فستعمل مساعدا لي فأنا الطباخ في هذا المطعم.

ثم نظر إلى زيد و ليل متسائلا:

- من منكم يجيد سياقة الدراجة النارية؟

تقدم زيد رافعا يده:

- أنا يا سيدي.

- حسنا إذا، أنت ستتكلف بإيصال الطلبات للزبائن في منازلهم، أما أنت (مشيرا لليل) فستكون مهمتك مقتصرة على غسل الأدوات و الأواني، هل الجميع موافقون على مهماتهم ؟

هز الجميع رؤوسهم إيجابا.

- رائع، لم يتبق لي سوى التعرف عليكم و سأكون ممتنا لكم إن ملأتم الأوراق الموضوعة على الطاولة، لكي أتعرف عليكم أكثر، و غدا إن شاء الله سيكون أول يوم عمل لكم، أما بالنسبة لأجركم، فستتقاضون 2500 درهم لكل واحد منكم ، إضافة للبقشيش الذي سيوضع في تلك العلبة و ستتقاسمونه جميعكم، و بالطبع فوجبات

الغذاء و العشاء هي على حساب المطعم، من يناسبه العرض فليرجع غدا على الساعة التاسعة و شكرا.

دخل ليل الغرفة رفقة زيد و هما لا يكادان يصدقان أنهما حصلا على عمل بمرتب شهري ثابت، جلس ليل و أخد ورقة و قلما و بدأ في حساب مصاريفه الشهرية و ما يجب أن يرسله لإعانة أهله:

*500 درهم حصتي من ثمن الكراء.

*500 درهم لمصاريف أخرى.

*الباقي هو 1500 درهم.

بدت على وجهه ابتسامة كبيرة و هو يفكر أن هذا المبلغ سيكون كافيا لتخفيف بعض الحمل عن أمه و أخته، ابتسامة سرعان ما اختفت حين تذكر أن هذا المبلغ لم يكن يمثل حتى نصف الأجر الذي كان يتقاضاه حين كان يعمل في الشركة العامة، وضع الورقة جانبا و هو يفكر كيف تنقلب الحياة رأسا على عقب في طرفة عين.

****

مضت أيام عدة حاول فيها وائل مفاتحة تِتريت في موضوع الزواج، لكنه في كل مرة كان يجلس معها في العمل أو يخرجان معا للتنزه، كان يشل لسانه و لا يكاد ينطق بكلمة حولهما معا، كان يخشي في كل مرة ردها بل و كان لا يعلم كيف يخبرها بالأمر، فحين تدخل في دائرة الصداقة أو ما يصطلح عليها باللغة الإنجليزية "friend zone" يصير من الصعب جدا مغادرتها، كان يلمح لها ببعض الاحتمالات و الجمل و في بعض الأحيان كان يستحضر قصص أصدقاء صاروا أحباء و أزواج و يتساءل عن رأيها، و لكن لم يستطع أن يستنتج رأيها فقد كانت متكتمة و كأنها كانت تعلم أين يحاول الوصول.

مضت أشهر عدة و هو على حاله، لم يستطع التحدث معها بصراحة

عن مشاعره، إلى أن جاء اليوم الذي خشي قدومه فقد سمع أحد الموظفين يتحدث عن تِتريت و عن رغبته في التقدم لها، حاول تمالك أعصابه لكن ذلك لم يكن يكفي، كان يجب عليه التحدث معها مباشرة كي يتفادى ما حصل مع ليل سابقا.

خرج وائل من العمل ثم اتصل بتِتريت، لم يعلم ماذا عليه أن يقول لكنه علم أنه يجب عليه قول شيء ما:

- ألو، وائل، كيف حالك؟

- بخير، و أنت؟

- بخير،

- أخبريني هل أنت مشغولة الليلة؟

- لا أظن لماذا؟

- أنا في مأزق نوعا ما و أتمنى لو تستطيعين القدوم لمقهى الشاطئ.

- بالطبع سأحضر، متى تريد أن نلتقي؟

- الساعة السابعة تناسبك؟

- سأكون هناك.

كان وائل يرتشف فنجان قهوة و هو يفكر في السناريوهات التي يمكن أن تحدث و كيف يجب عليه أن يخرج بأقل الأضرار الممكنة، حين حضرت تِتريت كانت تهم بالجلوس حين طلب منها أن لا تفعل و أن تتمشى معه لأنه يحتاج مشورتها، وافقت على طلبه رغم استغرابها، و دفع ثمن قهوته لينصرفا و بينما هما يمشيان افتتح وائل حديثه:

- تِتريت، لطالما ساندتك و اليوم أريد أن تفعلي نفس الشيء.

- طبعا سأفعل، ما الأمر؟ بدأت تقلقني.

- لا داعي للقلق، كل ما في الأمر أن هناك فتاة أعجبت بها و...

توقفت تِتريت عن المشي، و نظرت إليه بحزن ثم اصطنعت ضحكة بصوت عالي تردد صداها قائلة:

- حقا، كبرت يا بني و صرت عريسا؟؟؟ هههه

- يكفي يا تِتريت دعيني أكمل، لقد أحببتها منذ مدة و لم استطع محادثتها و أريد أن اشتري لها بعض الهدايا لألفت انتباهها.

- حقا، و متى قابلتها يا مشاكس؟

- منذ زمن بعيد، كنت خائفا من الحديث معها، لكن اليوم قررت استجماع قوتي.

- و ماذا تريد مني؟ هل تريدني أن أخطبها لك؟ لأنني مستعدة لفعل ذلك يا صغيري.

- لا، بل أريدك أن تساعدين في شراء الهدايا.

ثم أمسك بيدها، احمرت تِتريت خجلا ليكمل:

- أظنها تملك نفس مقياس يديك، لذلك سأحتاج أصابعك الجميلة لشراء الخاتم و ذوقك الرائع لشراء عطر أخاذ.

سحبت تِتريت يدها قائلة

- لكن يداي الجميلتان و ذوقي الرائع له ثمن فبماذا تعدني؟

- سأشتري لك هدية أنت أيضا أعدك.

- حسنا إذا، بماذا تريدنا أن نبدأ؟

- العطر أولا، ثم الخاتم.

اصطحبت تِتريت وائل مباشرة لبائع عطور تفضله و بدون أي تأخير انتقت العطر الذي وجدته مناسبا، ثم توجها لمحل المجوهرات الذي

يفضله وائل، دخلا و قبل أن تنطق البائعة بأية كلمة، غمزها وائل كي تتراجع ثم تقدم هو و تِتريت لمشاهدة الخواتم.

- ما حدود مزانيتك؟ (تساءلت تِتريت)

- اختاري الأجمل، فلا يهم الثمن.

بابتسامة ساخرة ردت تِتريت:

- أنت تحبها فعلا، لقد ضعت يا بني.

كانت تِتريت تشعر ببعض الغيرة، فلطالما ظنت أن وائل معجب سري بها، لكن اليوم أثبت لها أن هناك من هي أحق به منها، تبادر لذهنها في البداية أن تختار خاتما بشعا، لكن سرعان ما تخلت عن الفكرة فوائل صديقها و لا تريد إحراجه، و بدون تردد أشارت لأجمل خاتم وجدته بالمحل، أخرجته البائعة و ناولته لها لتقيسه، وضعته تِتريت بيدها فناسبها بشكل مذهل، التفتت إلى وائل قائلة :

- إنه الخاتم المثالي، ما رأيك؟

نظر إليه وائل:

- أنا أعتمد تماما على ذوقك، إن أعجبك فهو الخاتم المثالي إذا.

طلب من البائعة أن تضعه في علبته و دفع ثمنه ثم أوصل تِتريت لبيتها ليعود بعدها إلى المنزل.

صعب على تِتريت النوم تلك الليلة، فقد بقيت تفكر كيف أن صديقها العزيز سيتزوج، و رغم أنها كانت جد فرحة لأجله إلا أنها لم تستطع إخفاء حزنها على فقدانها له، فقد كان خير سند و بدونه لا تعرف كيف ستواجه الحياة اليومية، فهو من كان يدخل السرور و الفرحة على قلبها و هو من كانت تلجأ له في حزنها و غضبها، فكرت أن الأشياء الجميلة لا نعرف قيمتها إلا بعد علمنا بفقدانها.

في صباح اليوم الموالي، دخل وائل و توجه مباشرة لمكتب تِتريت، ألقى عليها التحية ثم ناولها علبة مغلفة بورق الهدايا.

- ما هذا؟

- ألم أعدك بهدية البارحة؟ هذه هي.

- لقد ظننتك تمزح، ماذا أحضرت لي؟

- انتظري لا تفتحيها الآن، أرجوك افتحيها حين تعودين للمنزل و أخبريني بعد ذلك عن رأيك.

- يا لك من شخص درامي، حسنا و لكن أخبرني ماذا أجابتك الفتاة؟

- لقد أعطيتها الخاتم و العطر، و أنتظر ردها الليلة.

- حسنا إذا لا تنسى إخباري بما حصل.

- لا تقلقي ستكونين أول من يعلم، لكن أرجوك لا تفتحي الهدية حتى تذهبي للمنزل.

- حسنا.

في المساء دخلت تِتريت للمنزل، غيرت ملابسها ثم تذكرت الهدية التي لا تزال مغلقة في حقيبتها، جلست على السرير و تناولت حقيبتها ثم و دون أي تردد فتحت الهدية.

****

تسلم ليل أول أجرة له، كانت تقارب 3000 درهم، فقد كان الزبائن كرماء جدا هذا الشهر، ربما لأن شهر رمضان اقترب و الناس يحبون أن يظهروا صفات الكرم فيهم مع اقتراب المناسبات الدينية، لم يكن ليل يحتاج سوى 600 درهم من المبلغ، لأجل الكراء و شراء أوراق و بعض الأغلفة أما ما تبقى فقد قرر إرساله إلى عائلته رفقة رسالة يبلغهم فيها بجديده.

أخد ورقة و قلما و بدأ بكتابة الرسالة:

" والداي الحبيبان أختاي الجميلتان، لقد مر وقت طويل جدا على آخر رسالة توصلتم بها مني، ربما قرابة الخمسة أشهر، كان تمر الأيام علي كأنها دهر، لكن لم أستطع أن أرسل لكم ظرفا يحمل ورقة مكتوبة فقط، فقد عاهدت نفسي أن لا أراسلكم إلا بعد أن أجد عملا، و اليوم أضع في هذا الظرف و بكل فخر أول مبلغ جنيته هذا الشهر من عملي في أحد المطاعم، أتمنى من كل قلبي أن يساعدكم و لو قليلا على تخطي مصاعب الحياة، أعلمكم أعزائي أنني أسكن مع شاب في منتهى اللطف اسمه زيد فهو الذي دبر لنا العمل، لكن رغم ذلك لا أستطيع أن أطلق عليه وصف صديق، فهذه الكلمة نسيت وجودها تماما منذ حصول الحادث الذي غير مسار حياتي، في العمل تعرفت على أناس جدد فهناك فتاتان لطيفتان أمل و سمية، إضافة إلى مصطفى صاحب المطعم و مساعده أحمد، لم يمضي على تعارفنا سوى شهر واحد و بضعة أيام، و لكن صرنا نتعامل فيما بيننا كأننا عائلة واحدة، كيف لا و نحن نمضي أكثر من 12 ساعة مع بعضنا البعض، كما أننا نتناول وجباتنا معا في المطعم و هذه إحدى مميزات عملي الحالي.

في الختام أعزائي، أتمنى فعلا لو ترسلون لي في أقرب وقت رسالة تخبرونني فيها عن جديدكم و عن صحة والدي و أمي، كيف هو زواج رقية؟ هل هي سعيدة؟ و ماذا عن ميسون هل بدأت تصنع فارقا في العالم بعملها كما كانت تحلم دائما؟ أتمنى فعلا أن تخبروني بأصغر التفاصيل فأنا لا أمل من قراءة رسائلكم السابقة فهي كل ما يربطني بهذا العالم، و كالعادة لا تترددوا في طلب أي شيء تحتاجونه، فإن كنتم في حاجة لمزيد من المال، أستطيع تدبر عمل ليلي يرفع من مساعدتي المالية، كما أتمنى أن لا تتصلوا بي إلا في الحالات الطارئة كالعادة، و أخيرا أريد أن أسألكم عن أمر لطالما ترددت في التحدث

بشأنه معكم، كيف حال تِتريت؟ هل لا زالت غاضبة مني؟ هل لازالت تزوركم من حين لآخر؟ أخبروني الحقيقة، فقد كنت أفكر فيها كثيرا مؤخرا، حتى أنني أفكر في أن أراسلها و أعتذر منها، ما رأيكم؟

مع حبي و اشتياقي."

****

كان وائل يشاهد التلفاز في غرفة معيشته حين سمع هاتفه يرن، رفع السماعة:

- ألو.

- أقبل.

اعتدل في جلسته و هو لا يكاد يصدق ما سمعه للتو:

- ماذا؟

- أقبل بك زوجا أيها الغبي، لقد فاجأتني رسالتك لكنني أقبل.

- حقا؟ أنت لا تتصورين مدى فرحتي.

- و أنت لا تتصور مدى صدمتي حين وجدت الخاتم و العطر الذي اخترته في العلبة إضافة لتلك الرسالة، أنت حقا شخص لا يمكن توقع أفعاله.

- سأعتبرها مجاملة، آسف لأنني لم أستطع مواجهتك فقد خشيت أن ترميهم بوجهي، لذلك فضلت أن تفكري وحدك و تقرري بهدوء في المنزل.

ران صمت بينهما للحظات قبل أن تكسره تِتريت:

- أحسنت باتخاذك هذا القرار و لكن الرسالة كانت أفضل هدية بالنسبة لي، أعدك أنني سأحتفظ بها إلى الأبد.

إحمر وائل خجلا و حمد الله أنها لا تستطيع رؤية تأثير كلامها عليه، لتكمل بعدها:

- حسنا سأدعك الآن و غدا سنناقش تفاصيل الخطبة، ما رأيك؟

- بكل سرور، تصبحين على خير.

أقفلت تِتريت الخط و أخذت تتفحص بابتسامة، ثم تناولت الرسالة و بدأت قراءتها من جديد و هي تفكر في مدى روعة كل كلمة و كل جملة:

" عزيزتي تِتريت، لا بد أنك تفاجأت كثيرا حين وجدت الخاتم و العطر اللذين اخترتهما على ذوقك لأقدمهما للفتاة التي أحبها، و أطمئنك عزيزتي أنني لم أخلط العلب، بل الرسالة و العلبة موجهة لك أنت، أنت وحدك، فلم يكن أحد غيرك في حياتي و لن يكون، فأنت الاولى و الأخيرة، أتذكرين حين أخبرتك أنك ستكونين أول من يعلم برد الفتاة على طلبي، هذا ما عنيته، فطبعا ستكونين الأولى لأنك أنت نفسك الفتاة، قد تتساءلين منذ متى و أنا أفكر بك، أريد أن أخبرك أنه و منذ أول يوم لك في الشركة، أحسست بأن هناك نوعا من الانجذاب بيننا، ظننت الأمر عاديا في البداية فقد كنت رائعة الجمال، و لكن حين تحدثنا معا و بعد مرور سنين على صداقتنا، صار من الصعب فعلا أن أفكر فيك كمجرد صديقة، فقد كنت أعرفك جيدا، لم يكن وجهك الملائكي هو كل ما يجذبني لك، بل كل شيء، شخصيتك، ضحكتك، ابتسامتك و حتى حزنك، كان لكل شيء تقومين به طبعة خاصة، أتعلمين حين كان أصدقائي يسألونني قبلا ما مواصفات فتاة أحلامك، كنت دوما أصف فتاة طويلة ذات شعر أسود طويل، و كنت أعشق السمراوات فقد كنت أظن أن فيهن جمالا خاصا، و لكن قلبي خفق لك أنت وحدك متجاوزا كل الشروط التي حددها عقلي مسبقا، و هذا ما جعلني حائرا في البداية، فقد أعجبت بك أنت و أحببتك رغم عدم توافقك مع الصورة التي لطالما رسمتها،

كنت في كل مرة أحاول إقناع نفسي أنك مجرد صديقة و أنني أحبك كما أحب أصدقائي الذكور، كنت أعاتب نفسي في كل مرة أتوهم أنني أحبك، ولكن مع مرور الوقت بدأت أحس بالتعب، تعبت من محاولة محاربة مشاعري و إخفائها عن نفسي، لم أستطع أن أنكر كم كنت أشعر بالارتياح حين أكون معك أو حين أحدثك، و كم كنت أكره اللحظة التي تودعينني بها، كنت أتفقد هاتفي كل يوم و كل ساعة بحثا عن رسائل منك، و حين لا أجدها أحاول أن لا أغضب و أن أتعامل معك كصديقة، لكن الفرحة التي كنت أشعر بها في كل مرة أتلقى بها رسالة منك كانت أكبر من فرحة تلقي رسالة من صديق ، أتذكرين حين كنت ترسلين لي بعض الأغاني و مقاطع الفيديو، كنت و دون وعي مني أحاول استخلاص رسائل مشفرة منها، أعلم أن حالتي مثيرة للشفقة و لكن هذا هو حال العاشق، لقد بقيت آمل أنك تحبينني سرا، إلى أن جاء اليوم الذي تحطمت فيه كل أمالي، اليوم الذي خطبت فيه لليل، كان وقت عصيبا علي لكنني تحملت ذلك لأن سعادتك هي الأهم حتى لو كانت مع شخص غيري، أستطيع تحمل تعاستي و لكن ليس تعاستك، حين كنت تخبرينني أنك مريضة كنت أظل مستيقظا طوال اليوم و أخشى أن يحصل لك مكروه، حتى لو كانت مجرد نزلة برد، كان كل شيء بالنسبة لي يشكل تهديدا على صحتك، كنت أخشى عليك حتى من نسيم الصباح، لا أستطيع أن أصف لك مدى تعلقي بك، فالكلمات لم تكن يوما صديقتي، و لكن أعلم جيدا أنك تستطيعين استخلاص حبي لك من تصرفاتي خلال السنين الماضية فقد كنت مفضوحا لدى الجميع إلا أنت...

توقفت تِريت عن القراءة للحظات و هي تتذكر كيف كان يتصل بها حين لا تجيب على رسائله، و كيف أنها حين أصيبت بالحمى و غابت عن العمل مدة يومين، بحث عن رقم والدتها و اتصل بها دون أن يحسب حسابا لرأيها في ذلك، و كيف كان يطلب منها بل يؤكد عليها أن تتصل به إن وقعت في أي مشكل، كان يدافع عنها، و يراقبها عن

بعد كان يقوم بدور والدها الذي هجرها و أخيها الذي لم تحصل عليه من قبل، كان يلبس قناع فتاة حين تريد أن تحكي له عن أحداث خاصة، و يرتدي قناع الرجل حين تحتاج لسند يحميها، كان يقوم بكل الأدوار، استغربت كيف أنها لم تلاحظ ذلك يوما، لم يكن يطلب أي مقابل، كان مستمتعا بحمايتها، أغمضت عينيها للحظات كأنها تحاول أن تفرغ عقلها من كل الضغوطات ثم أكملت الرسالة:

الآن و بعد تردد دام سنين، أريد أن أسألك سؤال لطالما طرحته عليك في خيالي بعدة طرق، هل تقبلين أن تلبسي الخاتم الذي اشتريناه معا؟ هل تقبلين الزواج بي؟ أتمنى أن تفكري جيدا و مهما كان جوابك اعلمي أنني سأبقى سندا لك طوال حياتي.

مع حبي و إخلاصي."

******

كان صباح يوم ممطر حين سمعت رقية جرس الباب، نهضت متثاقلة لتفتحه لكن أمها أشارت لها بالجلوس:

- أنا سأفتح، ارتاحي أنت.

كانت بطن رقية الكروية تثقل كاهلها، فقد صار من الصعب عليها القيام بأبسط الأعمال، لذلك طلب منها زوجها البقاء عند أمها إلى أن تضع طفلها، لم يبق لها الكثير فقد دخلت في شهرها التاسع، كان حملا صعبا لكنها تجاوزت مرحلة الخطر. دخلت الأم و على وجهها علامات الفرح، كانت تلوح برسالة أخذتها من ساعي البريد:

- انظري، أخيرا ليل بعث لنا برسالة.

- حقا؟ هاتها لأقرأها لك.

ناولتها الأم الرسالة، فتحتها رقية بعناية، أخرجت ما فيها من مال و أعطته لوالدتها ثم بدأت في قراءة الرسالة، كانت الأم تستمع بتمعن

و الدموع تنهمر من عينيها، لم تستطع تمالك نفسها، كانت جد فرحة ولكن سرعان ما تلاشت ابتسامتها حين سمعت رقية تقرأ الجزء الأخير من الرسالة:

" كيف حال تِتريت؟ هل لا زالت غاضبة مني؟ هل لازالت تزوركم من حين لآخر؟ أخبِروني الحقيقة، فقد كنت أفكر فيها كثيرا مؤخرا، حتى أنني أفكر في أن أراسلها و أعتذر منها، ما رأيكم؟

مع حبي و اشتياقي. "

أحست أن سكينا طعنت قلبها و هي تستمع لهذه الأسئلة، فقد ظنت أن ابنها نسي تِتريت تماما و لكنه لا زال يسأل عنها، كان من الصعب عليها إخباره بالحقيقة بل كان الأصعب هو ترك ابنها عائما في بحر أوهامه و بدون أي تأخير طلبت من رقية كتابة رسالة تخبر بها ليل بكل شيء.

****

" عزيزي ليل،

أسعدنا جدا تلقي رسالتك التي بعث بها لنا، لقد حصل مشكل ما في مكتب البريد على ما أظن، فنحن لم نتلقى الرسالة إلا بعد 22 يوم من إرسالك لها، لقد أخبرنا ساعي البريد أن أحدهم أخطأ و سلمها للمنزل الخطأ، ثم أعادها صاحب المنزل دون أن يفتحها، و بذلك عادت إلينا من جديد، لقد قرأنا الرسالة كلها، و قد فرحنا كثيرا حين سمعنا عن عملك الجديد و كيف عرفك على أناس لطفاء، على الأقل سيساعدك ذلك على تخطي الوحدة التي تشعر بها ، أعلمك أخي الحبيب أننا تسلمنا المبلغ الذي أرسلته و نشكرك جدا فقد كنا في حاجة له، أما بالنسبة لجديدنا، فوالدنا بخير و أمنا كذلك، أما ميسون فتستمتع بعملها و خصوصا الرحلات، ففي كل مرة تكلف بأخذ الأطفال في رحلة لمدينة و منطقة معينة ، و قد ساعدها ذلك

كثيرا على تغيير الروتين اليومي، أما بالنسبة لي فأنا أملك خبرا بمليون درهم، أبشرك أخي الحبيب أنك ستصير خالا عما قريب، فأنا حامل بل و على وشك الولادة، لم يبقى لي إلا أسبوع أو اثنين و سألد أول حفيد لعائلتنا، و أضع سطرا على كلمة حفيد، فقد أخبرتني الطبيبة أنه مولود ذكر، و أفكر بجدية أن أطلق عليه اسم ليل، ليكون وسيما مثلك يا أخي الصغير، أتمنى أن لا تنساني من دعائك، فأنا في حاجة له فالخوف يشل أطرافي حين أفكر في عملية المخاض و كيف سيخرج ليل الصغير من داخلي، أما بالنسبة للموضوع الأخر الذي سألتنا عنه، أقصد تِتريت، فأتمنى يا أخي أن تنساها فقد مر قرابة السنتين على هجرانك لها، كما يؤسفني أن أخبرك أن في السبت الماضي عقد قرانها، لذلك لا داعي لأن تشغل بالك بها فقد تخطت غيابك و بدأت حياة جديدة، كنا سنخفي عليك الأمر لكن لم نردك أن تتعلق بخيوط واهنة، لذلك أتمنى أن تتقبل الواقع و أتمنى أن تنسجم مع أصدقائك أو معارفك الجدد كما تحب أن تسميهم، و أن تصنع لك مستقبلا بعيدا عن هنا. و قبل أن أختم أصرت أمي أن أخبرك أنه قبل شهر تقريبا جاء رجلان من رجال الشرطة يسألان عنك، إنهم نفس الرجلان اللذان جاءا سابقا، لذلك أمرتني أن أحذرك من المجيء فلا تزال الشرطة تحوم حول المكان، أتمنى أن تستمر في مراسلتنا لأننا نقلق كثيرا حين لا تفعل.

مع حب عائلتك المخلصة، رقية"

كان ليل يحاول أن يتماسك أمام زيد وهو يقرأ الرسالة، لكن الدموع المحتقنة في عينيه كانت على وشك فضحه، مما دفعه لوضع الرسالة في جيبه و الخروج من الغرفة بسرعة، ما إن تخطى باب المنزل حتى سمح لدموعه بالتعبير عن حزنه، فقد كان الألم الذي يحس به أصعب من أن يتحمله أو يواجهه بصلابة الرجال، فقد أمل أن تنتظره تِتريت رغم أنه علم أنه أمر مستحيل، على كل حال فقد

انتظرته لبعض الوقت، مسح دموعه و استجمع شجاعته، فلم تكن الرسالة تحمل أخبارا سيئة، فقد علم اليوم أنه سيصبح خالا، كان شعورا لم يستطع وصفه فهو لم يحس به من قبل، فرح لا مثيل له، دعا الله أن تقوم أخته بالسلامة ثم عاد للمنزل ليكتب رسالة رد لعائلته، فلم يبق على موعد استلامه لأجره سوى 9 أيام.

****

توجه وائل و تِتريت معا للعمل بعد انتهاء إجازتهم، أول حضور لهم كثنائي، كان الجميع يلقي عليهما التحية و يبارك زواجهم، لم يستطع وائل إخفاء سروره و هو يرى نفسه في نفس مكان ليل منذ أكثر من سنتين، صحيح أن الأمر كلفه خسارة صديق أحبه كثيرا، و لكن ليس كحبه لتِتريت، خرجت مروى من مكتبها حين سماعها للضوضاء بالخارج، لتجد العروسين يقفان مع الموظفين، تقدمت منهم و سلمت عليهما و بابتسامة باركت لكليهما ثم أمرت الجميع بالذهاب لمكاتبهم.

جلست تِتريت على مكتبها و دخل وائل لمكتبه بعد أن أشار لها أن تنتبه لهاتفها بابتسامة ماكرة، و بعد ثوان قليلة تلقت رسالة منه : "لا تقلقي سنبقى على تواصل من خلال الرسائل فأنا لا أستطيع أن أظل ساعات دون الحديث معك"

ابتسمت تِتريت و ردت عليه: "أنا أيضا، سعيدة لأنك فكرت بهذا الأمر".

مضت ساعات العمل بسرعة، خرجت تِتريت و وائل من الشركة متوجهين لمطعم مجاور لتناول طعام العشاء ثم ذهبا لبيتهم الصغير وسط المدينة، كان البيت من اختيار تِتريت، و قد سمح لها وائل بتزيينه على ذوقها، لم يتدخل في أي شيء، كان يحب كل لمساتها في المكان فلطالما اعتبر ذوق تِتريت مميزا، لم يكن ذوقها الشيء الوحيد الذي يحبه فلقد كان يعشق كل تفاصيلها، في ليال كثير كان يحذق بها

أثناء نومها لساعات و هو لا يصدق انها أخيرا صارت له، له وحده، فقد انتظر طويلا لكن مراده تحقق أخيرا، أنصفته الحياة بعد طول صبر.

****

سمعت أم ليل جرس الباب فركضت كطفلة صغيرة لفتحه، فهي تعلم جيدا من الطارق، فقد كانت رقية و زوجها هما الزائران المنتظران و معهما الصغير أيمن، فقد وضعت رقية طفلها منذ شهر تقريبا، كانت تتمنى أن تسمي مولودها ليل على إسم خاله، لكن كل شيء تغير بعد استلامهم لرسالته من 40 يوما مضت، كانت رسالة جد مؤثرة لم تستطع رقية حبس دموعها و هي تقرؤها:

" والداي الحبيبان أختاي العزيزتان،

أبعث لكم هذه الرسالة اليوم و في جعبتي الكثير لأقوله، أولا أتمنى أن تجدكم رسالتي هذه بكامل الصحة و العافية و أن يكون والدي و أمي على خير، كما أتمنى أن تستمر ميسون في عملها و أن لا تيأس أبدا فمهنة التعليم من أشرف المهن على هذا الكوكب، فهي و بدون أن تدري تغير حياة الكثيرين إلى الأفضل بالطبع. لقد تلقيت رسالتكم و فيها خبران رئيسيان، الأول كان محزنا قليلا لكنني تقبلته بصدر رحب، فمن الأنانية أن أظن أن تِتريت قد تنتظرني إلى الأبد، أما الثاني فكان أجمل خبر سمعته في حياتي، لا أصدق أنني سوف أصير خالا أخيرا، مبارك يا عزيزتي رقية أتمنى أن تقومي بالسلامة و أن يخرج صغيرنا إلى الدنيا و هو في كامل صحته، و لكن أريد أن أطلب منك طلبا و أتمنى أن تتقبلي القيام به دون نقاش، فقد ذكرت يا عزيزتي أنك تريدين تسمية صغيرك على اسمي، يسعدني و يفرحني جدا أنك فكرت بفعل ذلك و أقدر مبادرتك هذه، و لكن أتمنى منك أن تتراجعي

عن هذا الأمر و أن تختاري لابنك اسما آخر، لا أستطيع أن أخبرك بأسباب منطقية قد تمنعك من فعل ذلك فأنا لا أملك سوى أفكار رجعية و متخلفة لأقنعك بها، عزيزتي لقد كنت أشعر دوما أنني مصدر نحس أبدي، أعلم أن النحس مجرد خرافة ولكن من تجاربي السابقة أنا مثل "ميداس" تماما، إلا أن الفرق هو أن كل ما ألمسه لا يتحول لذهب بل إلى خراب، لذلك أترجاك أن لا تربطي ابنك باسمي، فمجرد تسميته تيمنا بي قد يدمر حياته، و أنا لا أريد أتحمل ذنبه إلى الأبد، قد يكون كلامي مجنونا و لكن قلبي انقبض لحظة قراءتي لفكرتك، اسمي "ليل" و أهم مميزات الليل: الظلام الحالك و الرعب و الخوف، هل تريدين ربط ابنك باسم ليس له إلا هذه الدلالات في الأذهان، أتمنى يا عزيزتي أن تجدي لابنك اسما أكثر تفاؤلا، اسما لا يربطه بي، اسما يكون فأل خير عليه و على من حوله، فكري بأسماء الأنبياء فهم خير من تربطين ابنك بهم. في الختام أخبركم أعزائي أنني بخير و أنني مرتاح جدا في عملي الجديد، كما أنني و كالعادة أرسلت لكم الواجب الشهري الذي قد يخفف عنكم بعض عناء الدنيا، لا تنسوا أن ترسلوا لي صورة للصغير حين تراسلونني في المرة القادمة.

مع حبي و امتناني."

كانت رقية مصرة على تسمية ابنها ليل على اسم خاله، لتبثث له أنه ليس مصدر نحس على الإطلاق، و أنه لطالما كان مصدر فرحهم و فخرهم على الدوام، فكيف لها أن تنسى لحظة ولادته، كانت في السابعة آن ذاك، كادت تطير من الفرح حين علمت أنه قد صار لها أخ أخيرا، ذهبت مع والدها لزيارة أمها في المستشفى و وقفت مشدوهة للحظات و هي تنظر إليه و هو بجانب أمها على السرير، لم تظن أن هناك شيئا بذلك الصغر و الضعف في هذا العالم، فهي لا تتذكر ولادة ميسون، لم تصدق حين عرض عليها والدها حمله، كانت خائفة و مرعوبة من أن تلحق به أي أذى، لكنها مدت يديها و أمسكته بحذر،

بقيت تحدق به بانبهار و حينها علمت أنها ستكون أكثر من أخت، ستكون أمه الثانية، و وعدت نفسها أنها لن تدع شيئا يؤذيه أو يحزنه، و لكنها أخلفت بوعدها، لم تستطع حمايته، و لن تستطيع حتى تسمية ابنها على اسمه لأن ذلك سيزيد من حزنه و هي لا تستطيع فعل ذلك بصغيرها.

أطلقت ميسون زغرودة أعادت بها رقية إلى الواقع، نظرت هذه الأخيرة إليها بابتسامة ثم سلمت على أمها و ناولتها الصغير بحذر، دخلت لغرفة الجلوس رفقة زوجها، كان والدها مستلقيا هناك و على وجهه علامات الفرح و الغبطة بقدوم أيمن.

****

كان العمل في المطعم متعبا قليلا، لاسيما أن عدد الزبائن ازداد بشكل كبير، لكن دخل ليل و أصدقاءه ازداد بازدهار العمل في المطعم، أناس أكثر يعني بقشيشا أكثر، لم يريدوا إضافة عمال آخرين رغم اقتراح صاحب المطعم، فقد كان فريق العمل مثل عائلة واحدة و لم يحبدوا دخول شخص غريب بينهم، كما أن ازدياد العمال يعني نقصان الدخل بالنسبة للجميع.

شعر ليل ببعض التعب و هو يغسل الأطباق و الكؤوس فقد أصيب بالزكام في الليلة الماضية، و ازدادت أعراضه فصار يشعر ببعض التعب المترتب عن ارتفاع حرارته، و فجأة و دون أن يشعر ترك صينية مليئة بالكؤوس تنسل من بين يديه ساقطة على الأرض محدثة ضجة عالية بسبب انكسار الكؤوس جميعها، انحنت أمل و أحمد على الأرض لمساعدته على جمع الحطام قبل مجيء صاحب المطعم و لكن عبثا، فما هي إلا ثوان قليلة حتى وقف مصطفى أمامهم و بغضب خاطب ليل:

- ماذا حصل الآن يا ليل؟ لقد ازدادت حوادثك كثيرا هذا اليوم، فقد

أتساهل مع تحطيمك لصحن في الصباح لكن كل هذه الكؤوس، صعب يا ليل...

و قبل أن يكمل كلامه قاطعته أمل:

- لا يا سيدي، فأنا التي أسقطت الصينية عن غير قصد، لم أنتبه لخطواتي، أنا متأسفة جدا.

أحس مصطفى بالحرج الشديد، فما كان منه إلا التفت نحو أمل موبخا لها:

- يجب عليك الانتباه فهذه الكؤوس غالية الثمن، سوف أتغاضى هذه المرة و لكن المرة القادمة سأقتطع ثمن أي شيء كسرته من راتبك.

حاول ليل التدخل لكن أمل أشارت له أن لا يفعل، و عند خروج مصطفى تبعته أمل لتجنب سماع أي اعتراض من ليل، أكمل جمعه لشظايا الزجاج ثم عاد لعمله.

****

وقفت تِتريت أمام النافذة، و هي تشاهد تساقط الأمطار، كان المنظر جميلا، لطالما أحبت المطر لأنها تجد ألوان الأشياء بعده براقة و جميلة، فماء المطر يزيل الأوساخ و الغبار و يجعل العالم أجمل، ذكرتها أفكارها بليل فقد كان يكره المطر و الغيوم و يحب الأيام المشمسة، أغمضت عينيها بقوة محاولة تغيير تفكيرها، فلا يصح لها الآن أن تفكر في ذكرياتها مع ليل، فهي امرأة متزوجة و كل الذكريات يجب أن تكون مع وائل، فهو إنسان لطيف و يحبها، كما أنها معجبة به. كانت تحس بملل شديد، فقبل أيام قليلة قدمت استقالتها و تركت العمل بطلب من زوجها، فقد تمت ترقيته و إرساله لفرع جديد في المدينة المجاورة، و لم يكن منها إلا أن تتبع زوجها، لم يقدم لها خيارا آخر، فكرت للوهلة الأولى أن تعترض، لكن أمها وافقته الرأي قائلة:

- مكان المرأة هو مكان زوجها.

لم تستطع مجادلتها أو مجادلته، فلا تهم رغبات المرأة أمام طموحات الرجل، وجب عليها كزوجة صالحة أن تنسى أحلامها و تساعد زوجها و تدعمه على تحقيق أحلامه، فمهما حاولت المرأة التقدم سيتوجب عليها في يوم من الأيام أن تختار بين حياتها العائلية أو المهنية، فإن اختارت أن تضحي بالأولى، ينظر لها باشمئزاز، فكيف لها أن تفكك عائلتها من أجل رغباتها و نزواتها الأنانية، بينما إذا اختارت التضحية بالثانية سينظر لها بنظرة احترام و تبجيل، فهي مثال للمرأة المثالية، هكذا قسم العالم منذ بدء الزمن، و لأن وراء كل رجل عظيم امرأة و ليس العكس، كتب على الرجل العظمة و كتب على المرأة التضحية، فالزوجة المثالية في أعين المجتمع هي من تتخلى عن طموحاتها مقابل مساعدة زوجها على تحقيق غاياته، و مهما كانت مكانتها لا بد لها في يوم من الأيام أن تذبح أحلامها لتعيش أحلام من تحب.

كان منزلهم الجديد أكبر و أجمل، كما أن وائل أحضر مهندس ديكور ليساعدها في تزيينه و تزيين الحديقة الصغيرة، لم يمض على زواجهم سوى 3 أشهر تقريبا، لكنها بدأت ترغب في إنجاب طفل ليؤنس وحدتها.

******

دخل زيد الغرفة و على وجهه ابتسامة خبيثة، ملوحا بظرف أصفر:

- يبدوا أن أحدهم تلقى رسالة اليوم.

نهض ليل من سريره بسرعة و اختطف الظرف من بين يديه، انفجر زيد ضاحكا ثم ارتمى على سريره و هو لا يكاد يصدق كيف انقض عليه ليل:

- أنت فعلا شخص غريب، من هذه الجميلة التي شغلت قلبك و جعلتك متلهفا لقراءة رسالتها.

- كفاك مزاحا، إنها رسالة من عائلتي فهم لم يراسلوني منذ مدة، كما أن أختي رزقت بطفل و قد طلبت منها إرسال صورة له.

فتح ليل الرسالة و أخرج الصورة ثم أراها لزيد بسرعة:

- أنظر هذا هو ابن أختي.

ثم أخد يحدق في الصورة بتمعن، أحس حينها بشعور لم يحس به من قبل، كان إحساسا غريبا، لأول مرة أحس أن العالم كله في صورة، بقي منغمسا فيها لدقائق ثم أخرج الرسالة:

" أخي العزيز،

كيف حالك؟ أتمنى أن تكون على ما يرام و أن تتلقى رسالتنا و أنت في كامل الصحة و العافية، أبلغك أخي الحبيب أن الجميع هنا بخير و بأفضل حال، بل و هناك هالة من السعادة تحيط بمنزلنا بقدوم المولود الجديد، لقد لبيت طلبك و لم أسمه ليل بل أسميته أيمن، لقد بعثت لك بصورة له، تقول أمي أنه يشبهني، ولكني أظن أن ملامحه لم تتميز بعد، لكن أستطيع الجزم أنه سيكون شابا وسيما جدا، لقد بلغ الآن قرابة الشهر، لا يزال نومه غير منتظم لكن أحمد سمح لي بالبقاء في منزل أمي لتساعدني قليلا، فأنا لا أملك الخبرة الكافية و لا يزال كل شيء جديدا علي، أجد من الصعب تحميمه، كما أن استمراره في البكاء في بعض الأحيان يفزعني و لولا وجود أمي بجانبي لجن جنوني، ميسون أيضا تساعدني في بعض الأحيان، تغير حفاظته و تحمله بين ذراعيها لينام، إنها تحبه كثيرا، و أظنك أيضا ستحبه من أول نظرة كما أحببتك أنا، أذكر جيدا يوم ولدت، لقد حملتك بين ذراعي و قلبي يرقص فرحا، لقد أحببتك حبا غير مشروط لم أعتبرك أخي فقط بل كنت دوما ابني الصغير، أعلم أن فارق السن بيننا ليس كبيرا جدا لكن وعدت نفسي حينها أن أرعاك و أحميك مهما كلف الأمر ، ولكن للأسف أخلفت بوعدي، لذلك يا عزيزي

أريدك أن تعلم أنك لم تكن يوما نحسا بل لطالما كنت مصدر فخر لي و لنا جميعا، لذلك أريدك أن تحب نفسك كما نحبك، لأنك تستحق.

مع حب رقية. "

وضع ليل الرسالة و هو يفكر في كل كلمة كتبتها رقية، لقد أحرجته بحبها، كان هو أيضا يحبها كثيرا، كانت نبع الحنان الثاني، فلطالما كانت تحنو عليه، لم تنس يوما عيد مولده، كانت تعرف أكلاته المفضلة و تعدها له دون طلب، و حين يرغب بشيء من أمه أو أبيه لا يجد غيرها لتساعده في إقناعهم، فعلا لقد كانت أمه الثانية.

جلست سمية و أمل أمام باب المطعم ينتظران حضور السيد مصطفى ليفتح الباب، فقد وصلتا مبكرا، فقد كانتا تسكنان قرب بعضهما البعض و تتقاسمان ثمن سيارة الأجرة، لم تكونا مقربتان جدا من قبل، لكن عملهما و تنقلهما معا جعل منهما صديقتين، بعد قليل حضر زيد و ليل، ألقيا عليهما التحية و وقفا عند الباب، تردد ليل لوهلة ثم قاطع حديث الفتاتين:

- أمل، لم أجد فرصة لشكرك من قبل على ما فعلته، أنا فعلا ممتن لك.

- لا داعي للشكر ذلك أمر عادي، فأنت لم تكن بخير و لا يحق لأحد أن يحاسبك على حادث بسيط غير مقصود.

نظرت إليهم سمية باستغراب:

- أي حادث؟

- لا شيء، لقد تسببت في سقوط بعض الكؤوس و كسرها.

حاول ليل مقاطعتها لكنها أشارت له بأن لا يفعل ثم أكملت:

- فجاء المدير و وبّخ ليل، لكن تدخلت و أخبرته بأنني السبب في الحادث هذا كل شيء.

استغرب ليل من كلامها، فلماذا تستمر في الكذب و التغطية عليه حتى أمام صديقتها؟ و لكن و قبل أن يتسنى له أن يسألها لمح سيارة صاحب المطعم تتوقف بجانب الباب.

ما إن دخل الجميع للمطعم حتى بدأت الأمطار بالتساقط، لم يكن الجو الممطر جيدا لعملهم، فأغلب الناس يلزمون منازلهم في مثل هذا الجو، وقف زيد و الفتاتين أمام الباب لمشاهدة المطر، بينما انسل صاحب المطعم لغرفة التخزين للتحقق مما تبقى من سلع، أما ليل فارتمى على أحد الكراسي مغمضا عينيه، فقد كان يشعر بالتعب من جراء سهره ليلة البارحة و هو يشاهد أحد الأفلام الأمريكية، كان يفكر فيما يجب أن يشتريه كهدية للصغير أيمن و كيف يمكنه إرسالها، و فجأة سمع صوت قريبا قطع حبل أفكاره، فتح عينيه ليجد أمل:

- يبدو أنك شارد الذهن و لم تسمعني، لقد سألتك أن تأتي لمشاهدة المطر معنا.

اعتدل ليل في جلسته:

- لا شكرا، أنا لا أحب مشاهدة المطر فهو يصيبني بالاكتئاب، استمتعوا أنتم أنا سأرتاح هنا.

جلست أمل على كرسي بجانبه ممازحة:

- أنت غريب فعلا، أغلب الناس يحبون مشاهدة المطر إلا أنت، و لكن الراحة فكرة جيدة أيضا، سأرتاح أنا أيضا لبعض الوقت.

نظر إليها ليل بابتسامة، و قبل أن يتدخل أحدهم قرر سؤالها، عما كان يحيره:

- أمل، لماذا كذبت على سمية بشأن ما حصل ذلك اليوم؟ فالمدير لم يكن معنا آنذاك.

اقتربت منه بهدوء ثم أجابته:

- لقد علمتني الحياة يا صديقي أن لا أكذب عادة، و إن اضطررت لذلك فيجب علي أن أكذب بصدق.

دهش ليل من كلماتها و لم يستطع الاستفسار عما تعنيه، لكنها لاحظت علامات الحيرة على وجهه، لتكمل قائلة:

- اسمع، يجب على الإنسان أن يقنع نفسه بكذبه إن أراد أن يقنع الناس، و لكي يفعل ذلك يجب أن ينسى الحقيقة تماما، و بذلك يُعَود عقله الباطن على حقيقة واحدة و هي الكذبة التي اخترعها، و كذلك الأمر بالنسبة للأسرار، فإن أردت أن تخفي سرا عن الناس يجب أن تخفيه عن نفسك أولا، فما إن تخرج السر من غرفته المظلمة و تضعه تحت أضواء عقلك حتى تجد نفسك قد أفشيته للعموم.

وقف ليل مشدوها أمام أفكار هذه الفتاة الغريبة، لم يستطع مجادلتها فهو لم يملك الكلمات المناسبة، فقد كانت على حق بشكل غريب، و قبل أن يتفوه بكلمة إعجاب بحديثها، فوجئ بهاتفه النقال يرن في جيبه، أخرجه و قرأ الإسم " ميسون "، استغرب من اتصالها، فقد كان بينهم اتفاق أن لا تتصل به إلا في الحالات الطارئة، و هي لم تتصل به أبدا من قبل، بدأ يفكر في كل الاحتمالات الممكنة (ربما تتبعت الشرطة رسائلي و علمت مكاني و هي تتصل بي الآن لتحذرني، أو ربما حصل جديد في قضيتي أو ربما... أو ربما ...)

لم يكن يستطيع أن يضع حدا لتسلسل أفكاره سوى بالرد عليها، ضغط الزر:

- ألو!

أجابه من الجانب الآخر صوت تختنق الكلمات في داخله:

- ألو ليل، أبي مات.

أحس ليل أن الزمن توقف به في تلك اللحظة، شل دماغه عن التفكير و أبت الكلمات أن تخرج من فمه، وبصعوبة شديدة قال:

- ماذا؟

- لقد توفي والدي يا ليل، مات قبل قليل، توقف قلبه عن الخفقان و أصبح جسمه باردا.

نزلت الدموع من محجري ليل و هو يفكر أنه لن يرى والده أبدا بعد اليوم، حاول التماسك و مسح دموعه، فقد كانت أخته في حالة صدمة و يجب أن يواسيها:

- ميسون، اسمعيني يا عزيزتي.

- أبي مات يا ليل، أبي مات.

كانت ميسون تردد نفس الجملة بصوت تخنقه العبرات.

- ميسون، أرجوك اسمعيني، توقفي عن الكلام للحظة واسمعيني.

لكن ميسون بقيت تردد نفس الجملة، فما كان من ليل إلا أن يصرخ بصوت أدار كل من في المطعم نحوه:

- اسمعيني يا ميسون !.

توقفت ميسون عن الكلام و بدأ يسمع صوت أنفاسها و أنينها فعلم أنها لازالت على الخط

- اسمعيني يا عزيزتي، الله أرحم به منا، لقد أراحه من معاناته الطويلة، الله أرحم يا عزيزتي، أرجوك تماسكي، فأمي تحتاجك الآن، لله ما أعطى و لله ما أخذ، الله أرحم به منا يا عزيزتي، أتسمعينني.

بصوت متقطع و مكلوم أجابته ميسون:

- لقد ظننته سيشفى، ظننت أن فرحته بأيمن ستساعده على الشفاء، كنت أنتظر اليوم الذي سيقف فيه على قدميه و يعود

لسابق عهده، لم أظنه سيموت يا أخي، فأنا أحتاجه، أتسمعني يا ليل، أنا أحتاج أبي بجانبي، كنت أتمنى لو يبقى كما هو لا تهم صحته أو قدرته، فأنفاسه في البيت تنشر الدفء و السعادة في قلبي و تشعرني بالأمان، لقد صرنا أيتاما يا ليل، مات سندنا في الحياة، لم يعد لنا من يحمينا يا ليل، مات أبي.

كانت كلمات ميسون تخترق قلب ليل كالأسهم المسممة، حاول تمالك نفسه لكنه لم يستطع منع دموعه من الانهمار كالمطر الغزير، كيف له أن يواسيها و هو يعلم أن ركن منزلهم الأساسي قد انهار.

- لله ما أعطى و لله ما أخذ يا أختي، الله سندنا يا أختي و من غيره يشد بأيدينا، أرجوك تمالكي نفسك.

- و نعم بالله، إنا لله و إنا إليه راجعون، إنا لله و إنا إليه راجعون.

أقفل ليل الخط و جملة إنا لله و إنا إليه راجعون تتردد في أذنه، كانت تلك أول مرة يتأمل فيها هذه الكلمات، إنا لله و إنا إليه راجعون، كان وقعها قويا، فلطالما ظن أن أسرته له وحده و والده له وحده و لكن الحقيقة أننا لله و إنا إليه راجعون.

كان الحزن و الأسى يخيمان على منزل أسرة ليل، فقد كانت فاطمة منهارة من الصدمة، أما ميسون فقد كانت ترتب المنزل و الدموع تنهمر على خديها بدون انقطاع، فقد علمت أن الناس سيبدؤون بالتوافد لتقديم واجب العزاء، كان أحمد زوج رقية خير سند لهم فما إن علم بالخبر حتى ترك عمله و حضر بسرعة للمنزل لمواساتهم ثم ذهب لشراء الكفن و موقع الدفن، كما أحضر شخصا ليقوم بتغسيل الميت، لم تستطع رقية القيام بالشيء الكثير فأيمن لم يتوقف عن البكاء منذ الصباح، ربما هو أيضا أحس بفقدان جده العزيز. ماهي سوى ساعات قليلة حتى بدأ الناس بالحضور، استقبلتهم ميسون و أدخلتهم لغرفة الضيوف، ذهبت للمطبخ لتعد الشاي لكن إحدى

الجارات منعتها من ذلك قائلة:

- لا يجب أن توقد النار في بيت الميت لمدة ثلاثة أيام، هذه تقاليدنا، لا تقلقي يا عزيزتي نحن سنتكلف بتحضير كل شيء، ارتاحوا أنتم.

ثم دفن الفقيد بعد صلاة العصر، لم يستطع ليل الحضور طبعا و كان الجميع يسأل عنه، لكن عائلته لم تملك إجابة لتساؤلاتهم.

في المساء أحضر أحمد فقيها من المسجد و بعض أصدقاءه ليقوموا بتلاوة القرآن، كما أحضر الجيران أطباق الكسكس لإطعام الناس، كانت أم ليل تجلس وحدها في غرفتها تتأمل صور زوجها حين فوجئت بدخول امرأة تلبس حيكا تقليديا، وقفت لتسلم عليها و ترشدها لغرفة الجلوس، لكن المرأة أقفلت الباب و أزالت ثوبها، لقد كان ليل متنكرا، ارتمت عليه معانقة و العبرات تنسل على خديها في صمت، لم يستطيعا التفوه بأية كلمة فقد كانت دموعهما تقول كل شيء.

****

سمعت تِتريت هاتفها يرن بينما كانت جالسة وحدها في الحديقة تقرأ كتاب أجنبيا، دخلت بسرعة للداخل لترد، كانت أمها هي المتصلة، لم يدم كلامهما مدة طويلة، أقفلت الخط و هي تستوعب الخبر، فقد أبلغتها أمها أن أبا ليل قد انتقل لدار البقاء، لم تستطع مقاومة الحزن و الألم الذي اعتصر قلبها، فرغم مشكلها مع ليل إلا أنها لم تكن يوما مشاعر الحقد أو الكره لعائلته، فقد كانت تبادلهم الاحترام و كانت لوالده معزة خاصة في قلبها، فقد كان يعاملها كميسون و رقية، و كانت لا تعامله كوالدها فحسب بل تتمنى لو كان هو والدها، و لكن للأسف لم يكتب له أن يكون والدها، عادت لكرسيها في الحديقة و هي تتذكر كلامه معها و وصاياه لليل ليهتم بها، كان رجلا متزنا متدينا محبا لأسرته و يملك قلبا طيبا و حسا فكاهيا، كان الزوج

و الأب المثالي، كانت تحب الحديث معه و الاستفادة من حكمته، كان مثقفا و منفتحا و في ذات الوقت ملتزما و محترما، كان لا يخجل من ممازحة زوجته أمام الناس أو شكر أبناءه، كان جد مؤدب، كان يرفق كل طلباته ب "من فضلك" أو "رضي الله عنك"، لم يكن متسلطا، لطالما تمنت تِتريت أن تكون علاقتها بليل عندما يكبران كعلاقة أمه و أبيه، كانت ميسون تردد دائما جملة حين تتحدث عن والدها، جملة ستبقى مطبوعة في ذهن تِتريت إلى الأبد، كانت تقول: "أكثر شيء سيء في والدي هو أنه لطيف جدا"، كانت تِتريت تتمنى لو تستطيع قول المثل عن والدها، ولكن ليس كل ما يتمناه المرء يدركه.

****

استلقى ليل على سرير والده لينام، فقد طلب من أمه أن يمضي الليلة في غرفة أبيه، و طبعا لم تعترض على ذلك، فبعد أن سلم على أختيه و تحدث معهما، عاد الجميع لأعمالهم حتى لا يثيروا الريبة، فرغم الظروف الاستثنائية لا يجب على أحد أن يعلم بوجود ليل حتى زوج أخته، أغمض عينيه و لم يستطع كبت ابتسامته حين تذكر وجه أيمن الملائكي، فتح عينيه و حمل صورة والده الموضوعة بجانب السرير، و دون أن يشعر انغمس في بحر من الذكريات، تذكر كيف كان والده يحمله على كتفيه حين كان صغيرا، لم يكن ليل طفلا هادئا، بل كان متذمرا و مشاكسا و مع ذلك كان والده لا يمل من مرافقته، كان يأخذه معه أينما حل و ارتحل، لم يخجل يوما من لعب الكرة معه في الحي، كان يأخذه معه للمسجد و يعده بقطعة شوكلاطة كبيرة إن بقي هادئا و استمع بإمعان لكلام الإمام، كان لا يشتري له الألعاب فقط بل يشاركه في اللعب بها، و حينما بلغ ليل سن المراهقة، لم يتخل عنه والده كما يفعل أغلب الآباء، بل امتص ثوراته و انحاز له و تقرب منه أكثر، حتى أنه كان يشتري تذاكر مباريات فريقه المفضل ليذهبا لمشاهدتها معا، كان يوصل له الأفكار

و ينصحه دون أن يظهر أنه في موضع سلطة، و في أيام شبابه كان يجلس معه في المقهى و يرتشفان فنجان القهوة مع بعض و هما يتناقشان في مواضيع سياسية، اجتماعية، رياضية و حتى فنية في بعض الأحيان، كان يمضيان أيام الصيف على طاولة في شرفة المنزل و يلعبان الورق أو الشطرنج، لم يحس ليل يوما أنه بدون أخ، و لم يحتج يوما لصديق مفضل، فقد كان والده هو كل شيء، انسلت الدموع من عيني ليل و هو يفكر أنه فقد والده للأبد، لم تكن فكرة الموت مرعبة أو مفزعة في حد ذاتها، فقد كان ليل يؤمن أن الله أرحم بعباده من أنفسهم و كان شبه متأكد أن والده المؤمن سيدخل الجنة برحمة من الله، و لكن ما يمزق قلبه أنه لن يراه أبدا بعد اليوم، فقد كان يعيش على أمل العودة للمنزل يوما و الاجتماع به و احتضانه بين ذراعيه و لكن اليوم تلاشى ذلك الأمل، لطالما كان ليل يمتلك فكرا أنانيا بعض الشيء، فقد كان يتمنى في سره أن يكون أول من يموت في أسرته، لأنه لم يرد أن يجرب ألم الفقدان، و لكن للأسف لم تتحقق أمنيته و شعر بالألم الذي تمنى اجتنابه طوال حياته، شعر أنه فقد جزءا من روحه، جزءا لن يعوضه أحد.

في الصباح، استيقظت ميسون و توجهت لغرفة والدها لتوقظ ليل، ولكن و كما توقعت لم تجده فقد استيقظ في الصباح الباكر و رحل قبل استيقاظ الجميع، وجدت على السرير مبلغا ماليا رفقة رسالة صغيرة كتب فيها:

"أعتذر لأنني سأترككم في هذه الظروف، لكن يجب علي أن أرحل قبل أن يعلم أحدهم بوجودي، لقد تركت لكم هذا المبلغ البسيط لتلبوا به بعض الحاجات الاستثنائية، و سأرسل لكم المزيد حين أصل لمكان عملي، أرجو منكن أن تتماسكن و أن تدعين لأبي بالرحمة فهي أكثر ما يحتاجه في هذا الوقت، سأحاول الاتصال بكن حين أصل، لا داعي لأن تقلقن علي."

وضعت ميسون الرسالة و ذهبت للمطبخ لإعداد الفطور، كان الصمت في المنزل قاتلا، فكرت كيف تغير حال المنزل بين ليلة و ضحاها، فالبارحة كان ممتلئا بالناس و اليوم الفراغ و الصمت يسيطران على المكان، وضعت إبريق الشاي على النار و هي تتأمل كيف كانت تستغرب من الناس الذين يأكلون و يشربون و ينامون بعد موت عائلاتهم و اليوم وجدت نفسها واحدة منهم، فقد نامت ليلة البارحة و ها هي ذي تعد طعام الفطور، و كأنها لم تشهد دفن والدها عشية البارحة، غريب كيف تستمر الحياة حتى بعد فقداننا لأعزائنا، نظرت من نافذة المطبخ باتجاه باب المنزل و تبادرت لذهنها صورة والدها حين كان يعود على الساعة العاشرة من العمل و يطرق الباب بضع طرقات ليعلمهم بحضوره ثم يفتح الباب و يدخل، ليجدهم في أغلب الأحيان يتناولون طعام الإفطار، فيمازحهم و يسخر منهم لاستيقاظهم متأخرين، تنهدت و عيناها لا تفارقان الباب كأنها تنتظر دخوله، فجأة أعادها صوت فيضان إبريق الشاي على النار للواقع، وضعته مع الكؤوس و حملتهم لغرفة المعيشة، ثم ذهبت لمناداة أمها و لإيقاظ رقية التي لابد أنها بقيت ساهرة طوال الليل مع أيمن.

******

دخلت أمل لغرفتها بعد أن نامت خالتها، أخذت ورقة و قلما و قررت الكتابة، لم تكن يوما من محبي الكتابة لكن الأفكار كانت تتدافع في ذهنها، و كان من الصعب التعبير للناس بما تحس أو تفكر به، و هي تعلم جيدا أن لا أحد سيعير ما ستقوله اهتماما لأنه بالنسبة لهم أمر عادي، لكن ليس بالنسبة لها، تناولت القلم بين أناملها و بدأت الكتابة:

"اليوم أيضا رأيته، ذلك الرجل العجيب الذي لا أعلم بالضبط منذ متى و هو يمر بجانب بيتنا، لكن كل ما أعرفه أنني منذ انتقلت للعيش

مع خالتي كان هنا، رجل يبدو من تجاعيد وجهه و تقوس ظهره أنه قد تجاوز السبعين، لكن من يدري ربما قساوة الحياة جعلته سبعينيا قبل الأوان، كل يوم يمر من أمام بيتنا مهرولا يحمل في بعض الأحيان ملابسا يوصلها للمغسلة، في أحيان أخرى أراه ينقل الخبز للفرن الذي بجانبنا، كل يوم أراه يهرول في كل الاتجاهات، لم أفهم إلاّ بعد مدة طويلة أنه يعمل في إحدى المنازل الفخمة التي قرب حينا المتواضع، لم أستطع يوما الكف عن التفكير به و عن عمله مثل النحلة كل يوم ربما من أجل دراهم معدودة كل شهر. لم يكن هو الحالة الوحيدة التي تشغل تفكيري، فأنا لن أنسى أبدا ذلك العجوز الذي كنت ألتقيه أيام الدراسة، كان يبيع المناديل الورقية، هو كذلك كان يبدو عليه أنه تجاوز السبعين لكن من يدري، كان يستعطف الناس ليشتروا منه علبة أو علبتين، لم تكن أغلب ردود فعل الناس إيجابية، فأغلبهم كانوا يتجاوزونه و الاشمئزاز باد بوضوح على وجوههم، و لكن ما كان يكسر قلبي هو ابتسامته التي لم تفارق يوما محياه، آه كم أغبط أولائك الذين لم تنل منهم الحياة رغم قسوتها، لم أره منذ مدة طويلة ربما يكون قد فارق الحياة أو ربما لم يعد قادرا على العمل، لكن للأسف لا أحد انتبه لاختفائه، غريبة هي الحياة فحتى رغم إيماننا بتساوينا كبشر إلا أن هناك فرقا كبيرا جدا بين الأفراد، فلا أحد يعلم اسمه أو مسكنه رغم أنه كان بطلا مناضلا يحارب كل يوم للحصول على لقمة العيش و رياضيا مرموقا يركض دون كلل أو ملل وراء رغيف الخبز، نعم كان شخصا مهما لكن لا أحد علم بوجوده و لا أحد لاحظ اختفاءه. كل يوم كنت أفكر بهم و أفكر كيف لرجال يتقاعدون براتب مريح في سن ال55 أو الستين بينما يستمر الآخرون في العمل حتى الموت كالدواب تماما، الفرق الوحيد بينهم أن الدواب يقتلون بطريقة مباشرة حين لا يقوون على العمل بينما البشر يقتلون بطرق غير مباشرة، بتركهم للمرض و الجوع اللذان يدفعان بهم يوم بعد يوم لهوة سحيقة اسمها الموت، عالم

العجائز دوما يبهرني، كم كنت أستغرب من ذلك الشيخ الأعرج الذي كان يقف أمام المسجد قبل الصلاة بربع ساعة لكي لا تفوته ركعة، كان يستعمل عكازا في التنقل الذي كان يبدو جليا للمارة صعوبة استخدامه، إلا أنني كنت ألاحظ فمه يتحرك مع كل خطوة بكلمات تسبيح و استغفار. أعلم أن ما أشاهده كل يوم يشاهده العشرات معي، لكنني لا أعلم كيف أراهم بشكل مختلف، كل رجل من هؤلاء الثلاثة أراهم أبطالا يحققون إنجازا كل يوم لا يلاحظه الكثيرون ".

وضعت القلم جانبا و حملت الورقة بين يديها، أعادت قراءتها بإمعان ثم أخذت الولاعة و أحرقتها حتى صارت رمادا، و ذهبت للنوم.

بعد أيام قليلة عاد ليل للعمل فقد سمح له صاحب المطعم بأخذ إجازة نظرا لظروفه على شرط أن يعود يوم 14 من الشهر، دخل المطعم فالتف حوله الأصدقاء لتقديم التعازي و للسؤال عن أحواله و أحوال عائلته، أجابهم باختصار و أدب ثم توجه الجميع إلى أعمالهم قبل أن يغضب المدير، فقد كان المطعم ممتلئا عن آخره، فأغلب الناس يعزمون أحباءهم لتناول الطعام خارجا في يوم 14 من شهر فبراير بدعوى أنه عيد الحب، لم يكن ليل يحب الإيمان بالخرافات ولكن لا يهم، فأغلب العشاق يصيرون أسخياء في هذا اليوم فكلهم يعشقون التباهي أمام حبيباتهم و زوجاتهم. تكلفت الفتاتان بتزيين المطعم بالبالونات و الورود الحمراء لاجتذاب أكبر عدد من الزبائن، كان الجميع منهمكين في العمل و ما زاد شقاءهم هو طلب أحد الشباب منهم بأن يساعدوه على إعداد مفاجأة لحبيبته، لم تستطع الفتاتان أو المدير الرفض، فقد كان زبونا دائم التردد، وقفت الفتاتان في المطبخ في انتظار أن يضع مساعد الطباخ الخاتم فوق طبق التحلية و تزين الطبق بقطع الفراولة و الشوكولاطة، و رغم التعب كانتا متحمستان جدا، أخذتا التحلية و قدمتاها للحبيبين، كان ليل في المطبخ حين سمع فجأة أصوات التصفيق تعلو خارجا، علم

مباشرة أن الفتاة وافقت على عرض الشاب، فكر أنه من الجميل أن يجتمع الأحباء، للأسف كان على وشك أن يجتمع مع حبيبته لو لم تفرقهم الظروف، مر أكثر من سنتين على فراقه مع تِتريت و لازال يفكر بها كل يوم.

انتصف الليل و غادر الزبائن، خرج الجميع و أقفل مصطفى المطعم مودعا لهم، كان ليل يهم بالرحيل حين سمع نداءات زيد، التفت فوجده رفقة الفتاتين و أحمد، تقدم نحوهم:

- ما الأمر؟

تردد زيد في الحديث ثم قال:

- إسمع نعلم جيدا الظروف التي مررت بها هذه الأيام، و قد قررنا أن نقترح عليك أمرا إذا قبلت طبعا.

فكر ليل أن زيد لا يملك أدنى فكرة عن الظروف التي مر و يمر بها:

- ما الأمر؟

بادرت أمل قائلة:

- لقد مضى أكثر من 10 أشهر و نحن نعمل معا على خدمة الزبائن، قررنا اليوم أن نذهب لأحد المطاعم و أن تتم خدمتنا، ما رأيك؟

- أقدر فكرتكم، و لكن...

قاطعته قائلة:

- لا تقلق نحن سندفع عنك، اعتبرها خدمة للتخفيف من ألمك أرجوك اقبل.

فكر ليل أنه يحمل لأمل معروفا و لا يستطيع رفض طلبها:

- حسنًا إذا، ولكن ألن يشكل لكما أنتما الاثنتين مشكلا مع عائلاتكما؟ فقد تأخر الوقت.

- لا تقلق لقد خططنا لهذا منذ البارحة حين علمنا أنك ستعود للعمل اليوم و أخبرنا عائلاتنا و سمحوا لنا بالتأخر لبعض الوقت.

- حسنًا إذا أين تقترحون أن نذهب؟

تقدم أحمد نحوهم مندفعا بصوته الخشن:

- هناك مطعم يعمل فيه صديق لي، إنه راقي و مناسب للفتاتين، كما أنه قريب و أهم شيء أثمنة الطعام مناسبة.

وافق الجميع بعد سماع الجملة الأخيرة و توجهوا للمطعم مشيا على الأقدام.

******

لم يستغرق وائل وقتا طويلا قبل أن يحظى بترقية جديدة جعلته في منصب المدير العام للشركة، صار مرتبه ثلاثة أضعاف مرتبه السابق و كذلك ساعات عمله، فصار يعود للمنزل متأخرا و يعمل حتى في أيام عطلة نهاية الأسبوع، فبين اجتماعات و عشاءات عمل و تنقل من دولة لأخرى لإبرام الصفقات، لم يعد لديه وقت كثير ليمضيه رفقة تِتريت، التي حاولت تفهم وضعه الجديد، لكن الملل و الجلوس لوحدها في المنزل لساعات و أيام عدة صار يطبق على أنفاسها، حاولت منذ سنة تقريبا أن تحظى بمولود و لكن للأسف لم تستطع، كانت تواظب على زيارة أحد الأطباء بدون علم زوجها، و لكن لم يستطع أن يفهم سبب عجزها عن الإنجاب، فقد أكد لها الطبيب أنها طبيعية و أن تأخر الحمل قد يكون بسبب عامل نفسي فقط لا غير، إلا أنها لم تستطع تصديقه، فبالنسبة لها حالتها النفسية جيدة جدا و هي مستعدة لاستقبال المولود في أقرب وقت، لم تستطع أن تتكلم مع وائل في هذا الموضوع فقد كانت تخاف أن يلقي اللوم عليها، حتى أكثر الرجال ثقافة يلقي سبب العجز عن الإنجاب على المرأة، فالنساء دوما هن الشماعة التي تعلق عليها كل المشاكل، في الصباح جلست

تِتريت تتصفح الأنترنيت بحثا عن طبيب آخر ذو سمعة لتستشيره، فالطبيب الأول لم يفدها بشيء، سجلت رقم إحدى العيادات التي وجدت على تقييمها خمس نجوم، دون تردد اتصلت بهم و أخذت أقرب موعد ممكن.

****

مر على موت والد ليل أكثر من خمسة أشهر، عاد الجميع لحياتهم اليومية الطبيعية و عاد ليل للعمل المتواصل، فقد كان يعلم جيدا أن معاش والده سيخفض لأكثر من النصف بسبب موته، أمر لم يفهم ليل سببه يوما، فبعد موت المتقاعد تقوم شركات التأمين بتخفيض الدخل و لا تهتم بوجود أطفال أو عجزة في منزل الفقيد، لم يعد ليل يفكر بوالده كثيرا كما كان منذ أشهر و لم تعد عيناه تذرفان الدمع كلما تذكره، فعلا النسيان أعظم نعمة رزق بها الإنسان فلولاه لما استطعنا العيش في هذا العالم المليء بالحزن، لا يمكن طبعا أن ننسى الأشخاص الأعزاء بعد موتهم، فبفقدانهم نفقد جزءا من روحنا، إلا أننا ربما ننسى الألم الذي شعرنا به أول وهلة. لم يعاود ليل الاتصال بعائلته هاتفيا مرة أخرى، فقد علم أن الشرطيان اللذان حضرا من قبل، عاودا الزيارة بعد أن سمعا بخبر موت والده، لم يكونا على علم بزيارة ليل لكن حضورهم المفاجئ أعاد له مخاوفه و هواجسه، و جعله يفكر مرتين قبل الاتصال بعائلته مرة أخرى، فاقتصر على إرسال واجبه الشهري في ظرف رفقة رسالة يطلعهم فيها على أخباره.

مع مرور الأيام كانت علاقة ليل بأصدقائه في المطعم تصير أكثر قوة، فقد فوجئ بطيبة الناس التي كان قد نسيها منذ زمن، كانوا خير سند له في ظروفه الصعبة، و كانوا لا يتوانون عن القيام بنشاطات قد تخفف عنه حزنه، و بعكس تجاربه السابقة لم يرغب أحد منهم بإيذائه، كان يكن حبا و احتراما لهم جميعا، لكن و دون أن يدري كانت أمل هي أكثر شخص يحب الحديث معه، فقد كان يستغل

استراحة الغذاء لتبادل الأفكار معها، فبعكس باقي زملائه متوسطي التعليم كانت هي حاصلة على الإجازة و بسبب أزمة الشغل في البلد لم تستطع إيجاد وظيفة، كما أنها لم تستطع إكمال دراستها أو البحث عن عمل في مدينة أخرى بسبب ظروفها العائلية، فقد توفيت والدتها منذ 5 سنوات تقريبا لتلحق بوالدها الذي لم تره أبدا و الذي فقد في رحلة صيد بحرية منذ أكثر من 20 عاما. لم يكن لها إلا أن تقبل تكفل إحدى خالاتها بها، كانت حياتها مع خالتها سعاد عادية جدا، فخالتها لم تكن يوما في موضع أمها لكنها لم تكن قاسية و شريرة كما في بعض المسلسلات الدرامية، فقد ساندتها لتحصل على إجازتها و سمحت لها بالعمل، لكن على شرط أن لا تخرج من المدينة أو ترغب في السكن وحدها، فقد كانت تعتبرها أمانة في عنقها. لم يكن لأمل أي إخوة أو أخوات و لم يكن لخالتها زوج أو أطفال، فقد كانتا تعيشان وحيدتين، لم تفرض سعاد يوما على أمل أن تساعدها ماديا فقد كانت معلمة متقاعدة و كان راتبها الشهري يكفيها للعيش بكرامة.

لم يعلم ليل بتفاصيل حياة أمل إلا قبل بضعة أشهر حين حاولت مواساته لموت والده، أخبرته بقصتها ليستمد منها القوة و لتعلمه أن الله قد أعطاه أمورا أخرى رائعة لا يتمتع بها غيره، فأختاه و أمه نعم من الله عليه، يجب أن يحمد عليهم الله ليل نهار، لم يستطع ليل حينها إلا أن يوافقها على كلامها باحترام و إعجاب كبيرين.

لم تعد أحاديث ليل و أمل تقتصر على ساعة استراحة الغذاء بل و تعدتها للمواقع الاجتماعية، فصارا يتحدثان بالساعات حول أمور مختلفة، كان ليل يرتاح لأحاديثها، فقد كانت مرحة و تحمل أفكارا قل من يحملها في بني جنسها، كانت متحررة و متدينة في نفس الوقت، فقد كانت تؤمن أن الإسلام جاء ليحرر المرأة و ليس لقهرها و تكبيلها، و كانت تقيم الدنيا إن سمعت أحدا يرسخ لعبودية المرأة مستدلا بأحاديث أو آيات حرفها عن موضعها، اعتبر ليل اختلافها في البداية

غريبا لكن سرعان ما صار يحترمها بسببه، لم تكن عادية تهتم بما تهتم به الفتيات عادة، كان يلاحظ كيف كانت تلبس نفس اللباس لثلاثة أو أربعة أيام متتالية و في بعض الأحيان لأسبوع كامل غير عابئة بنظرة من حولها ، بعكس أغلب الفتيات اللواتي عرفهن في حياته، كانت تبدو لا مبالية و منعدمة الإحساس في البداية و لكن بعد حديثه المطول معها اكتشف أن لها قلبا طيبا و متعاطفا عكس ما تظهر، كانت بشكل غريب تكره أن يتم مدحها، ففي كل مرة كان يحاول أن يمدح إحدى تصرفاتها أو أقوالها، كانت تعارضه مستهزئة:

- لا أملك مالا لأقرضك إياه.

كان من الصعب أن يضعها في إطار مع مثيلاتها، لقد كانت بكل بساطة غريبة الأطوار، كانت مختلفة و لكن اختلافا جميلا، اختلاف لم ينتبه له أحد من قبل، و لم يهتم به أحد من قبل، مرت أشهر عدة و صار لا يمر يوم إلا و يتحدثون بالساعات على المواقع الاجتماعية، يتبادلون الفيديوهات و الصور المضحكة، كما يناقشون الأحداث الحاصلة في البلد، يوما بعد يوم كان تعلق ليل يزداد بأمل و صار يحاول تأطير علاقته بها، فلم يعد يعلم أين يضعها بالضبط، كانت أكثر من صديقة بالنسبة له، كانت بمثابة أخته، كان يتحدث معها و يمازحها كما كان يتحدث مع ميسون و لكن لا، شعوره نحوها لم يكن تماما كشعوره نحو ميسون و رقية، كان يشعر نحوها براحة أكبر، يتمنى لو يستمر بالحديث معها طوال اليوم، كان شعوره نحوها أقرب بكثير من شعوره نحو تِتريت، لكن ما لم يستطع فهمه هو أن شعوره نحو تِتريت كان و لايزال كما هو، لا زال يعشقها كما كان.

****

دخلت الخادمة للغرفة فوجدت تِتريت مازالت نائمة في سريرها، وضعت الفطور بجانبها و خرجت دون أن تزعجها، فقد كانت تلك أوامر وائل، فتِتريت كانت في الشهر الثالث من الحمل، و أمرها الطبيب

أن تلازم الفراش، فقد كان الجنين في وضعية غير طبيعية. استيقظت تِتريت من النوم و اعتدلت في جلستها لتتناول فطورها، تذكرت أن وائل سافر ليلة البارحة لإنجلترا لعقد إحدى الصفقات و وعدها أنه سيعود ما إن ينهيها، لم تغضب هذه المرة لتخليه عنها من أجل العمل، فقد كانت جد سعيدة بالجنين و هي تشعر به في بطنها، كان إحساس لم تشعر به من قبل، صارت الدنيا كلها جنين، لم تعد تهتم لأي شيء غيره، فقد انتظرت هذه اللحظات منذ مدة و زارت أكثر من طبيب لتحس بالأمومة و لم تكن لتسمح لأي شخص أو أي شيء أن يحرمها من فرحتها هذه، و حتى الصعوبات التي كانت تشعر بها معظم الحوامل عادة لم تختبرها، فهي لم تكن تشعر بالغثيان الصباحي و لم تكره أطعمة و لم تحبب أخرى، بقيت عادية كما كانت من قبل و لولا وضعية الجنين المقلقة لكان حملها سهلا جدا. تناولت كتابا من الطاولة بجانبها، فقد كانت تشعر بالملل الشديد، فلم يعد بإمكانها الخروج و حتى والدتها لم تعد تزورها كثيرا بعد أن أصيبت بالتهاب المفاصل، فتحت الكتاب و بدأت القراءة، كان كتابا رومانسيا قرأت أول سطر ثم أقفلته و وضعته جانبا و عادت للنوم.

****

كانت مروى تجلس وحيدة في مكتبها و هي تفكر فيما آلت إليه الأحداث، كان من الصعب عليها تحمل العذاب الذي تمر به، فبين الكوابيس المتتالية و الأرق المستمر و انعكاسه على مردودها في الشركة، ما كان منها إلا تفكر في إيجاد حل للأمر، و بينما هي مستغرقة في التفكير دخل وائل إلى مكتبها دون أن تشعر:

- لقد ظننتك غير موجودة، فقد طرقت الباب مرتين و لم تجيبي.

التفتت إليه مروى مستغربة كيف أنها لم تحس بدخوله و لم تسمع طرقه على الباب، فعلا قلة النوم صارت تؤثر على تركيزها بشكل كبير.

- لقد كنت أفكر في أمر معين، تفضل.

جلس وائل:

- ماذا هناك ما هذا الأمر الطارئ الذي جعلك تتصلين بي في إنجلترا؟ لم تدعيني حتى أذهب للبيت لأغير ملابسي، تِتريت تنتظرني منذ أكثر من يومين على أحر من الجمر.

- الأمر الذي أريد أن أناقشه معك أهم بكثير و يجب أن تستمع لي.

- ما هذا الأمر المهم؟ لم تعد تربطنا أي علاقة عمل منذ أكثر من سنة، و أنت حتى لم تعودي تتصلين أو تزورين تِتريت، فما هذا الأمر المهم؟

- الأمر الذي جعلك تحصل على تِتريت و جعلك تنتقل من منزل فخم إلى آخر.

اعتدل وائل في جلسته و انمحت الابتسامة من على وجهه.

- ماذا تقولين؟ هل جننت؟ لقد تعاهدنا أن لا نتحدث في هذا الموضوع أبدا.

- أنت لا تفهم، فحياتك الجميلة حجبت عنك الواقع، أنا لم أعد أستطيع النوم بسبب ما فعلناه بليل، و حتى الأدوية و المهدءات لم تعد تنفعني في شيء و خصوصا بعد موت والده، لقد تضاعفت كوابيسي، كل يوم أتذكر وجه والده و نظراته نحونا حين جاء يسأل عن ابنه، الأمر لم يعد متحملا، لا أستطيع.

أخد وائل نفسا عميقا هدأ به أعصابه ثم أجابها قائلا:

- إسمعيني جيدا، ما فعلناه لا يعتبر جريمة، فنحن لم نفعل له شيئا ملموسا، لقد كانت مجرد كذبة، لم نفرض على أحد أن يصدقها، و أنا لست مستعدا لأن أتخلى عن كل شيء مقابل أن يحصل هو على كل شيء.

- لكن حياتي أنا صارت قطعة من عذاب لم...

قاطعها وائل:

- و ستصير جحيم إن لم تتماسكي، فضميرك الغبي سيجعلك تفقدين كل شيء، إضافة إلى أنني لن أسمح لك أن تنتزعي حياتي، إذا أردت الاعتراف فافعلي لكنني سأنكر كل شيء و سأتركك تغوصين في الوحل وحدك، أنا لن أخسر ما وصلت إليه أبدا، فكري جيدا أنت لا تملكين دليلا واحدا على ما فعلت، بل ستورطين نفسك، فلحد الآن لا أظن ليل ملم بتورطك معي، و لكن بعد اعترافك ستثبتين تورطك باعتراف غبي...

ثم توجه نحو كرسيها و وضع يده على كتفها مواسيا:

- الأمر ليس فظيعا كما تتوقعين، إنه أمر بسيط، أما بالنسبة للنوم فما عليك سوى زيارة طبيب آخر و مارسي بعض الرياضة فهي تخفف من الضغط النفسي، كما أن بيتنا أنا و تِتريت مفتوح في وجهك دائما، و إن لم تعودي تقدرين على العمل هنا، أخبريني فقط و سأجهز لك منصبك في شركتي منذ اليوم، فأنا لا أنسى المعروف.

خرج من المكتب بعد أن ترك مروى تلملم أوراقها و تعيد ترتيبها من جديد، فرغم وقاحة وائل إلا أن كلامه كان على حق، كيف سمحت لنفسها أن تفكر في تدمير حياتها من أجل شخص أخر، لا يجب أن تفكر في ليل و لا أن تفكر في والده، كان هناك شخص واحد فقط من يستحق أن تفكر به هو مروى.

عاد وائل للمنزل محملا بالهدايا، دخل غرفة النوم برفق حتى لا يوقظ تِتريت، وجدها نائمة بهدوء على سريرها، ممسكة بكتاب لم يهتم بقراءة عنوانه، طبع قبلة على جبهتها و أخذ الكتاب من يدها بهدوء و وضعه جانبا، ثم عدل غطاءها و خرج من الغرفة متوجها لمكتبه بالطابق السفلي، فقد كانت هناك ملفات كثيرة لم ينهها بعد.

****

مضى شهر على آخر رسالة توصلت بها ميسون من ليل، كانت تفكر أن تتصل به لتطمئن عليه لكنها تراجعت، و بينما هي تغسل الأواني سمعت طرقا على الباب، علمت أن والدتها نائمة في الغرفة العلوية و لن تستطيع فتح الباب، مسحت يديها بمنشفة معلقة بجانب المغسلة ثم ذهبت لتفتح الباب، كانت رقية هي الطارقة و معها أيمن الذي صار في ربيعه الأول، سلمت عليها و حملت أيمن و دخلت، جلستا و فجأة أخرجت رقية مغلفا من حقيبة يدها:

- أنظري ما لدي.

- ما هذا؟

- لقد التقيت ساعي البريد في الحي و سلمني هذه الرسالة، إنها من ليل.

انقضت عليها ميسون دون أن تنطق بكلمة تعليق واحدة، و دون مقدمات فتحتها و بدأت القراءة غير مبالية باعتراض رقية.

"أمي العزيزة، أختاي العزيتان.

كيف حالكن؟ لقد اشتقت إليكن كثيرا و اشتقت لأيمن أيضا، لقد فاجأتني الصورة التي أرسلتموها لي في الرسالة السابقة، فقد كبر ما شاء الله و صار رقية صغيرة، إنه طفل جميل فعلا، كيف لا و هو يشبه أختي الجميلة، كيف أحوالكن هل الجميع بخير؟ أتمنى أن تجدكن رسالتي هذه بكامل الصحة و العافية، لقد رافقت رسالتي و ككل مرة بالواجب الشهري الذي أتمنى أن يلبي بعض حاجاتكن. تأخرت في بعث هذه الرسالة لأنني أردت أن أتأكد من أمر معين قبل أن أراسلكم، لدي أخبار جديدة قد تعجبكن و لا أعلم إن كان من اللائق أن أطلعكن عليها، فلم يمض سوى 10 أشهر على موت والدي الذي أتمنى من الله أن يتغمده برحمته و يسكنه فسيح جناته، لا

أخفي عليكن عزيزاتي أنه حين أخبرتنني منذ زمن بزواج تِتريت، أحسست بخنجر يخترق قلبي، لم أعلم كيف و لكنني بعد كل هذا الوقت أظنني تجاوزت الأمر و خصوصا بمساندة أصدقائي في العمل و بمساندة شخص معين لا أستطيع إنكار جميله، صراحة هي فتاة اسمها أمل، و لا أخفي عليكن أنني أعجبت بها و بأفكارها، هي ليست كتِتريت، فهي متوسطة الجمال لكن بها سحر لم أستطع فهمه، أفكارها و تصرفاتها تجعل منها شخصا غريبا، أؤكد لكن عزيزاتي أنه من السهل أن تحبها أو ربما أن تكرهها لكن من الصعب تجاهلها، كنت أتحدث معها في ليلة البارحة خلال استراحة الغذاء و نتناقش حول صحة مقولة وراء كل رجل عظيم امرأة، و توقعت منها الرد الذي أسمعه من كل الفتيات اللواتي لا يتخطين جملة أن المرأة سواء كانت زوجة أو أخت أو أم فهي تساعد الرجل في بناء عظمته و تقف وراء نجاحاته، لكنها قالت أمرا آخر صدمني و جعلني أفكر قبل أن أرد عليها، أتعلمن ماذا قالت؟ لقد قالت و أقتبس:

{ قد تكون هناك نماذج كثيرة لعظماء رجال مقابل قلتها لذى النساء في تاريخنا، لكن يا صديقي العزيز، يجب أن تعلم أن المرأة خلقت عظيمة و خلق الرجل باحثا عن العظمة، فالله كرم المرأة و منحها معجزة الإنجاب و خلق الأطفال في رحمها بإذنه و تربية أجيال لا يستطيعون إلا أن يمنحوا الفضل كله لأمهاتهن، فأربعة من الأنبياء أولي العزم ربتهن نساء، المرأة لم تطالب يوما بالعظمة بل منحت لها، لكن الرجل و منذ الأزل كان من المستحيل عليه أن ينجب أطفالا فما كان منه إلا أن أنجب كتبا و مشاريع و اختراعات و كل ذلك ليطبع اسمه في التاريخ، لأنه بكل بساطة لم يمنح يوما العظمة التي منحتها المرأة، يجب أن تعلم يا صديقي أن النساء كن مقدسات قديما، لأن الشعوب لم يفهموا يوما معجزة الحياة و ظنوا أنها كانت المسؤولة عنها. تذكر يا صديقي، خلقت المرأة عظيمة و خلق الرجل باحثا عن العظمة}.

أعلم جيدا يا عزيزاتي أن أناسا كثر سيختلفون معها، ليس فقط رجال بل حتى نساء، لكن لا أنكر أنني جلست مشدوها و أنا أستمع لحديثها، ليس هذا فقد بل الكثير الكثير من الآراء و الأفكار التي أحببتها، أحببت إيمانها بعظمة النساء و قدرتهن، أحببت افتخارها بأنوثتها بعيدا عن النماذج المتحررة و الضالة التي اعتدنا مشاهدتها في التلفاز، لكن ما بقي يحيرني هو كيف يمكن أن أصنفها في حياتي، فأنا بكل بساطة متأكد أنني لازلت أحب تِتريت، لكن قبل أيام قليلة استوعبت: نعم أنا لا زلت أحب تِتربت و كذلك أحب أمل، لا تستغربن لأنني و ببساطة أحببت تِتربت بقلبي و عشقت أمل بعقلي.

أخيرا عزيزاتي، أسألكن الدعاء فقد عقدت العزم على مصارحتها بمشاعري و كذلك على طلب الزواج منها، أتمنى من كل قلبي أن تقبل بي شريكا لحياتها، سأخبركن في رسالتي القادمة بالمستجدات، فقط أؤكد عليكن أن لا تنسينني من دعائكن.

مع حب ليل و إخلاصه"

******

ألقت تِتريت نظرة أخيرة على جثة والدتها الهامدة قبل أن يقوم الرجال بإخراجها من الغرفة، لم تتوقع يوما أنها سترحل بهذه السهولة بين ليلة و ضحاها، و دون سابق إنذار نامت و لم تستيقظ مرة أخرى، الموت غريب فعلا، كانت تفكر، نمضي سنين و سنين و نحن نحارب الأمراض باستشارة الأطباء و شراء الأدوية، ليحضر هو في غفلة من الجميع و يسرق الروح دون أي سبب، لا مرض و لا حادث، فقط نوم دون استيقاظ، لا يسمح لنا حتى بتوديع من نحب أو بطلب الصفح و العفو، نرحل بهدوء كأننا لم نكن يوما، مسحت دموعها و خرجت أمام باب المنزل تشيع والدتها بأعينها لمثواها الأخير و هي تفكر أنها لم يعد لها أحد في هذا العالم، فقد كانت يتيمة الأب منذ سنين لكنها لم تشعر يوما بغيابه، أما اليوم فقد أحست أنها

يتيمة لأول مرة، لم يعد لأحد ممن تعرف قيمة باختفاء أمها عن الوجود، فقد رحلت الدنيا كلها فوق ذلك النعش المحمول أمامها.

{آه يا أمي لطالما تمنيت أن أودع العالم قبلك، فلم أستطع يوما استيعاب فكرة رحيلك، أنا ضعيفة و أنانية لا أريد أن أعاني من ألم الفقدان و لا أستطيع تحمله، تمنيت لو تشيعين أنت جثماني لتجنبيني هذا الإحساس القاسي، لطالما وقفت حاجزا بيني و بين آلام و مصاعب الحياة لكنك اليوم تخليت عني و رحلتي، تركتني فريسة سهلة للألم}.

جلست في غرفة الجلوس تنظر للتلفاز دون أن تشاهده فعلا، فقد كانت عيناها تحدقان فيه دون وعي و عقلها يفكر في أمور أخرى، مضت أيام على موت والدتها و لم تستطع بعد نسيانها، حملت هاتفها و تصفحت سجل المكالمات الواردة لتجد رقم والدتها، رحلت فجأة و لم يبقى منها سوى رقم يثبت أنها كانت حية ذات يوم، كانت تلك العشرة أرقام الملجأ الوحيد لتِتريت حين تشتد عليها الحياة و اليوم لم يعد يعمل، فقد أعطت الهاتف لأحدى العاملات، تمنت تِتريت سرا لو أنها سجلت صوت أمها لتستمع لها حين تحتاجها، و كم اشتد ألمها حين فكرت أنها في يوم من الأيام قد تنسى صوت أمها و طريقة كلامها، وضعت الهاتف و مسحت دمعة تسللت على خدها في خجل، ثم قامت لتناول العشاء.

****

كانت أمل تشاهد أحد أفلامها المفضلة حين سمعت رنين الهاتف، حملته لتجد رسالة قصير وصلتها من ليل، دون تردد فتحت الرسالة و قرأت: " هل نستطيع أن نتقابل غدا صباحا قبل حضور الجميع، أريد أن أحدثك في أمر خاص".

رفعت أمل حاجبها استغرابا، فما هو الأمر الخاص الذي يريد ليل أن

يحدثها عنه و الذي لا يستطيع إخبارها إياه في رسالة قصيرة أو حتى عبر الهاتف، لكن الفضول دفعها لقبول طلبه: " حسنا، غدا على الساعة الثامنة نتقابل عند المطعم، لن يحضر الآخرون حتى الساعة التاسعة، أظن أن ساعة كاملة كافية لما تريد إخباري".

على الساعة الثامنة وصلت أمل للمطعم لتجد ليل ينتظرها أمام الباب، سلمت عليه ثم جلست على عتبة الباب:

- و الآن ماذا هناك؟

ابتلع ليل ريقه و هو يفكر كيف يمكنه أن يبوح بمشاعره دون أن يترك أي انطباع سيء، و بعد ثوان من الصمت قال:

- لقد أخبرتك من قبل أنني كنت أحب فتاة من قبل و أنني تركتها لظروف معينة، و أنها تزوجت الآن أليس كذلك؟

- نعم.

- لقد مررت بفترة عصيبة من قبل و لم أجد أحدا ليساندني حينها، لكن الآن حين تعرفت عليكم صرت أحسبكم عائلتي.

- و نحن كذلك يا ليل نحسبك فردا منا.

- لطالما صارحتك بكل الأمور و قد أحببت رجاحة عقلك، لذلك أريدك أن تساعديني في أمر معين.

- ما هو؟

تردد ليل للحظات ثم قال:

- يبدو أنني أحببت إحدى الفتيات و أريدك أن تساعديني على إخبارها.

اتسعت عينا أمل عن آخرهما:

- حقا، من هي أخبرني؟

- لن أفعل قبل أن تساعديني.

- حسنا ماذا تريد بالظبط؟

- أخبريني كيف أخبرها، فمن الصعب إخبار أحد ببساطة أنك تحبه.

- ليس الأمر بسيطا فعلا لكنه ليس صعبا أيضا، دعني أفكر قليلا.

و بعد دقائق من الصمت قالت أمل:

- أظنني وجدتها، ستخبرها و لكن بطريقة غير مباشرة، تحدث معها أولا عن أمور أخرى، ثم اسألها ماذا تمثل بالنسبة لها، و كل ذلك لتستدرجها لتسألك نفس السؤال و حين تفعل قل لها: "منذ التقيتك صرت جزءا من حياتي، و لكن الآن أريدك أن تصيري كل حياتي"، ما رأيك أليست جملة رائعة؟

- بلى إنها رائعة، ما رأيك أن تتمرني معي؟

- طبعا.

أخذ ليل نفسا عميقا ثم وقف أمام أمل و نظر في عينيها مباشرة ثم قال:

- هل يمكنني أن أسألك سؤالا؟

- هل بدأنا، حسنا انتظر لأستجمع قوتي، حسنا فلنبدأ، بالطبع يا ليل ماذا هناك؟

- ماذا أمثل بالنسبة لك؟

- ما هذا السؤال الغريب يا ليل؟

- فقط أجيبيني، أريد أن أعرف ماذا أمثل للناس من حولي.

زمت أمل شفتيها متظاهرتا بالانزعاج و محاولة عيش دور الفتاة.

- ماذا أقول إنه سؤال صعب جدا، أظنك الشخص الذي إلتقيته منذ

مدة ليست بطويلة لكن بصراحة أحب الحديث معك، فأنت شخص مؤدب و مثقف. هل يكفيك هذا، هل أجبت على سؤالك؟

- أظن ذلك، و الآن هل تريدين أن تعرفي رأيي بك و ماذا تمثلين بالنسبة لي؟

- لا أعلم، هل أرغب بذلك؟ أظنني أريد أن أسمع ماذا أمثل بالنسبة لك.

- أنت الفتاة التي لم ألتقها إلا من مدة قصيرة، لكن لا أعلم كيف و متى صرت جزء مهما من حياتي و الآن أتمنى لو تصيرين كل حياتي.

وقفت أمل مشدوهة، ثم بدأت بالتصفيق لليل ببطء كمشاهد الأفلام الهوليودية:

- أداء رائع، أحسنت عملا يا صديقي أرأيت لم يكن الأمر صعبا، الآن و قد أتقنت الأداء اذهب و أخبرها.

إبتسم ليل ابتسامة خفيفة لا تكاد ترى و قال:

- لقد فعلت للتو.

وقفت أمل مشدوهة من هول الصدمة و قبل أن تنبس ببت شفة، لمحت سمية قادمة نحوهما ملقية التحية.

****

استيقظت تِتريت و هي تشعر بتعب شديد، تحسست جبينها لتجد العرق يتصبب منه، أحست بدفء غريب في ساقيها، تحسست بيدها أسفل بطنها لتشعر ببلل مريب، فتحت عينيها و نهضت بسرعة من السرير، لتجد الدماء تملأ ملابسها، حاولت استيعاب الأمر، لا بد أن هناك خطبا ما فالدماء كانت تملأ ملابسها بأكملها، نادت برعب على وائل لكنه لم يجبها، لابد أنه ذهب للعمل، لم يكن أحد بالمنزل فحتى الخادمة ذهبت للحمام العمومي بعد أن تأكدت أن تِتريت لا تحتاج

شيئا، أخذت الهاتف و ركبت رقم هاتف وائل، يرن و يرن و لكن لا أحد يجيب لابد أنه في أحد اجتماعاته السخيفة، لم تجد أحدا لتتصل به، ما كان منها إلا أن تتصل بالإسعاف و تنتظر وصول رجال غرباء لإنقاذها هي و جنينها.

وصل وائل للمستشفى بعد أن اتصلت به إحدى الممرضات معلمة إياه أن زوجته تعاني من نزيف حاد، استفسر عن رقم غرفة تِتريت و صعد مسرعا الدرج، فتح الباب ليجدها مستلقية و دموع الحسرة تنهمر على خديها، اقترب منها بهدوء:

- هل أنت بخير؟ ماذا هناك؟

أجابته بصوت مختنق:

- لقد فقدت الجنين.

أمسك وائل بيدها و قال مواسيا:

- لا عليك يا عزيزتي، أعلم أنه أمر صعب على كلينا و عليك أكثر، لكن هذه مشيئة الله، و لازال أمامنا العمر بطوله لإنجاب أطفال آخرين.

سحبت يدها بسرعة من بين يديه و التفتت للجانب الآخر و أجهشت بالبكاء، استغرب وائل من ردة فعلها، وحاول تهدئتها لكن عبثا، و فجأة دخل الطبيب و نادى عليه، خرج وائل بسرعة و وقف مع الطبيب:

- ماذا هناك؟ لماذا هي حزينة لهذه الدرجة؟ أعلم أننا فقدنا طفلنا لكن ردة فعلها أرعبتني بعض الشيء.

عدل الطبيب نظارته محاولا إيجاد طريقة لإخباره بالأمر، ثم قال:

- سيد وائل أعلم أن ما سأقوله صعب جدا و قد يغير حياتكما للأبد، لكن أتمنى أن تتمالك أعصابك و أن لا تبالغ في ردة فعلك.

- ماذا هناك؟

- عندما وصلت السيدة كانت تعاني من نزيف حاد، حاولنا إيقافه و إنقاذ الجنين، لكن لا فائدة فقد كان ميتا منذ أيام، لا أعلم كيف حصل ذلك، لكن بعد أن قمنا بإزالة بقاياه، استمر النزيف و لم يرد التوقف، و بعد قيامنا بفحص مدقق وجدنا أن رحم السيدة تِتريت كان جد متضرر، لم يكن هناك ما نستطيع القيام به، حاولنا معالجة الأمر لكن للأسف اضطررنا لإزالة الرحم لإنقاذها.

أمسك وائل الطبيب من ياقة قميصه في غضب :

- كيف تفعلون أمرا كهذا دون أخذ إذني؟

- لقد اتصلنا بك مرارا و تكرارا لكن هاتفك كان مشغول، لم نستطع الوصول إليك و كانت المسألة مستعجلة، لم يكن لدينا سوى بضع ساعات لأخذ قرار، لقد كانت زوجتك على وشك الموت إثر النزيف.

أفلت وائل الطبيب و حاول تمالك أعصابه، جلس على أقرب كرسي واضعا رأسه بين يديه و هو يفكر في هول ما حدث، لم يعد بإمكانهما الإنجاب، صارت تِتريت عاقر، و ليس هناك ولو بصيص أمل صغير، صارت عاقر.

******

بعد أن خرجت أمل من العمل، وجدت ليل ينتظرها أمام الباب، لقد حاولت التأخر لتتفادى لقائه و لكن لا فائدة، كان أمامها حلان، تجاهله أو التحدث معه بكل صراحة، فكرت جيدا و اختارت مواجهته، ذهبت نحوه قائلة:

- هل نستطيع الحديث على انفراد في مكان معين؟

- طبعا يا أمل، أين تريدين الذهاب؟

- لا أعلم، ربما يمكنك مرافقتي للمنزل مشيا على الأقدام، قد

يستغرق الأمر ساعة كاملة، أظنها كافية لحديثنا.

- حسنا.

بدآ بالمشي في صمت في البداية قبل أن تكسر أمل الصمت قائلة:

- منذ متى و أنت تشعر نحوي بهذا الشكل؟

- منذ أشهر.

- لكنك قلت أنك لازلت تحب تِتريت.

- تِتريت تزوجت و صارت ماضي، لقد أعجبت بك بشكل مختلف، لا أعرف كيف أشرح لكن أعجبت بك.

- لا أعلم كيف أرد عليك يا صديقي، لم أتوقع أن يحصل هذا يوما، لم تترك لي فرصة لأستعد للإجابة.

توقف ليل فجأة:

- أنا لا أريد أن نقوم بأمر خاطئ، أريد أن أمضي بقية حياتي معك، انسي تِتريت فهي لم تعد في حياتي منذ زمن.

- أنت لا تعلم ما تريد، أنت حتى لا تعرفني حق المعرفة، لو عرفتني جيدا لما أردت الارتباط بي يا عزيزي، فأنا كابوس الرجال جميعا.

- ماذا تعنين؟ أنا أعرفك جيدا؟

- أنا الفتاة متوسطة الجمال، قوية الشخصية و متحررة التفكير، أنا المؤمنة بالمساواة و الفخورة بكونها امرأة، أنا بكل بساطة كابوس الرجال.

صمت ليل لبعض الوقت و هو يفكر في كلامها، هل صحيح أن المرأة القوية كابوس الرجال؟ لكنه لا يشعر أنها كابوس بل هي حلم يتمنى أن يتحقق.

- اسمعيني، إذا كنت تظنين نفسك كابوسا للرجال، فأنا بكل بساطة استثناء بني جنسي، أنا الرجل الوحيد على الكوكب الذي يرى الكابوس حلما جميلا و يتمنى أن يقبل الحلم الجميل الزواج به.

احمرت أمل خجلا من وقع كلمات ليل:

- إذا كنت حقا متأكدا من كلامك، فسأحدد لك موعدا مع خالتي ولكن تذكر أنني حذرتك، لا تأتي إلي نادما في يوم من الأيام.

- لن أفعل، و أتمنى أن تقبل خالتك بي و أن تحاولي إقناعها بظروفي.

- لا عليك فخالتي امرأة طيبة و متعاطفة لأقصى الحدود.

****

بعد خروج تِتريت من المستشفى تغيرت 180 درجة، صارت قليلة الكلام و منطوية على نفسها، لم تعد تهتم بمظهرها الخارجي، صارت لا تغادر غرفتها إلا قليلا، حاول وائل التخفيف عنها و اقترح عليها أن تسافر، لكنها رفضت، كان يعلم أن من الصعب عليها تحمل أمر قاس كهذا، لقد صار من المستحيل أن تصير أما، و كلما حاول مواساتها ترد قائلة:

- أنت لا تشعر بما أشعر به، فلا زالت الدنيا كلها أمامك، أما أنا فلا.

كان يعلم جيدا أنه بعكسها يستطيع أن يصير أبا متى أراد، لكنه لم يرد أبناء من أحد غيرها، كانت فكرته جميلة جدا، و غير واقعية بالنسبة لتِتريت، مع مرور الأيام حصل وائل على ترقية أخرى و اشترى منزلا كبيرا جدا في ضواحي المدينة، لم يكن من الصعب عليه أن يقنع تِتريت أن تنتقل إليه، فقد كانت ترى ذكريات حملها في أركان المنزل القديم و أرادت الانتقال في أقرب وقت، لم يعد وائل مديرا عاما في الشركة بل صار مساهما بها و تضاعفت أرباحه في أقل من شهر، و كعربون حب للتِتريت اشترى لها سيارة فخمة، و لم يكتفي بإحضار

خادمة لمساعدتها بل استخدم طاقما كاملا يتكون من طباخ و خادمتين و حارس مكلف بتشذيب الأشجار، لم تعد تِتريت تقوم بأي شيء طوال اليوم، و بدل أن تشعر بالسعادة صارت تشعر بملل أكثر، كان الفراغ بداخلها يكبر و يكبر و هو يلتهم كل لحظاتها السعيدة.

****

لم تدم خطبة ليل و أمل إلا شهرا واحدا و بعد ذلك عقد قرانهما بحفل بسيط نظمته خالة أمل التي تفهمت أوضاع ليل الأسرية، لم تستطع أم ليل و لا أخواته الحضور، فقد خفن أن يتسببن لليل بمشكل يوم زفافه. بعد انتهاء الحفل غادر العريسان لشقة صغيرة اكتراها ليل في حي شعبي، لم تتوقف أمل عن العمل رغم زواجها فقد كانت أحوالهم المادية لا تسمح بذلك، فقد علمت بشأن مساعداته الشهرية لعائلته و لم تعترض على ذلك، كانت الهدايا التي أحضرها الأصدقاء و الأهل كافية لبداية حياتهما.

استيقظت أم ليل في الصباح لتعد الفطور لميسون، و كعادتها قامت بتفقد علبة البريد فليل لم يراسلهم منذ مدة و بدأ بالها ينشغل عليه، فتحت العلبة لتجد رسالتين، الأولى من مكتب الكهرباء و الماء الصالح للشرب، فكرت أن الشهر يمر بسرعة و يجب عليهم دفع فاتورة الاستهلاك كي لا يقعوا في المشاكل مع المكتب، و الثانية كانت الرسالة المنتظرة منذ زمن، إنها رسالة من ليل، أخذتها بسرعة و أيقظت ميسون لتقوم بقراءتها، فتحتها كعادتها و أخرجت منها المبلغ المالي أولا لتناوله لأمها ثم بدأت القراءة:

" أمي العزيزة أختاي الحبيبتان :

لقد مضى أكثر من 3 أشهر على زواجي الذي تمنيت لو استطعتم الحضور إليه، لا أنكر أنني أحسست بضيق و غربة شديدين و لم يستطع أي من أصدقائي تخفيف إحساس الوحدة المر الذي

أحسست به ليلة العرس، أطلب منكن العفو عزيزاتي لأنني لم أراسلكم منذ مدة، فقد كانت الأيام الماضية جد حاسمة، فبعد أن أصرت خالة زوجتي أن نسكن معها و رفضنا نحن ذلك و قررنا أن نعتمد على أنفسنا، كان واجبا علينا أن لا نفشل في اختيارنا و أن نظهر أننا قادران على تدبر أمورنا المادية، و لذلك قررت إيجاد عمل أخر و لو جزئي، إلى جانب عملي في المطعم و بفضل الله استطعت استلام مهمة حارس ليلي في إحدى المدارس الخاصة، لا أعمل كل أيام الأسبوع طبعا لأنه أمر صعب جدا إذ لم نقل مستحيل، لذلك اخترت العمل ثلاث أيام في الأسبوع بينما يستلم شاب آخر ما تبقى من أيام، لا أخفي عنكم أن أيام الإثنين و الأربعاء و الجمعة هي من أصعب أيام حياتي، فبين العمل في المطعم و الحراسة الليلة لا يبقى لي سوى ساعات قليلة للراحة و النوم، ولكن لن أتذمر فقد أنعم علي الله بأمل التي تريحني من كل الأعمال و المشقات الأخرى، فهي تقوم إضافة للعمل بالمطعم بكل الواجبات داخل و خارج البيت، لن أنكر أنها مرتاحة من طبخ الوجبات لأننا نتناول الغذاء و الفطور في المطعم و نحضر ما يتبقى من طعام للعشاء، إلا أنها تقوم بالتسوق و الجلي و منذ أقل من شهر وجدتها أحضرت علبة الطلاء الزيتية و قامت بصباغة غرفة المعيشة، لكي نوفر مصاريف العامل.

أتمنى يا عزيزاتي أن لا تعتبروا رسالتي هذه مجموعة شكايات لأنها ليست كذلك، بل هي مجرد وصف تفصيلي لأضعكم في الصورة الكاملة لحياتي الجديدة، و هي كذلك لإعلامكم بالخبر السار الذي سيغير حياتكم كما غير حياتي، فمنذ أيام قليلة أحست أمل بتعب شديد مما اضطرني لأخذها للطبيب، و هنا كانت المفاجأة السارة فقد أخبرنا أنها حامل في أسبوعها الرابع، لا أستطيع أن أصف لكم مدى فرحتي و امتناني لله الذي عوضني على كل الأيام التعيسة الماضية بطفل سيحمل اسمي. أكد لنا الطبيب أن أمل بخير و أن الجنين في وضعية جيدة، و رغم محاولاتي لإقناع أمل الجلوس في المنزل في فترة

حملها، إلا أنها رفضت و أيدها الطبيب على قرارها، قائلا أن العمل العادي لن يؤثر عليها أو على الجنين، بل من الجيد لها أن تملأ وقتها بشيء معين، كي لا تكتئب أو تحس أن حياتها تغيرت تماما، و في نهاية الكشف أعطانا بعض الأدوية و المكملات الغذائية لتجنب إصابتها بفقر الدم أو نقض في الكالسيوم، و أكد علينا أن نقوم بزيارته إن أحست بأي تغيير مفاجئ.

أتمنى من كل قلبي أن تمر فترة الحمل على خير ما يرام و أن يولد الصغير بكامل الصحة و العافية، في بعض الأحيان تسألني أمل إن كنت أرغب بذكر أو أنثى و ككل رجل عاقل أجيبها أن الذرية الصالحة لا تحدد بالجنس، إلا أنني لا أخفيكم سرا أنه في أعماقي أتمنى أن تكون فتاة، لا أعلم لماذا لا أستطيع أن أشرح السبب، لكن أتمنى أن تكون فتاة و لم لا قد نخطط لتزويجها أيمن بعد إذن رقية و أحمد طبعا.

في الختام أتمنى أن تكونوا بخير و أن يكون أيمن في كامل الصحة، قد تكون هذه أطول رسالة أرسلها و ذلك لأنها تحمل أخبارا كثيرة.

ملاحظة: ستجدون مبلغا من المال وسط الغلاف، أتمنى أن يساعدكم في بعض مصاريف المنزل.

مع حب ليل: الإبن، الأخ، الزوج و الأب المستقبلي "

****

حاولت تِتريت أن تتناسى مشكلتها و أن تقوم بأعمال تشغلها عن التفكير في عجزها، بما أن وائل لم يكن يحاسبها على نفقاتها و كان دائم الغياب عن المنزل، حاولت الانخراط في إحدى الجمعيات المهتمة بتخفيف المعانات عن النساء الأرامل، القرار الذي أيده وائل بحماسة لاسيما أنه صار من رجال الأعمال المرموقين في الجهة و انخراط زوجته في العمل الجمعوي سيضيف له الكثير، كما أنها ستكون

صلة الوصل بينه و بين رجال الأعمال الآخرين من خلال تنظيم حفلات جمع التبرعات و ندوات تثقيفية و الكثير من الفرص التي ستعزز سمعته و تزيد من سطوته.

مرت أكثر من سنة حافظ فيها وائل على وعده و لم يذكر مسألة عجز تِتريت عن الحمل مرة واحدة لأي أحد، بل كان يظلل العائلة بقوله أنهما ليسا مستعدين لاستقبال مولود جديد بعد، أحبت تِتريت تصرفه هذا و زاد احترامها له، لكنها كانت تتمنى لو أنه يظل معها و يساندها، فقد صار يغيب أياما طويلة عن المنزل بسبب العمل و الاجتماعات، و رغم انشغالاتها في الجمعية إلا أنها كانت تحس بالوحدة، فحتى زيارات مروى التي كانت تؤنس وحدتها و تمضي معها ساعات طوال في التسوق و الثرثرة، حرمت منها بعد أن عينها وائل مديرة الفرع الجنوبي للشركة، فصارت انشغالاتها أكثر بكثير مما كانت عليه من قبل، لتقل زياراتها يوما بعد يوم حتى صارت أحاديثهما تقتصر على الهاتف و وسائل التواصل الاجتماعي.

في إحدى الليالي استيقظت تِتريت على صوت منبعث من مكتب وائل، شعرت بخوف شديد، فقد كانت تعلم أن لا أحد في المنزل غيرها هي و الحارس الذي لا يسمح له بدخول المنزل، فكل من الخادمة و الطباخ طلبا الإذن بالانصراف لسبب معين خاص بهما، كانت تعلم جيدا أنهما يكذبان و ربما هما على موعد غرامي بمناسبة رأس السنة، إلا أنها لم ترد إرهاق نفسها بالتحقيق و التدقيق و سمحت لهما بالانصراف، أما الخادمة الكبرى فقد ذهبت منذ يومين لزيارة أمها في المدينة المجاورة و لم تعد بعد، لكنها الآن تسمع صوتا قادما من مكتب زوجها الذي يحضر اجتماعا في فيينا بشأن إحدى المناقصات، ترددت في البداية، لكنها استجمعت قواها و ذهبت للمطبخ لتتسلح بإحدى السكاكين الكبيرة، ثم تسللت على رؤوس أصابعها متوجهة لغرفة المكتب، و قبل أن تفتح الباب سمعت صوت مألوفا يتحدث

عبر الهاتف، لقد كان وائل، أحست بغباء شديد لشعورها بالخوف و هي تنظر للسكين بين يديها، لابد أنه عاد اليوم بالذات لأنه أراد أن يحضر لها مفاجأة بمناسبة رأس السنة الميلادي، وضعت السكين جانبا و حاولت فتح الباب بهدوء لإفزاعه، لكنها تراجعت فجأة عند سماعها وائل يقول لمخاطبه عبر الهاتف:

- لا لا عزيزتي لا داعي للقلق، فهي نائمة في الطابق العلوي، فمضادات الاكتئاب التي تتناولها تجعل نومها ثقيلا جدا، سآخذ بعض الأوراق اللازمة لاجتماع الغد و سآتي لزيارتك، فأنا لا أستطيع أن أستقبل السنة الجديدة بعيدا عنك، تعلمين أن...

تراجعت تِتريت بهدوء دون أن تكمل الاستماع لنهاية المحادثة، فقد كان يكفي ما سمعته، صعدت لغرفتها و تمددت على سريرها و هي تتمنى لو أنها لم تنزل لتقصي أمر الصوت الغريب، علمت أن حياتها لن تعود كما كانت بعد تلك اللحظة ، فكما تحدد نهايات الناس عادة بتاريخ وفاتهم، علمت أن نهايتها تحددت بتاريخ سماعها لمكالمة وائل.

****

لم تعد أمل تعمل في المطعم، فبعد إنجابها للصغيرة حياة، صار من المستحيل الموازاة بين واجبات الأمومة و العمل الخارجي، فقد سمح لها صاحب المطعم بالانسحاب من العمل و تفهم حالتها و لكنه أصر عليها أن تعود في أي وقت تريد، فأبواب المطعم ستظل دوما مفتوحة أمامها، حاول ليل أخذ مكان أمل في العمل فصار مكلفا بغسل الأطباق و خدمة الزبائن في آن واحد، فقد كان يحتاج المال لتلبية حاجات المنزل و مصاريف الصغيرة، رغم إعفاء والدته له من الواجب الشهري متفهمة لظروفه الجديدة. كان ليل جد فرح بطفلته، تمنى سرا لو أنه استطاع تسميتها أمل، كإسم والدتها فقد كانت الاثنتين أمله في الحياة، لكن في النهاية قرر تسميتها حياة.

جلس ليل قرب النافذة يشاهد تساقط المطر وهو يتناول طعام الغذاء، كان منسجما تماما حين سمع صوتا من خلفه يقول:

- ظننتك لا تحب الجو الماطر و تكره مشاهدته.

التفت ليجد زيد، ابتسم بسعادة قائلا:

- و من قال أنني أشاهد المطر، أو أنني مهتم بالمنظر الذي تعتبرونه جميلا؟

جلس زيد بسرعة أمام ليل و نظر إليه باستغراب:

- لكنني رأيتك تتأمل المطر عبر النافذة.

- لم أكن مهتما بالمنظر بل كنت أفكر في أمر آخر بعيد كل البعد عن عالمكم.

اتسعت عينا زيد من الفضول:

- في ماذا كنت تفكر؟

- كنت أفكر في حياة، أتعلم لا أستطيع أن أبعدها عن تفكيري و لو لثانية واحدة، لقد مضى أكثر من 5 أشهر على ولادتها و لا زال شعوري الأول نحوها هو نفسه، لقد ظننت أن الحب هو ما كنت أشعر به اتجاه تِتريت أو ما صرت أشعر به اتجاه أمل، لكن حبي لحياة أمر آخر تماما، لقد أحببتها دون أن أتعرف عليها أو أكلمها، لقد أحببتها منذ أول يوم حملتها بين ذراعي و رأيت حجمها الصغير، الذي لم أتخيل يوما أن شيئا بهذا الصغر قد يملأ قلبي و يهيمن عليه، لقد أحببتها منذ ذلك الوقت حبا غير مشروط، لقد صارت هي في المرتبة الأولى و الكون بأكمله في المرتبة الثانية، صارت كل عالمي، كنت أفكر الآن كيف يعتبر البعض حبهم لأناس آخرين حبا إن لم يجربوا حب أطفالهم، حبي لها حب غير مشروط أستطيع منذ الآن أن أضحي بكل شيء لأحميها و أنذر حياتي الباقية لأجلها دون حتى أن أنتظر كلمة شكر

واحدة منها، أقسم لك يا صديقي إن لم تجرب شعور الأبوة هذا، فأنت لم تعش في هذه الدنيا إلا القليل.

نهض زيد من مكانه و اتجه نحو النافذة قائلا:

- لو كان كل الناس يفكرون مثلك لصار عالمنا أقرب للجنة، ولكن ليس كل من رزق بأبناء يمكن اعتباره أبا.

ثم انصرف للمطبخ دون أن يضيف أي كلمة أخرى تاركا ليل في حيرة من أمره.

****

تناولت مروى الهاتف و يداها ترتعدان من الخوف و بصعوبة ركبت رقم وائل، لم تهتم للساعة التي كانت تشير للخامسة صباحا، بدأ الهاتف يرن و يرن ثم أخيرا أجابها صوت نعسان و متعب:

- ألو؟

- ألو وائل أنا مروى، أحتاج أن أتحدث معك الآن.

- إنها الخامسة، ما الأمر المهم الذي تحتاجينني به؟

- لقد رأيت كابوسا آخر، لقد تغير الأمر، تغير الحلم و صار أبشع، أحتاج أن أتحدث مع أحد ما و لا أستطيع أن أخبر أحدا عن هذا الحلم غيرك.

اعتدل وائل في جلسته و قال:

- حسنا أخبريني، ماذا رأيت؟

- أولا يجب أن تعلم أنه و لأول مرة رأيتك في الحلم معي، لم أكن لوحدي هذه المرة، لقد كنت أنا و أنت ذاهبين للعمل مشيا على الأقدام و لاختصار الطريق قررنا المرور من وسط المقبرة المجاورة للحي الذي أسكن فيه، كان المكان خاليا لأن الصباح كان باكرا جدا، و رغم

اعتراضي لم تستمع لي و أصررت أن نمر من وسط المقبرة، و بعد جدال تبعت خطواتك، بعد دخولنا ببضع أمتار رأينا منظرا جد بشع، رأينا حيوانا يقف على قائمتيه الخلفيتين منحني على جثة، و حين تمعنا في المكان وجدنا جثتا منتشرة في كل الأرجاء، لكن الغريب أنها لم تكن مأكولة بالكامل، بل كانت منقلبة على بطنها و تبدو بخير، و قبل أن نلتفت و نلوذ بالفرار، التفت الحيوان و نظر باتجاهنا، هربنا باتجاه الباب دون تفكير و تبعنا هو بسرعة كبيرة جدا، و عند خروجنا من المقبرة وجدناه بانتظارنا، التفتت بجانبي لألتقط شيئا أدافع به عن نفسي و عنك لكنني لم أجدك، لقد اختفيت و بقيت وحدي في مواجهة الوحش، و قبل أن أقوم بأية حركة رأيت امرأة قد أسقطت رضيعها بجانب الوحش فبدأت أصرخ عليها لتحمله و تهرب بينما أقوم أنا بإلهائه، لكنها لم تستمع لي و بقيت تتراجع خائفة، و قبل أن ألتقط عصى كانت بجانبي لأدافع بها عنها و عن الصغير، سبقني الوحش و انقض على الرضيع، و حين انتهى منه فهمت لماذا كانت الجثة الأخرى تبدو سليمة، لقد كان يقتلع قلب فريسته كجراح محترف دون أن يمزق أي عضو من أعضاء الجسم الأخرى، كان صراخ الصغير يصم الآذان، و ما فاجأني أن أمه بقيت على حالها واقفة دون حراك، و قبل أن تقوم بأي ردة فعل انقض عليها هي الأخرى و اقتلع قلبها ليتغذى عليه، ثم و بينما كنت أحاول الهرب اعترض طريقي، كان شكله غريبا، كان يشبه الحيوان بفروه و أنيابه و أذنيه الغريبتين، لكن كان يقف على قائمتيه الخلفيتين كالكائن بشري، و ما زاد خوفي و ذعري هو حين وجه كلامه لي قائلا: " لا تخافي، فأنا لن أنقض عليك الآن، لا زلت طرية و لا أريد التغذي على قلبك الأسود النجس." ثم اتجه نحوي و أكمل: " لكنني ربما قد أستمتع بتمزيقك، فكما ترين أنا لم أعد إنسانا لقد صرت حيوانا مفترسا، منذ أن قمت بتشريدي" و بينما انقض علي، استيقظت من نومي و اتصلت بك أنت أولا، لقد حاولت التماسك لكن الأمر أكثر من طاقتي.

- اسمعيني يا مروى، يكفي لقد كان مجرد كابوس، أنا أشاهد مثل هذه الأحلام كل ليلة، لابد أنك شاهدت فلما غريبا قبل النوم أو سمعتي قصة أو ربما...

و قبل أن يكمل جملته قاطعته مروى صارخة:

- ألا تفهم لقد كان ليل، كان ليل الذي شردناه، و سوف يعود ليمزقنا جميعا.

- اهدئي يا مروى ليل لن يعود أبدا، فهو لن يجرؤ و حتى لو فكر أن يمس أحدا منا فسوف أتدبر أمره قبل حتى أن تطأ قدمه أرض مدينتنا، فقط أنت أخرجي كل الأوهام و الأفكار المتعلقة به من عقلك، و الآن عودي إلى النوم و غدا لا داعي لتحضري للعمل، ارتاحي في المنزل أو اخرجي لزيارة أحد أقاربك أو أصدقائك، هل اتفقنا؟

- حسنا، سأحاول و ربما إذا قد أزور تِتريت لأخرج رفقتها.

- فكرة رائعة و الآن تصبحين على خير.

****

صار عمر الصغيرة حياة قرابة السنة، صارت تتمشى متمايلة و تنطق ببعض الكلمات غير المفهومة، كان ليل يعشقها حد الجنون و رغم رجوعه من العمل متعبا كان يصر على ملاعبتها و التحدث معها، بل و كان يصر على إيقاظها حين يجدها نائمة رغم اعتراضات أمل. لم تشتك أمل يوما من صعوبة المعيشة و أصرت على العودة للعمل بعد أن صار بإمكانها ترك حياة لخالتها التي فرحت جدا بالصغيرة، فقد صارت تستيقظ كل صباح و تحمم الصغيرة و تغير حفاظاتها و ملابسها ثم تقوم بإرضاعها، لتأخذها بعد ذلك لبيت خالتها لتتكلف بها أثناء ساعات عملها الثمانية، لتعود لأخذها بعد ذلك على الساعة السابعة مساءا، كان راتب أمل أقل من راتبها السابق، فقد انتقص منه المدير أجر الساعتين المتبقيتين، لكن ظل كافيا لسد حاجات

المنزل، إضافة إلى أن ليل لم يعد مضطرا للعمل بدلا عنها و اكتفى بوظيفتيه السابقتين، كما أنه صار بإمكانه إرسال بعض المساعدات لعائلته مرة أخرى.

في يوم الأحد استيقظت أمل كعادتها و قامت بتحميم الصغيرة و تغيير ملابسها لتتركها لخالتها، فالعمل في المطعم لم يكن يتوقف الأحد بل كان يتضاعف و لذلك كان الجميع يحضرون بساعة قبل الموعد المحدد، لكن هي كانت حالة استثنائية، أما ليل فقد استيقظ قبلها بساعات و ذهب ليقوم بأعمال التنظيف مع الآخرين قبل حضور الزبائن، غيرت أمل حفاظات الصغيرة و وضعتها في سريرها بعد أن نامت ثم تفقدت الساعة، لا زالت لديها نصف ساعة قبل أن تذهب لبيت خالتها، فكرت أن تستغلها في أخذ حمام ساخن، أخذت منشفتها و دخلت الحمام.

عاد ليل للمنزل بعد أن تأخرت أمل على العمل و بعد أن اتصل بها و لم تجب، فكر ربما لم تجد خالتها أو ربما كانت مريضة و لم تستطع الاعتناء بالطفلة، فتح الباب ليفاجأ بصوت صراخ الصغيرة، يبدو أن الخالة لم تقبل باستقبال الصغيرة كما توقع، دخل غرفة النوم مباشرة ليجد الصغيرة و قد بللت الدموع وجهها و تكاد تجن من الصراخ، بحث عن أمل في المطبخ و نادى عليها مرارا و تكرارا دون فائدة، ثم فتح باب الحمام ليجدها مستلقية على الأرض، حملها بسرعة و لفها بمنشفة و أخرجها للشرفة لتستنشق الهواء النقي لكن لا فائدة، فقد فارقت الحياة بسبب استنشاقها لغاز البوتان المتسرب من سخان الماء.

****

كانت تِتريت تشاهد التلفاز في غرفة الجلوس حين دخلت الخادمة و أعلمتها بحضور مروى لزيارتها، و أنها تنتظرها في غرفة الضيوف، نهضت بسرعة لرؤية صديقتها، فقد مر وقت طويل منذ آخر لقاء

بينهما، سلمت عليها بحرارة و جلستا تثرثران حول جديدهما، و فجأة تحولت نظرة تِتريت لخليط بين الحزن و الجدية و قالت:

- إن وائل يخونني يا مروى.

صعقت مروى من كلام تِتريت:

- ماذا تقولين؟ هذا غير ممكن.

- بل ممكن، لقد سمعته منذ أشهر، ليلة رأس السنة، كان يحدثها على الهاتف و يتغزل بها كما يفعل معي تماما، لقد ظننته يحبني، لكنني كنت مخطئة.

صمتت مروى و هي تحاول التفكير في كيفية التخفيف عن صديقتها دون التدخل بين الزوجين:

- اسمعيني، إن شخصا مهما كوائل، قد تجدين الكثيرات يحمن حوله و يسعين وراءه، لكن هذا لا يعني أنه مهتم لأمرهن، ربما كانت نزوة و انتهت، أرجوك لا تحطمي زواجك بأمر كهذا، إضافة إلى أن وائل يحبك بل و يعشقك، لقد قام بأمور لا يمكنك تخيلها ليظفر بك.

- ماذا تعنين؟

ارتبكت مروى من سؤال تِتريت فدون أن تشعر بدأت تتحدث عن أمور ممنوعة، و بسرعة تداركت الأمر:

- أقصد، أنه لم ينظر يوما لغيرك و لا يتمنى من الدنيا كلها سوى رضاك.

ابتسمت تِتريت بتهكم ثم قالت :

- لقد كنت و وائل أعز أصدقاء منذ زمن و أعلم عنه كل شيء تقريبا، أتعلمين لقد أدركت شيئا معينا بعد زواجنا، أدركت أنه من النوع الطفولي الذي يعشق ما بيد غيره، و ما إن يحصل عليه يمل منه

و يضعه جانبا ثم يتطلع لشيء آخر، لقد ظننت في البداية أن هذا الأمر يقتصر فقط على الوظائف و الصفقات و المنازل، لكن الأمر صار متعلقا حتى بحياته الشخصية.

- ربما يكون طموحا في ما يخص أموره المادية، لكن ليس العاطفية، هو يحبك بجنون.

- يكفي يا مروى، لا تدافعي عنه فهو لا يستحق، ربما الحب بالنسبة للرجال مختلف تماما عما هو بالنسبة لنا، فنحن لا نحب بسرعة و لكننا نحب بعمق، أما هم فيعشقون بسرعة حد الجنون ثم يملون بسرعة و ينسون كأن شيئا لم يكن.

- لا أدري كيف يحب الرجال لكن أعلم أن وائل إنسان محترم، إنه يتحدث عنك طوال الوقت، ماذا قد تغير بالنسبة لكم حتى تتغير مشاعره، لا شيء البتة.

فكرت تِتريت أنه قد تغير الكثير، لم تعد طبيعية كما كانت، فقد صارت امرأة فارغة، صارت كشجرة زينة تستهلك الماء و الضوء و تستنزف التربة دون فائدة، لقد صارت شجرة غير مثمرة.

- ماذا تنوين أن تفعلي الآن؟ هل ستواجهينه؟

- لا لن أفعل طبعا، سيتوجب علي أن أرحل إذ واجهته، ظنه أنني جاهلة للموضوع يحفظ لي ما تبقى من كرامتي، أما إذا علم أنني أعلم و لم أرحل بعدها فسأصير كقطعة أثاث لا قيمة لي، دعيه على الأقل يحدثها سرا خوفا من أن أكتشف أمره.

- آسفة يا صديقتي أتمنى لو كنت أستطيع أن أنصحك أو أساعدك، فكما ترين أنا فضلت حياة العزوبية و الحرية على الحياة الزوجية خوفا من مثل هذه المواقف.

أطلقت تِتريت ضحكة تردد صداها في كل أرجاء المنزل، لتخفي حزنها

و انكسارها، مظهرة أنها لم تتأثر ثم قالت :

- إنتظريني قليلا سأرتدي ملابسي لنخرج للتسوق، فقد علمت أن هناك تخفيضات لا تصدق.

****

انفض العزاء و ذهب الجميع، الأصدقاء، العائلة و الجيران، رحل الجميع و بقي ليل وحيدا في المنزل، فحتى حياة أخذتها خالة أمل للاعتناء بها، فليل لا يستطيع القيام بواجباته الأبوية نحوها حاليا، كان الظلام قد أسدل ستائره و لا يزال ليل جالسا على نفس الكرسي منذ خروج الجميع، كان يحاول استيعاب ما حصل، فمنذ أيام قليلة فقط كان ينعم بحياة مثالية، زوجة رائعة و طفلة لم تر عيناه أجمل منها في العالم، و اليوم و دون سابق إنذار صار أرملا و صارت طفلته يتيمة، انسلت الدموع على وجنتيه و هو يفكر أنه لن يرى أمل مرة أخرى، لقد رحلت للأبد، كيف يمكن لشيء كهذا أن يحصل؟ لقد كانت في الخامسة و العشرين من عمرها فقط، شابة في كامل الصحة و النشاط، كانت تتعامل مع كل مشاكل الحياة بواقعية و لم تسمح يوما لشيء أن يضعفها، كانت قوية و لم تستسلم يوما، كيف استطاعت أن تستسلم للموت و تسمح له بهزيمتها؟ كيف استطاعت أن تترك حياة لوحدها؟ نهض من كرسيه و تناول صورة لها بين يديه، و دون وعي منه بدأ يحدثها و يعاتبها :

{ كيف لك أن ترحلي هكذا دون إعلامي؟ لم نخطط أن تفعلي أمرا كهذا، لقد اتفقنا أن نسافر الصيف القادم للجبال لنقوم بالتسلق و نلتقط الكثير من الصور، كما خططنا لنرافق ابنتنا معا للمدرسة في أول يوم لها، لقد أجبرتني ذلك اليوم أن أعدك أن لا أرحل يوما كما فعل والدك، و ها أنا ذا وفيت بوعدي و أنت من أخلفت بوعدك، كيف لك أن تذهبي بهذه السهولة؟ ألا تعلمين أنني لا أستطيع القيام بأي شيء من دونك، لقد كنت أملي الوحيد يا أمل، بموتك ماتت

آمالي، كيف لي أن أستمر بدونك؟ لقد كنت كل عالمي، و بدونك لا عالم لي، كيف تسمحين لنفسك بالذهاب، لم أعهدك أنانية يا أمل، كنت دوما تفكرين بمن حولك أولا، كيف استطعت القيام بأمر كهذا؟ إن لم تفكري بي كيف لم تفكري بحياة؟ لقد تركتها وحيدة و يتيمة، ستحتاجك يا أمل، ستحتاجك لتخبرك عن بلوغها، ستحتاجك لتخبرك عن أول شاب تعجب به، ستحتاجك لتتوسطي لها عندي لأقبل بخاطب تحضره، ستحتاجك لتساندها في زواجها و حملها، ستحتاج نصائحك في تربية أطفالها، ستحتاجك لتخبرك أسرار النساء، ستحتاجك، أنا لن أستطيع أن أعوض غيابك، أنا رجل، الرجال لا يعوضون النساء يا أمل، أنا لست بقوتك و حكمتك و صبرك، أنا من كان يجب أن يرحل يا أمل، أتعلمين يقولون لي أن الله سيعوض محبتك صبرا، كيف للصبر أن يعوض رحيلك، أنت لم تكوني زوجة فقط، لقد كنت حبيبتي و صديقتي و أمي و أختي، لقد كنت العالم كله و برحيلك رحل العالم، أتدرين لو لم أفكر بحياة يوم وفاتك لفضلت أن أتبعك، فعالم بدونك هو عالم بلا أمل، كيف يمكنني أن أنساك و أتجاوز صدمتي و كلماتك تتردد على مسامعي في كل وقت و حين؟ أتذكرين حين قلت لي لو أنني لم أناسب مواصفات فارس أحلامك كنت ستغيرينها هي لتناسبني، بالنسبة لي أنت لم تكوني فقط فتاة أحلامي، أنت كنت فتاة أحلام الجميع كنت زهرة بين الصخور، كنت الاستثناء يا أمل، كنت الجمال و الطيبة، كنت العمق، كنت الأمل، كنت الجانب المنير في عالم يملأه الظلام، كنت الشمعة التي لا يمكن أن تستمر للأبد، كنت الإنسانة التي لا مكان لها في عالمنا القذر، بعد كل شيء أنت لم تكوني يوما أنانية يا أمل، بل أنا الأناني، تعلقت بك و أردتك أن تبقي معي للأبد لأنك أملي و لكن ربما عانيت بما فيه الكفاية في هذه الدنيا و حان الوقت لتنتقلي بجوار من هو أحن و أرحم من الجميع، ليسكنك فسيح جنته و لترتاحي و تنعمي بالسعادة التي تستحقينها ".

******

أقفلت تِتريت الباب على نفسها في غرفة النوم منهارة من البكاء، لم تستطع استيعاب كيف استطاع وائل فعل أمر مماثل لما فعله قبل لحظات، لم تكن تنوي مواجهته و لكنه أرغمها على ذلك بكلامه عن معانات إحدى العاملات عنده مع زوجها الخائن، لم تستطع التحمل فواجهته بخيانته لها و أخبرته بكل ما سمعته ليلة رأس السنة، و دون أي سابق إنذار انفجر ثائرا في وجهها و اتهمها بالهلوسة و أن أدوية الاكتئاب التي تتناولها صارت تسبب لها تهيؤات لا أساس لها من الواقع، و أنه لم يعد يتحمل نكدها و سوداويتها الزائدة، و لكن ما أفاض الكأس هو قوله:

" ألا يكفي أنني تقبلت أمر عجزك عن الإنجاب و بقيت وفيا لعهدي و لم أفكر يوما بالتخلي عنك، هل هذا جزائي لمعاملتي لك كأميرة، أنا أعمل بجد كل يوم كالحمار لا أمل و لا أكل و كل ذلك لأوفر لك حياة كريمة، بينما أنت تفتشين ورائي و تتجسسين علي لتشبعي غيرتك و فضولك النسوي، أرجوك توقفي عن هذه الأمور التافهة لقد صرت تتلذذين بدور الضحية، أرجوك عودي تِتريت التي أحببتها و التي كانت شخصيتها قوية و لا تسمح لشيء بكسرها".

فكرت تِتريت هل يمكن فعلا أن تكون واهمة و أن مكالمات زوجها الغرامية و خياناته الواضحة مجرد خيال؟ و لكن لماذا قد تتوهم أمرا كهذا فقط؟ لماذا لا تتوهم أشياء أخرى؟ جلست بهدوء على السرير و هي تفكر، {ربما خوفي من أن يهجرني هو ما دفعني لتخيل خيانته، فمروى على حق، لا يمكن لوائل أن يخونني، فهو صديقي قبل أن يكون زوجي، نعم هو يحبني بجنون و يحترمني}. تناولت حبتين من الدواء ثم استلقت على السرير و هي تتساءل كيف وصلت لهذه الحال.

دخلت مروى لمكتب وائل فوجدته يحدث رجلين طويلين ببدلات

رسمية، و ما إن رآها حتى ودعهما و أخبرهما أن يعلماه بأي جديد، جلست أمام مكتبه في حيرة :

- من هاذين؟ لا يبدو من طريقة كلامك معهما أنهما زبائن.

- ألم أخبرك أنني سأتكلف بحمايتك من كوابيسك؟ ها أنا ذا أفي بوعدي، هاذين هما من يشرفان على حمايتنا من ليل، لا عليك الآن، خيرا ماذا هناك لا تبدين بخير؟

- لقد اتصلت بي تِتريت اليوم و أخبرتني أنها قد أصيبت بالجنون و أنها صارت تتوهم أشياء غير واقعية، و قبل أن أستفسر منها انقطع الخط و لم أستطع إعادة الاتصال بها، أنا قلقة جدا عليها، أظن أن مكروها حصل لها.

- اهدئي لا تقلقي، إنها بخير فقد اتصلت بي منذ دقائق قليلة من الهاتف الثابت للمنزل و أخبرتني أن هاتفها سرق منذ ربع ساعة تقريبا حين كانت تتحدث معك، أما بخصوص التهيؤات فسأشرح لك لاحقا، أما الآن فلدينا اجتماع طارئ مع عمدة المدينة.

- حقا، ماذا يجب أن أحضر معي؟

- أحضري كل البيانات المتعلقة بالمشروع الخيري الذي قمنا به مؤخرا، و كيف تطورت الشركة بعد استلامي لها و لا تنسي إحضار كشف رصيدي البنكي.

- أنا لا أفهم لماذا نحتاج أمورا كهذه، إذا كنا سنشارك في إحدى المناقصات، فبماذا سنحتاج رصيدك الخاص؟

ابتسم وائل بثقة قائلا :

- لن نشارك في أية مناقصة، بل يمكنك اعتباره مشروعا شخصيا، فأخيرا اقتنع العجوز بضرورة عدم ترشحه لولاية أخرى، و أريد أن أثير إعجابه ليقوم بتزكيتي.

- أمر رائع، مبارك لك، إذا فقد تصير العمدة المقبل للمدينة؟

- لن يحصل ذلك إن تأخرنا عن موعدنا معه، هيا أسرعي.

****

مَرَّ أكثر من أسبوع على جنازة أمل، لم يكن هذا الوقت كافيا طبعا لنسيان ليل لها، ولكنه كان كافيا ليجمع فيه حطامه و يركز على تربية ابنته التي ظلت في منزل سعاد منذ يوم الجنازة، رتب المنزل قليلا ثم ذهب لإحضار الصغيرة.

جلس ليل على الأريكة ينتظر سعاد لتحضر كؤوس الشاي، لم يستطع منع نفسه من تفقد المكان بعينيه بحثا عن الصغيرة، و حين لم يجدها ما كان منه إلا أن يتوجه بسؤال مباشر لسعاد:

- خالتي أين حياة؟

- لقد ذهبت لروضة الأطفال، كما تعلم الموسم الدراسي بدأ منذ أربعة أيام تقريبا، فرأيت أن اختلاطها بأطفال في سنها قد يساعدها على تخطي صدمة فقدان والدتها، لا سيما أنها كانت تسأل عنها كل يوم تقريبا.

شعر ليل بالامتعاض من تصرف خالة زوجته، لكن الوقت لم يكن مناسبا لتبادل اللوم.

- حسنا و متى ستعود؟

- الثانية عشر من كل يوم أذهب لإحضارها، لو ترى كيف انسجمت بسهولة مع أطفال الروضة لقد...

قاطعها ليل.

- أين تتواجد هذه الروضة أتمنى أن لا تكون بعيدة جدا عن منزلي كي لا أضطر لتغييرها، فآخر ما أريد فعله هو إزعاج حياة بنقلها من مكان

لآخر.

اعتدلت سعاد في جلستها و وضعت كأس الشاي جانبًا ثم قالت:

- لقد كنت أود أن أتحدث معك في هذا الأمر.

- خيرا؟

- منذ وفاة أمل فكرت ربما يتوجب على حياة أن تظل معي، فهي لا تزال صغيرة و تحتاج لامرأة للاعتناء بها.

- لا مشكلة في ذلك، سأحضرها لك كل صباح و أعود لأخذها في المساء حين أرجع من العمل.

- أنت لم تفهم قصدي، فقد قصدت أن تظل معي دائما و يمكنك زيارتها في أي وقت تشاء.

وضع ليل كأس الشاي بدوره على الطاولة و وقف في غضب:

- لا يا خالتي، لا أظن هذا ممكنا فحياة هي ابنتي الوحيدة، و لن أسمح لأحد أن يبعدها عني.

- إسمعني يا ليل...

- لا، لقد سمعت كفايتي، سآخذ حياة و نذهب لبيتنا، و طبعا يمكنك زيارتنا في أي وقت.

انتفضت سعاد في برود قائلة:

- لقد تجاوزت حدودك يا ليل و الآن اسمعني، حياة ستظل معي شئت أم أبيت، و أنت بسوابقك لن تستطيع أخذها مني، أنا أعلم قصتك مع الشرطة كاملة، لذلك لا تتجرأ على تحدي أو أنك ستكون الخاسر الوحيد، و بدل أن ترى الصغيرة متى شئت لن تستطيع رؤية نور الشمس بعد اليوم.

- كيف تجرئين، لقد وعدتماني أن لا تتحدثا في هذا الموضوع أبدا

و أنه سيظل سرا بيننا.

- أنا لم أخلف بوعدي و لكن أحاول مساعدتك فقط، أنا أرى مصلحة حياة أولا، و لذلك فقد اضطررت لأضعك أمام خيارين لا ثالث لهما، إما أن تذهب الآن و تعود لرؤية حياة متى أردت لأنها تحتاج والدها لا سيما في هذه الظروف أو أن تستمر على عنادك و حينها سأضطر للاتصال بالشرطة.

إنسحب ليل في هدوء، العجوز كانت في موقع يسمح لها بفعل أي شيء عكسه تماما. بقي يجوب أحياء المدينة تائه القدم، باحثا عن حل يخرجه من ورطته بأقل الخسائر، فسعاد وضعته بين مطرقة الأبوة و سندان القانون.

******

سمعت تِتريت وائل يتحدث على الهاتف بصوت يشبه الهمس في غرفة المكتب، لم تستطع منع نفسها من الاقتراب و التسلل للتنصت عليه، وضعت أذنها على الباب و بتركيز تام استطاعت سماع حديثه كاملا، كان وائل يتحدث مع أحد لم تستطع التبين إن كان رجلا أو امرأة، كان يبرر موقفه له أو لها، لم تفهم عما كان يتحدث لكن جملة أخيرة جعلتها تفهم كل شيء، أحست بصعقة كهربائية سرت في جسدها و شلت أطرافها، لم تستطع الحراك، فقد كان المنزل يدور حولها بكل أثاثه و أنفاسها انقطعت و أبت رئتها أن تقوم بدورها، استندت بصعوبة على الحائط و حاولت الوصول لغرفتها، و شيئا فشيئا بدأت ترى ألوان المنزل الزاهية رمادية تميل للسواد، فتحت باب الغرفة بشق النفس و استلقت على سريرها و هي تحاول استجماع قوتها، لكن عبثا فقد كان لما سمعته تأثير الحجر المقذوف في المياه الراكدة، حياتها الهادئة و المملة تغيرت للأبد و دون سابق إنذار.

****

في يوم الغد خرج ليل من المنزل متجها لمكتب أحد المحاميين الذي وجد عنوانه في الصفحات الصفراء على الأنترنيت، انتظر دوره و بعد دقائق نادت عليه السكرتيرة:

- ماذا تريد يا سيدي؟

- أريد أن أستشير الأستاذ في أمر معين.

- حسنا 200درهم.

- ماذا؟

- إنه واجب الاستشارة.

لم يكن ليل في مزاج مناسب ليناقشها، فقرر الدفع دون إضافة أية كلمة، تناولت السيدة المال و أشارت له بالدخول، جلس أمام المحامي، كان عجوزا في الستين من عمره تقريبا، لم يتردد ليل في أن يخبره بكل تفاصيل القضية، بداية من هروبه و وصولا لاستيلاء خالة زوجته الراحلة على حضانة الصغيرة.

استغرق المحامي في التفكير ثم قال أخيرا:

- إسمع، حسب قولك أنت متهم بالسرقة و هي تعد جنحة، و ما يجب أن تعرفه عن الجنح هي أنها تسقط عن صاحبها بعد مرور 4سنوات، و لذلك يجب أن تعرف إن كان مر أكثر من هذه المدة على هروبك أو لا؟

- أظن ذلك فطفلتي الآن عمرها سنتين و نصف و قد هربت من المنزل قبلها بمدة طويلة.

- إسمعني لا يجب أن تظن بل يجب أن تتيقن، فإن كان ينقص يوم واحد على المدة فلن يكون لقانون التقادم أية فائدة.

- حسنا سأحسب المدة بالضبط، ولكن ماذا بعد؟ ماذا يمكنني أن

أفعل لاسترجاع حضانة ابنتي؟

- كل ما علينا فعله الآن هو أن نسوي وضعيتك القانونية و بعد ذلك، القانون واضح جدا في مسألة الحضانة، لن تستطيع خالة زوجتك إبقاء الصغيرة معها بعد أن يصدر قرار المحكمة لصالحك، و هي تعرف ذلك عين اليقين لكنها تستغل وضعك الغير القانوني و ماضيك، ولكن ما يجب عليك أن تعرفه، هو أنه حتى و إن لم نسوي وضعك القانوني، يمكن لوالدتك أن ترفع دعوى ضد خالة زوجتك لأنها و بسبب وفاة حماتك أحق بالحضانة، ولكن هروبك هذا سيشكل مشكلا كبيرا لابنتك في المستقبل و لذلك أنصحك أن تسلم نفسك على كل حال، فإن كانت فترة التقادم قد مرت، سيكون أمرا جيدا جدا أما إن كانت لم تمر بعد، فأعدك أن قضيتك ليست صعبة جدا و أستطيع مساعدتك و الدفاع عنك، و في أسوء الحالات قد تسجن لمدة قصيرة لعدم سوابقك القانونية، هل تفهمني؟

بقي ليل شارد الذهن لفترة و هو يفكر فيما قاله المحامي و في الخيارات المتوفرة أمامه، و دون أي تردد رد قائلا:

- سأفعل ما قلته، مصلحة الصغيرة أهم، خالة أمل سيدة صالحة، لكن إبعادها لصغيرتي عني خطأ سيؤثر عليها و أنا لن أسمح بذلك، حتى لو كان الثمن حريتي.

****

نظرت تِريت للمرآة و كأنها تتأملها لأول مرة، تتفرس ملامحها و تحاول حفظ تفاصيل جمالها الذي بدأ يذبل و يختفي شيئا فشيئا، صدق من قال أن الله أوصى النساء ألا يحزن، الحزن سم قاتل، لا يترك من المرأة سوى أطلال متآكلة شاهدة على حقبة من جمالها و شبابها، نزلت دمعة على خدها ساحبة معها سواد الكحل من عينها، تناولت القلم لتتدارك ما تبقى منها، ثم وضعته جانبا و أمسكت علبة دواء

و بدأت تحدث نفسها بصوت مرتفع غير مبالية بما قد يقوله الخدم عنها:

{ من كان يظن أنك ستصلين لهذه المرحلة من البؤس و الكآبة، مضادات الاكتئاب منتشرة في كل أرجاء المنزل، بالله عليك كم عبوة استهلكت لحد الآن؟ و مع ذلك لم تستطيعي الخروج من دوامة الحزن التي تتخبطين بها و لم تستطيعي قتل شبح الاكتئاب الذي يطبق على أنفاسك، رغم ذلك فهذه الحبات الصغيرة صارت أعز أصدقائك، فلولاها لكنت الآن في عداد الموتى أو بين المجانين في مستشفى الأمراض النفسية، أتدرين في بعض الأحيان لا أفهم لماذا تصرين على البقاء حية أصلا، ألا تفهمين أنه لم يعد يربطك بهذا العالم أي شيء، ماضيك مات و اندفن مع هروب ليل و مستقبلك ضاع حين استأصلت رحمك، أما حاضرك فلا داعي للحديث عنه فأنت أدرى به، ليس لك من الحاضر سوى عقارب ساعة تدور و تدور لتحول كل يوم من أيامك لماض لا أهمية له، لماذا تصرين على البقاء و تعاندين الحياة، ليس لك إلا حلين لا ثالث لهما، إما أن تقوي نفسك و تتحملي إلى الآخر بابتسامة عريضة، أو أن ترحلي بسلام من هذا العالم بإحدى تلك الطرق التي تتخيلينها كل يوم، كل ما عليك فعله هو تحديد طريقة واحدة و القيام بها، فانتحارك مئات المرات في أحلامك و خيالك لا يزيدك سوى كآبة}.

ابتلعت حبتين من علبة الدواء ثم انسلت تحت الغطاء و غطت في نوم عميق.

في الصباح استيقظت تِتريت على صوت رنين الهاتف، تناولته بهدوء و بعيون نصف مغمضة قرأت على الشاشة: "مروى"

- ألو مروى، كيف حالك؟

- بخير، لا تقول لي أنك لا زلت نائمة، إنها الواحدة بعد الظهر.

- كنت نائمة، لكنك أيقظتني، ماذا تريدين خيرا؟

- اليوم انتهيت من العمل مبكرا، و فكرت أن نخرج معا إن كنت متفرغة.

- بالطبع متفرغة، هل تمزحين منذ متى كنت مشغولة أصلا؟ متى تريدين الخروج؟

- بعد ساعة سأمر عليك لنتناول الغذاء معا و نقوم ببعض التسوق.

- رائع، انتظري هل يمكننا الذهاب للشاطئ أيضا؟ سمعت أن هناك محلا يبيع مثلجات طعمها لا يقاوم.

- طبعا أي شيء تريدينه، أراك بعد ساعة.

جلست تِتريت و مروى على رمال الشاطئ تراقبان الموج بينما تتناولان المثلجات، لم تتوقف تِتريت عن الحديث عن روعة مذاقها و كيف أنها لم تتذوق مثيلة لها من قبل، كانت مروى تستمع لها و قد رسمت على وجهها ابتسامة عريضة دفعت تِتريت للسؤال عن سببها:

- لماذا تبتسمين هكذا؟ هل على وجهي شيء ما؟

- نعم.

- حقا؟ ماذا؟ أين؟

- على وجهك فرح و سرور لم أره منذ فترة.

رمقتها تِتريت بنظرة عتاب:

- لقد أفزعتني، ظننت أن شيئا ما على وجهي.

- بل أنت التي أفزعتني في الشهور الماضية، لقد قلقت عليك كثيرا، ظننتك فقدت ابتسامتك و فرحك، ظننت أنني فقدت صديقتي للأبد.

- لا تقلقي، منذ اليوم و بداية من الآن سترين تِتريت أخرى، انسي

البؤس و الكآبة، لقد فهمت أشياء لا يفهمها إلا من مر بما مررت به، الحياة قيِّمة يا مروى، قيِّمة جدا.

أخذت نفسًا عميقا و أكملت:

- و أنا قررت أن أعيشها بكل لحظاتها الجميلة، لقد وضعت الماضي في صندوق و رميت مفتاحه في البحر و فتحت ذراعي للمستقبل، سأعانقه بكل ما أوتيت من قوة.

كانت مروى تتأملها في فرح.

- أنا مسرورة جدا لأجلك، و وائل سيسر أيضا.

- طبعا سيسر، أتعلمين، لقد فكرت جيدا و وجدت أنني ظلمته كل هذه السنين، فهو لم يتخلى عني رغم الظروف، و أنا بماذا جازيته؟ بالشك و النكد و البكاء طوال الأسبوع، سأتغير سأصير تِتريت التي أحبها أول يوم في الشركة.

- رائع، هذا ما كنت أريد منك فعله منذ البداية.

- و أنت لم تخبريني عن أخبارك الجديدة، هل لا زلت تقابلين ذلك الشاب الوسيم الذي قلت أنه مغرم بك و سيعقد قرانه عليك قريبا؟

- لا لقد انتهى الأمر بيننا منذ زمن، فأنا لم أستطع أن أبادله نفس الشعور، لقد كان إنسانا طيبا لكن كنت سأظلمه لو قبلت الزواج به.

- ماذا تعنين، مروى ما الأمر؟

انغمست مروى في بحر أفكارها لوهلة قبل أن تجيب:

- سأكون صريحة معك، رغم أني أعرف أنك قد تغضبين مني، أرجوك لا تتهمين بالغباء، فأنت أول شخص أخبره بهذا الأمر.

- ما الأمر لقد بدأت تقلقينني، ما المشكل؟

- ليس هناك مشكل، كل ما في الأمر أنني أحب شخصا آخر.

وضعت تِتريت يدها على فمها كأنها تحاول منع صرخة الفرح من الخروج:

- و أين المشكل؟ هذا أمر رائع، إذا تزوجي من تحبين و انتهت القصة.

- الأمر ليس بهذه السهولة، فهو مرتبط و وضعه لا يسمح له بالزواج بي، لكنني أحبه و رغم أنني أعلم أن لا أمل أن يكون لي، إلا أنني لا أستطيع.

- يا غبية إن كان لا يحبك يجب أن تنسيه، فهذه العقد لا تجلب سوى المشاكل.

- أنا غبية و أعلم ذلك، رغم أنني حاولت طوال حياتي أن أبقى خارج أسوار مملكة العشق، إلا أنني دخلتها في غفلة مني و وجدت بابها مقفلا حين حاولت الخروج، و الغريب أنني لا أحبه كما تحب النساء عادة، أنا أحبه بشكل مختلف تماما، لا أغار عليه و لا أريده أن يكون لي و لا أحقد على محبوبته أبدا، أنا فقط أحبه و أحب حبي له، أحب التفكير فيه و أفرح لفرحه و حتى حين صارحني بحبه لفتاة أخرى و ارتباطه بها لم أغضب بتاتا، بل فرحت لأنه أحب و لأنه سيشعر بالفرح الذي أشعر به، لا أطلب منه أن يكون لي و لن أفعل يوما، فأنا لا أريده أن يقع في مأزق أو حيرة بيني و بين من يحب، أريده فقط أن يكون سعيدا، فأنا التي أحبه، لا ذنب له في شعوري، يكفيني أن أعلم أنه بخير و أن على وجهه ابتسامة هي الدنيا بأكملها بالنسبة لي، أنا سعيدة بحبه.

- أنت فعلا غريبة الأطوار أكثر مما كنت أظن، هو مرتبط و له حياته أنت أيضا يجب أن تجدي شخصا لتبني معه حياتك الخاصة.

- أنت لا تفهمين، أنا لا أستطيع أن أتوقف عن حبه، و تفكيري به و أنا على ذمة رجل آخر، هذه خيانة و عذاب لشخص ليس له ذنب سوى أنه أحبني، إضافة إلى انه يمكنك القول أنني أنتظر معجزة،

ربما قد تحدث و تنتهي قصتي بسعادة كما يجب.

- أنت فعلا غريبة و مفهومك للحب أغرب.

- إنسيني الآن و تناولي مثلجاتك فقد أوشكت على الذوبان.

****

جلس و هو يرتشف كوب قهوة ينتظر وصولها فلديه الكثير ليخبرها به، لكن كعادتها تأخرت لا بد أنها ستتحجج بعملها و بمديرها الذي لا يسمح لأحد بالخروج قبل الموعد مهما كانت الظروف، تفقد ساعته مرة ثانية، ليفاجأ بصوت بجانبه يقول:

- أعلم أنني تأخرت يا أيُّور، لكن تعلم السبب فلا داعي أن أشرح من جديد أن رئيسي شخص لا تفوته فائتة و لا أريد منه أن يغضب أو يعلق على عملي، يكفي أن له مشاكل في المنزل ككل الرجال و لا أريده أن ينفس عن غضبه في.

- حسنا لم أنطق بكلمة واحدة أصلا أعلم أنه شخص مريض و لا أريد أن تقعي في أي مشكل معه، أنا آسف لأني طلبت منك الحضور في هذا الوقت، لكن لدي بعض الأمور التي أريد أن أتحدث معك في شأنها.

كانت تنظر له بعمق و تتفحص كل سنتمتر في وجهه، لتقاطعه قائلة:

- نعيما، أنت دون ذقن تبدو أصغر.

- لاحظت الأمر، ظننتك لن تفعلي، فهناك من لم يلاحظ.

تجنبت سؤاله عن من يقصد بكلامه.

- عن ماذا تريد أن تحدثني؟

- أحتاج مساعدتك و منصبك في أحد تحقيقاتي الصحفية.

- أنت تعلم أنني لا أستطيع تسريب ولو معلومة واحدة و خصوصا عن

وائل.

- أرجوك فوظيفتي تتوقف على هذا الأمر، سأطرد.

- حسنا ولكن بشرط لا نريد تشهيرا أو طعنا أو قذفا، أرجوك، إن أردت أن تكتب مقالا عنه فليكن عقلانيا و محترما، فأنا أيضا وظيفتي تتوقف على ذلك، آه لو أستطيع أن أرفض طلباتك.

****

كان ليل جالسا في غرفة نومه وحيدا يفكر فيما عليه فعله حين سمع صوت صنبور المياه في المطبخ، نهض بسرعة باتجاه مصدر الصوت لتفقد الأمر ليفاجأ بأمل واقفة أمام المغسلة ترتب الأواني النظيفة بعد أن قامت بغسلها، تسمر للحظة أمام الباب من هول المفاجأة، فرك عينيه مرات عديدة ليتأكد من الصورة التي أمامه لكنها ظلت كما هي، لتلتفت نحوه و بصوتها الحيوي سألته:

- ماذا هناك؟ ألم تر القمر يغسل الأواني من قبل؟

لم يجبها و بقي واقفا دون حراك، استغربت من ردة فعله، و اقتربت منه واضعة يدها على جبينه تتفحص حرارته:

- هل أنت مريض؟ ما بك تبدو شاحبا للغاية؟

بصعوبة شديد، استطاع إخراج بعض الكلمات من فمه:

- أنا بخير لكن لا أفهم، ألم...

- ماذا؟ أكمل.

استوعب للحظة ما كان على وشك قوله و تراجع قائلا:

- كل ما في الأمر أنني لم أتوقع وجودك هنا.

- تقصد في المطبخ؟ لماذا؟ لابد أنك ظننت أنني بقيت في بيت خالتي مع حياة، لقد أوصيت خالتي أن تبقي حياة معها لبعض الوقت، أردت أن

أتمم بعض أعمال المنزل أولا، ثم سأذهب لإعادة الصغيرة.

وضع ليل يده اليمنى على خدها الأيسر يداعبه في حنان:

- آه لو تعلمين كم اشتقت إليك يا أمل، ظننت أنني فقدتك للأبد.

- ماذا تعني بفقدتني؟؟ لقد كنت معك الصبح فقط.

- لقد رأيت كابوسا أفزعني، رأيت حياتي بدونك، لقد كانت ظلاما حالكا.

- لا عليك يا عزيزي، لقد استيقظت الآن، أنا هنا بجانبك، كل ما ينقصنا هو صغيرتنا، أتعلم اذهب أنت لإحضارها و سأكمل أنا إعداد العشاء.

فجأة سمع ليل جرس الباب يرن و يرن رنين أيقظه من نوم عميق ليجد نفسه نائما على الكرسي في غرفة الجلوس، لقد كان مجرد حلم، حلم وسط حلم، حلم أقرب إلى الواقع، حلم تمنى لو أنه واقع و لو أن واقعه هو الكابوس، نهض ليفتح الباب و الجملة الأخيرة من كلام أمل تتردد على مسامعه، "اذهب أنت لإحضارها" فتح الباب ليجد الطارق قد رحل لابد أنه يئس من طرق الباب و ظن أن لا أحد بالمنزل، "اذهب لإحضارها":

- نعم يا أمل سأذهب لإحضارها أعدك بذلك، سأفعل ما بوسعي و لن يستطيع أحد منعي.

دخل لغرفته و جمع بعض الملابس ثم توجه مباشرة للمطعم، ودَّع زملاءه مخبرا إياهم أن أمه أصيبت بوعكة صحية و أن عليه زيارتها، ثم ذهب ليسلم على خالة زوجته و ابنته كأن شيئا لم يكن، لم يرد من سعاد أن تعرف ما يخطط له، فلا أحد قد يتوقع ردة فعلها، أخبرها أنه سيقوم بزيارة قصيرة لوالدته المريضة و سيعود بعد أسبوع، ترك لها بعض المال في حال احتاجت حياة لشيء ما، حضن الصغيرة بين ذراعيه بشدة، فهو لا يعلم إن كان سيراها بعد ذلك أم

لا:

- سأحاول الاتصال بك كل يوم يا حبيبتي، انتبهي لنفسك و انتظريني سأعود قريبا.

- حقا؟ أرجوك لا تتأخر بالعودة و أحضر معك ماما فقد تأخرت كثيرا.

كان كلام حياة كالخنجر يمزق قلب ليل، اغرورقت عيناه بالدموع، فقبلها على جبينها قائلا:

- أعدك أنني لن أتأخر، فقط انتظريني و لا تذهبي لأي مكان قبل أن أعود، كما أعدك أنني سأحضر لك الكثير من الألعاب.

انصرف ليل من منزل سعاد و هو يتمنى و يدعو الله أن يساعده على تحقيق وعده.

****

دخل وائل المنزل ليفاجأ بالمنزل مظلما تماما، أضاء الأنوار و بدأ بالنداء على الخدم ثم على تِتريت، لكن دون فائدة، وضع معطفه على كرسي بجانب الباب ثم دخل بخطوات متثاقلة و بتوجس، محاولا فهم ما يحصل، لكن المنظر الذي رآه في صالة المنزل كان غير متوقعا، وجد تِتريت واقفة و أمامها طاولة مليئة بأطباق من مختلف أشكال الطعام، و الشموع و الورود قد زينت المكان كله، نظر لها باستغراب، ابتسمت تِتريت و اقتربت منه قائلة:

- اليوم مرت أربع سنوات على زواجنا، أحببت أن أذكرك بهذا اليوم المميز بطريقة مميزة.

- حقا؟ أنا آسف جدا...

قاطعته قائلة:

- لا داعي للاعتذار، أنا أعلم أن مشاغلك كثيرة جدا، لذلك أحببت أن أحتفل معك به و لأعبر لك أنا عن اعتذاري.

أمسك وائل يدها اليسرى في حنان و الابتسامة تعلو محياه:

- أنا الذي أريد أن أعتذر منك، و أريد منك أن تعلمي أنني أحبك و أنني ضحيت و فعلت الكثير للفوز بقلبك، و أنني مستعد للقيام بأكثر من ذلك فقط لأرى هذه الابتسامة الجميلة على وجهك.

وضعت تِتريت يدها اليمنى على يد وائل محيطة بيده قائلة:

- صدقني، أعلم جيدا ما تعنيه و أعلم تضحياتك، و الآن يا عزيزي اسمح لي أن أخدمك شخصيا في هذا اليوم المميز، فقد أرسلت كل الخدم في إجازة اليوم، و كل هذه الأصناف التي تراها هي من إعداد يدي زوجتك الجميلة شخصيا.

قبل وائل يديها برفق:

- حفظك الله أنت و يديك يا حبيبتي.

****

وقفت ميسون مشدوهة حين فتحت الباب غير مصدقة المشهد الذي تراه أمامها، كان ليل بشحمه و لحمه واقفا، انقضت عليه معانقة دون أن تنطق بكلمة واحدة، أدخلته بسرعة قبل أن يراه أحد من الجيران، دخل ليل بهدوء متقدما نحو المطبخ حيث تقف أمه، و دون أن تنتبه له سمعته يقول:

- كنت أتمنى أن أدفع نصف عمري لأشم رائحة طعامك الشهي ولو لمرة واحدة.

أسقطت فاطمة السكين من يدها غير مصدقة للصوت الذي سمعته، تلك النبرة لا يمكن أن تخفى عليها و لو وسط مليون صوت آخر تستطيع تمييزه، صوت صغيرها، التفتت و هي تتمنى أن لا تكون

واهمة، و أن يكون تخمينها صائبا، ما ان لمحت وجهه و تفرست فيه حتى تتأكد أنها لا تهلوس، عانقته و الدموع تنهمر من عينيها، خانتهما الكلمات في التعبير عن اشتياقهما لكن دموعهما كانت تقول كل شيء.

جلس ليل يتناول طعام الغذاء مع عائلته في هدوء، قبل أن تكسر أمه جدار الصمت الذي خيم على المكان قائلة و عيناها الحمراوتان تتأملان:

- كيف حالك الآن يا بني؟

- أنا بخير، لا أقول أنني تجاوزت أمر وفاة أمل، لكنني أحاول التعايش معه، آسف لأنني منعتكم من الحضور للعزاء، أنتما تعلمان...

- لا تتأسف يا أخي، نعلم ظروفك جيدا، لقد تمنينا أن نساندك وندعمك في تلك الظروف و لكن الأمر لم يكن يوما بيدنا.

- سيصير قريبا بين أيدينا.

- ماذا تعني يا بني؟

- لم أكن أعرف كيف سأخبركم، لكن بما أنك سألت، سأخبركم بسبب مجيئي، لقد قررت أن أسلم نفسي.

وضعت الأم قطعة الخبز من يدها:

- كيف ستسلم نفسك و لماذا؟ و ماذا عن حياة ألم تفكر بها؟

- بلى فكرت بها يا أمي، و بسببها عزمت على إنهاء هذه اللعبة.

- لعبة...

أمسك ليل بيد أمه مقاطعا:

- نعم لعبة، لعبة قاسية تأذى بسببها الكثير، و آن الأوان أن تنتهي قبل أن تحصد مزيدا من الضحايا، فقداني لوالدي و لأمل كان صعبا جدا، لقد اكتفيت، لا أريد لابنتي أن تضيع بسبب أنانيتي و جبني.

- و لكنك ستدخل السجن.

- لا لن أفعل، لقد تحدثت مع أحد المحامين، و قد أكد لي أنني لن أدخل السجن، و حتى لو حدث ذلك على الأقل سيكون من حقك المطالبة بحضانة ابنتي التي استولت عليها سعاد.

- ماذا تقصد باستولت عليها؟ ألم تترك حياة مع خالة زوجتك لأنه تعذر عليك إحضارها معك؟

- لا يا أختي، لقد أخذتها مني بالقوة و هددتني بأنها ستبلغ الشرطة عني إن أنا تعرضت لها، لذلك أنا هنا، فقد أخبرني أحد المحامين بالتالي...

****

وقف وائل أمام الخدم رفقة تِتريت بعد أن أمرهم بالاجتماع لأمر طارئ، ثم و بدون أي مقدمات استطرد حديثه:

- لابد أنكم سمعتم بإشاعات أو ربما قرأتم مقالات تتحدث عن أمر ترشحي لمركز عمدة المدينة، و قد جمعتكم اليوم لأؤكد لكم أن كل ما سمعتموه صحيح، فقد قررت إعلان ترشحي رسميا، و لذلك قررت أن أنظم حفلة سيحضرها نخبة المجتمع، لابد أنكم تعلمون أنه و رغم شعبيتي و ما حققته لحد اليوم من نجاح، إلا أنني أحتاج تأييد المجتمع الراقي لأفوز بالانتخابات، و لذلك فهذه الحفلة لن تكون فقط مجرد إعلان رسمي لترشحي، بل ستكون الطعم الذي سأستدرج به المساندين الرسميين لحملتي الانتخابية، لذلك و كما اقترحت تِتريت، قررنا أن نقوم شخصيا بخدمة ضيوفنا كتعبير منا عن احترامهم و تقديرهم، ولكن طبعا ظهورنا سيكون ليلة الحفل فقط، فأنتم من ستقومون بكل الترتيبات و الإعدادات، و لذلك جمعتكم اليوم، أريد منكم أن تتكلفوا بكل شيء باستثناء الطعام الذي سأكلف أحد المتعهدين بإعداده، أريد أن تكون الحديقة كصور المجلات، و لا أريد

أن أجد ذرة غبار واحدة في المنزل. هل هذا مفهوم؟

أجاب الخدم بصوت واحد:

- مفهوم.

لتستلم تِتريت الكلمة بعده:

- حسنا، موعد الحفلة سيكون بعد ثلاثة أيام، ليس لدينا الكثير من الوقت، أريد منكم أن تبدلوا قصارى جهدكم و في المقابل أعدكم بيوم إجازة، الذي سيكون يوم الحفلة، و مكافأة ستحصلون عليها في اليوم الموالي للحفلة و لن تنتظروا حتى آخر الشهر.

تبادل الخدم نظرات الفرح و السرور و وعدوا أنهم لن يخذولهما.

****

نظرت فاطمة لابنها و هو نائم على ركبتيها، كانت تلاعب خصلات شعره بيدها بينما تتأمل تفاصيل وجهه و هي تفكر، { لقد تغيرت كثيرا يا صغيري، لقد صرت تبدو أربعينيا، من يصدق أن بشرتك السمراء المتشققة هذه كانت في أحد الأيام بيضاء صافية، أو أن خديك كانا قبل سنوات في لون الورود، كم تمنيت أنا و والدك أن تعيش معنا رفقة زوجتك و أولادك و أن تصير شابا ناجحا، لكن للأسف كان للقدر رأي آخر، عانيت كثيرا و لم أستطع حمايتك، حين كنت صغيرا حاولت حمايتك ما استطعت، أتذكر كم كنت تغضب مني أنا و والدك حين كنا نمنعك من الذهاب في الرحلات المدرسية، أو حين كنا نمنعك من ممارسة الرياضات التي كنا نجدها خطرة و قد تشكل تهديدا على صحتك و حياتك، لقد كنا نخاف أن نفقدك فقد كنت ضعيف البنية و كان المرض يطاردك طوال الوقت، حاولت أنا و والدك حمايتك من الموت لكننا لم نستطع يوما حمايتك من الحياة، لم نكن نظن أن الحياة تؤدي أحباءنا أكثر مما يفعل الموت نفسه، لقد قتلتك عشرات المرات خلال السنوات الخمس الماضية

و لم نستطع منعها }.

استيقظ ليل في الصباح و ارتدى ملابسه، ألقى نظرة أخيرة على المنزل، فقد كان من المحتمل جدا أن لا يعود إلا بعد سنوات من السجن، تناول الهاتف و اتصل بحياة ليسمع صوتها قبل أن يخرج، كانت الصغيرة نائمة، لكن ليل تحايل على سعاد لإيقاظها فما كان منها إلا أن استجابت لطلباته المتعددة، كان صوت الصغيرة نعسانا، فلم تدري ما تقول، لكن كلمة "بابا" كانت كافية لتزرع الأمل فيه، و ما إن أقفل الخط حتى ركب أرقام هاتف المحامي الشخصي و بعد أن رن الهاتف عدة مرات أجابه أخيرا:

- ألو، مرحبا.

- ألو أستاذ، أنا ليل، هل تذكرني؟

- ليل، ليل، آه ليل، صاحب قضية الحضانة و تهمة السرقة أليس كذلك؟

- نعم أنا هو، أردت أن أخبرك سيدي أنني سأذهب اليوم لتسليم نفسي.

- أحسنت بالاختيار.

- نعم، و أريد أن أسألك إن قامت الشرطة بالقبض علي أن تتكلف بقضيتي.

- بالطبع، كل ما عليك فعله هو الاتصال بي من مركز الشرطة و سأحاول الحضور في اليوم الموالي للاتصال.

- شكرا جزيلا، أما بالنسبة للأتعاب، ف...

قاطعه المحامي قائلا:

- لا داعي للقلق، سأقوم باستلام القضية أولا ثم سنرى مسألة الأتعاب فيما بعد. أتمنى أن لا تحتاجني في الدفاع عنك و أن تحتاجني

فقط لاسترجاع ابنتك.

- شكرا جزيلا.

وضع ليل سماعة الهاتف و خرج من المنزل متوجها لمركز الشرطة.

الفصل الثالث

عاد ليل من قسم الشرطة كمركب صيد صغير حطمته عاصفة هوجاء لا تعرف الرحمة، توجه لغرفته مباشرة دون أن يراه أحد، جلس لبرهة و هو يحاول أن يلملم أجزاء حطامه المبعثر في دروب الحياة، فقد صدمه ضابط الشرطة بعدم وجود أي قضية ضده، و حين سأله إن كانت قد أسقطت، أجابه قائلا :

- لم توجه ضدك أي قضية يوما، لا منذ خمس سنوات و لا بعد ذلك، لقد كان الأمر كله مجرد خطأ أو ربما كذبة، فأنت لم يصلك يوما أي استدعاء رسمي، ربما يكون الأمر كله مجرد تمثيلية، فعادة حين نرسل محققين للقبض على أحدهم أو للتحقيق في أمر نفرض عليهم أن يظهروا أوراق تثبت أنهم رجال شرطة، لكن للأسف أغلب الناس بجهلهم يقعون في مثل هذه المكائد.

كانت كلمات الشرطي تتردد في ذهنه مرارا و تكرارا. فكر مطولا كيف يتصرف و ماذا يفعل؟ هل يخبر من حوله بحقيقة القضية أم يختار الصمت؟ بدأ اليأس يتسلل إليه و هو يرى أن الحياة قد ضاعت من بين يديه بسبب كذبة، و فجأة قفزت فكرة الانتحار إلى ذهنه فما فائدة البقاء في عالم كهذا، اختزل حياته بعد تفكير طويل في خيارين، اختيار الصمت أو الموت، ليقرر بعدها اختيار الموت، خرج من غرفته و توجه إلى المرآب، تذكر انه رأى حبلا هناك و قرر استخدامه في توديع العالم الذي لم ينصفه، بعد بحث طويل وجده و أخذه معه إلى الغرفة، علقه في السقف و وقف على الكرسي، تأمل أشياءه المبعثرة في أرجاء الغرفة، فكر كيف ستكون ردة فعل أمه حين تجده

معلقا في صباح اليوم الموالي و كيف ستتقبل طفلته إخلافه بوعده، لكنه لم يعد يتحمل، صار الأمر أكبر من طاقته، فمنذ رحيل أمل و هو يفكر في اللحاق بها، لم يملك يوما الشجاعة لكن ما حدث اليوم كان النقطة التي أفاضت الكأس، وضع رقبته وسط الحلقة ثم استجمع كل شجاعته و قفز من فوق الكرسي، بدأ الحبل يعتصر رقبته و صار يحس بعجزه عن التنفس، و دون وعي منه بدأ يبعد الحبل عن عنقه كردة فعل تلقائية، لكن الحلقة كانت تطبق على أنفاسه، و شيئا فشيئا بدا يفقد الإحساس بما حوله و بدأت تفاصيل الغرفة بالاختفاء، أرخى يديه و استسلم للموت، و لكن إرادة القدر كانت أقوى، انقطع الحبل و سقط ليل أرضا ثم وقف بعدها ليستوعب ما حصل بعد ثوان قليلة، مر خلالها في لحظة فراغ ذهني، ثم جثا على ركبتيه و أجهش بالبكاء وهو يفكر أن الحياة طردته و الموت رفض استقباله.

في الصباح استيقظ ليل ليجد نفسه نائما على الأرض، فقد غفت عيناه بينما كان يبكي دون أن يشعر، نزل للأسفل قصد تناول طعام الفطور ليجد أمه وحدها في المطبخ، سألها:

- أين ميسون ؟

- لقد ذهبت للعمل، هل ذهبت إلى مركز الشرطة؟

- نعم لقد فعلت، لقد صدق المحامي، لا داعي للخوف فابنك سيظل معك للأبد، لم أعد متابعا قانونيا؟

عانقته أمه بحرارة و الدموع تنهمر من عينيها.

- حقا، كيف ذلك؟ هل كان كلام المحامي صائبا؟

- نعم، أخبريني الآن من فضلك، هل ما يزال الفطور فوق الطاولة؟

- نعم لقد تركته لك، أخبرني أولا عن التفاصيل.

- سأخبرك بكل شيء في الوقت المناسب، الآن دعيني أتناول الفطور أولا.

- بالطبع يا صغيري، لا أهتم حتى بالتفاصيل، المهم أنك ستظل بيننا.

توجه ليل نحو الطاولة، صب الشاي و شرع في تناول فطوره وهو يتصفح الجريدة، فجأة تجمدت نظراته و بدأت يداه بالارتعاش وهو يحدق بصورة الرجل الذي دمر حياته، لقد كانت صورة وائل و تِتريت، رمى الجريدة بغضب شديد و نهض من دون أن يكمل فطوره متوجها نحو غرفته، و بينما هو يصعد الدرج التفت نحو الجريدة و رمقها بنظرة متأملة، ثم توجه نحوها بخطوات متثاقلة، تناولها بيديه المرتعشتين و بتردد كبير بحث عن المقال الذي يتحدث عن وائل و تِتريت، جلس على حافة الكنبة و بدأ بقراءته بصوت مرتفع:

{ ينظم السيد وائل الرئيس العام للشركة العامة للمعاملات المالية و حرمه المصون السيدة تِتريت يوم السبت حفلا ضخما بمناسبة عيد زواجهما الرابع و يدعوان فيه أبرز شخصيات المجتمع الراقي }.

بقي ليل جالسا يفكر مدة طويلة ثم نهض متجها نحو غرفته، أقفل الباب بالمفتاح كي لا يزعجه أحد، ثم استلقى على سريره و هو يفكر في ما قرأه بالجريدة و كيف تحول ذلك الموظف الحقير إلى رجل مهم و غني بعد أن دمر حياته، و لكن ما زاد من غضبه هو رؤيته ذراعه النجسة و هي تلف خصر حبيبته السابقة، كانت تلك الصورة شرارة أشعلت نار الحقد و الانتقام التي لطالما حاول إخمادها، و فجأة و لأول مرة أصبح يفكر في الانتقام بجدية و قرر وضع خطة محبوكة لتنفيذ انتقامه الأعمى خلال يوم الحفلة الفاخرة.

****

كان الكل في منزل وائل يستعدون للحفل الفاخر، فالخدم و الطباخون يقفون على قدم و ساق لإنجاح المناسبة السعيدة

و لاسيما أن الحفل سيحضره ابرز عائلات المجتمع، كان المدعوون خليطا من رجال الأعمال و مدراء الشركات و الوزراء، إضافة إلى نخبة من الكتّاب و الفنانين المشهورين.

كانت تِتريت بدورها تستعد للحفل الفخم، فبينما كان زوجها مشغولا بالإشراف على التحضيرات، كانت هي مشغولة بما سترتديه في اليوم المنتظر و من أجل ذلك استدعت أحد أشهر مصممي القفطان ليصنع لها ما يذهب العقول.

بينما هي تصف للمصمم تحفتها الفنية، دخل وائل و اتجه نحو زوجته، انحنى نحوها و طبع على خدها الأيمن قبلة و هو يقول:

- صباح الخير يا نجمتي.

- صباح الخير يا عزيزي.

- أريدك أن تكوني اليوم الأجمل بين الحضور.

ردت عليه في دلال:

- ما الذي تعنيه باليوم، ألست الأجمل؟

- بلى يا عزيزتي لم أقصد هذا بل فقط...

- بل ماذا؟

توجه نحوها و حاول الإمساك بيدها محاولا أي يحضنها، لكنها سحبت يدها و أبتعدت عنه قائلة:

- احذر، فهذا الثوب مملوء بالدبابيس.

ابتسم و ابتعد قائلا:

- متشوق لرؤيتك تزيدين جمال القفطان و تحيينه ببريقك.

****

في بيت ليل كان يخيم الصمت كالعادة، فأم ليل تمضي النهار بطوله في أعمال المنزل و إعداد الوجبات، بينما أخته ميسون كانت تمضي نهارها في العمل لتستطيع إعالة العائلة، أما ليل فكان يعتكف في غرفته و لا يغادرها إلا أحيانا لتناول وجبات الطعام أو ليتصل بحياة، فقد كان هناك ما يشغل تفكيره، فبعد أن كانت تدور كل أفكاره حول الانتحار و مغادرة العالم القاسي، صار محور تفكيره بعد قراءته للجريدة هو الانتقام من جلاده الذي دمر حياته و تسبب في موت والده.

كان يبقى مستلقيا على سريره لساعات و يفكر في خطة مناسبة، ظل على هذا الحال إلى أن وقعت في ذهنه الفكرة المناسبة، التي كانت ببساطة التسلل للحفلة بين خيوط الظلام الدامس و انتظار وائل إلى أن يصعد لغرفته ثم يجهز عليه ليرحل بعدها بهدوء دون أن يراه أحد، فكثرة الضيوف و انشغال الجميع سيوفر له غطاءا مناسبا، كانت الخطة بسيطة جدا و خالية من أية تعقيدات، فكل ما كان عليه فعله هو أن يقوم بجولة حول المنزل ليحدد مكان غرفة نومه و النوافذ المحيطة بها، لكن المشكلة كانت هي كيف يمكنه فعل ذلك، فما كان منه إلا أن يتسلل لبيت وائل ـ الذي وجد عنوانه على دليل الهاتف ـ على هيئة عامل توصيل الطلبات.

في الصباح قرر البدء في الخطة، بعد مسافة طويلة وصل للمنزل، طرق الباب و وقف ينتظر بعد ثوان قليلة فتحت الخادمة:

- مرحبا سيدي ماذا تريد؟

- أنا عامل توصيل، لقد أحضرت طلبية للشيف.

- حسنا، أدخل إن المطبخ في آخر الرواق على يمينك.

- شكرا.

كانت الخادمة مشغولة جدا لدرجة أنها لم ترافقه بنفسها و هذا ما

سهل مأموريته، فقد وضع العلبة على الأرض و صعد السلم لأنه توقع بكل بساطة أن غرف النوم في المنازل الراقية تكون دائما في الطابق الثاني.

كان يجول بكل حرية فقد كان الكل منهمكين في التحضيرات و لا يعيرون أي اهتمام لما يحدث حولهم، ظل ليل يبحث لأكثر من 5 دقائق لكنه لم يجد شيئا فقرر سؤال أحدهم، و فكر في كيفية ذلك دون أن ينتبه أحد لنيته، فخطرت على باله فكرة ذكية، فاستوقف أحد الخدم قائلا:

- السيد وائل يريدك حالا.

- حسنا، سأذهب حالا.

ذهب الخادم مسرعا نحو أحد الغرف فلحقه ليل ليعرف مكان غرفة السيد، و خلافا لما توقعه ليل كانت غرفة ضحيته المستقبلية في الطابق السفلي، انسحب ليل بهدوء بعد أن حقق غايته، لكن حصل ما لم يتوقعه ففي طريق الخروج التقى النجمة التي أضاءت حياته و أحرقته بعد أن اقترب منها، التقى تِتريت، نظر إليها بلهفة توقف معها الزمن من حوله، نظرت إليه بطرف عينها ثم أكملت طريقها دون أن تعيره أي اهتمام، نعم لم تتعرف عليه فقرابة خمس سنوات من القهر و التيه غيرت ملامحه و أذبلت شبابه.

دخل ليل لغرفته بعد أن قضى يوما لا ينسى، خطى فيه أول خطوة في طريق انتقامه، جلس و هو يفكر كيف لم تتعرف عليه تِتريت؟ كيف لم تحس به؟ هل انمحت كل مشاعرها نحوه؟ كيف لم يخفق قلبها لرؤيته و لم ينذرها بوجوده؟

زاد نسيانها له من حقده على وائل و أضاف الزيت على نار انتقامه فجعلها مستعرة صعبة الانطفاء.

استلقى ليل على سريره بعد أن أطفأ الأنوار وهو عازم على تنفيذ

انتقامه في اليوم الموالي، يوم الحفلة المنشود.

في الصباح استيقظ ليل على صوت قوي، كان صوت ارتطام إحدى أواني المطبخ بالأرض، نظر للساعة فوجدها تشير إلى العاشرة صباحا، نهض من السرير و جلس على حافته و هو يفكر في ما سيفعله، بعد دقائق نهض و لبس ملابسه و نزل للمطبخ، حيث وجد أمه تعد طعام الغداء لأخته التي توشك على المغادرة للعمل، جلس ليل لتناول الفطور دون أي كلمة أو تحية، نظرت إليه أخته باستغراب قائلة:

- صباح الخير.

لكنه لم يجبها.

- قلت صباح الخير.

نظرت إلى أمها ثم وقفت أمامه و انحنت نحوه قائلة بصوت أعلى.

- صباح الخير.

نظر إليها مستغربا

- صباح الخير، آسف لقد كنت شاردا.

- آه، صرت تشرد الآن، من هذه التي سلبت عقلك يا ترى؟

قاطعتها أمها قائلة:

- كفاك مزاحا اتركي أخاك و شأنه.

- اتركيها يا أمي إنها تمزح.

- أنا أمزح فعلا، لكني أتمنى لو تسيطر إحداهن على تفكيرك و تعيدك لحياتك السابقة، تعيدك ليل الذي طالما نشر الفرحة و الحيوية في أرجاء البيت.

نظر إليها ليل بنظرة تفاؤل ثم قال:

- سيعود ذلك الليل، سيعود الليلة لا محالة.

استغربت من قوله للحظة لترد قائلة:

- أتمنى ذلك، و ماذا عن حياة متى ستذهب لإعادتها؟ فهي لن تظل مع خالة زوجتك للأبد.

- لا داعي للقلق، فقد اتصلت البارحة بها و اطمأننت عليها، كما أنني اتصلت بالمحامي و أخبرته أن يبدأ في إعداد أوراق الحضانة، لم يعد هناك إلا أمر بسيط علي إنهاؤه، لأحضر الصغيرة كي تملأ البيت بالفرح و البهجة.

- أتمنى أن تنهي أمورك بسرعة فأنا متشوقة لرؤية ابنة أخي الوحيد.

ثم سلمت عليه و ذهبت لعملها.

لم يلبث ليل بعدها سوى بضع دقائق ثم انسحب بدوره من المطبخ نحو غرفته، أخرج حقيبة ظهره من خزانة الملابس، وضع فيها سكينا و حبلا كان قد أعدهما من قبل، ثم خرج من المنزل نحو الصيدلية ليشتري قفازات من أجل المهمة، وضع كل شيء في الحقيبة ثم توجه إلى منزل ضحيته.

وقف عند المنزل للحظة و هو يتمعن في العدد الهائل من الناس المهمين الذين يدخلون المنزل، أمسك بحقيبة الظهر بقوة يغطي بها خوفه ثم تسلل بين شجيرات الحديقة و جلس ينتظر هناك حلول الظلام لينفذ جريمته في صمت.

في داخل المنزل كانت تِتريت واقفة مع زوجها أمام باب قاعة الحفلة ترحب بالضيوف و تتملقهم، فتمدح القبيحة لجمالها و تألقها و تشيد بشباب العجوز و بريقها و طبعا لا تنسى أن تستلطف كبار الشخصيات و كل ذلك من أجل انتخابات لطالما حلم زوجها الكريم بخوض غمارها. كان ليل يراقبهم من نافذة القاعة، لم يستطع مقاومة

جمال تِتريت، فالنجمة كانت ترتدي قفطانا أسودا أنيقا جدا ذكره ببطلة رواية الأسود يليق بك، إحدى الروايات التي أعارته تِتريت في الماضي، أما الوحش فكان يرتدي بذلة رمادية و ربطة عنق و يضع وردة في جيب سترته الأيمن، كان ليل ينظر إليه وهو يفكر أن ذوقه الرديء لم يتغير رغم الثراء الذي صار يعيش فيه.

بعد ساعة أو ساعتين كانت القاعة قد امتلأت تماما و كان كل المدعوين قد بدؤوا بالرقص، تعالت أصوات ضحكاتهم حتى وصلت لأذني ليل الذي كان يرتجف من البرد و هو لا يزال مختبأ بالخارج، فقد كان ينتظر أن يضاء النور في غرفة وائل لينقض عليه و ذلك ما لم يحصل بعد، فقد كان الرفيق القديم لا يزال مع ضيوفه في القاعة، فتنفيذا لرغبة تِتريت، أمر وائل كل الخدم بالانسحاب من الحفل و وافق على خدمتهم شخصيا هو و زوجته الحسناء و ذلك ما جعله مشغولا طوال الوقت و لا يستطيع الانسحاب من قاعة الحفل لأي سبب من الأسباب.

بعد ساعات طوال من الاحتفال، نفذ أحد أنواع المشروب من الطاولة، فقرر وائل إحضاره من المخزن، تقدم بهدوء من تِتريت وضيوفها قائلا:

- أعتذر يا سادة سأستعير زوجتي لبعض الوقت.

أومأ الضيوف بالموافقة، و ابتسمت تِتريت لترافق زوجها مستفهمة:

- ماذا هناك؟

- لقد نفذ شراب البوربوم و علينا إحضار المزيد لكن لا أعلم أين أجده.

- لا عليك سآتي معك.

ثم سحبت عربة الطعام لتملأها بقنينات الشراب.

لم يدم غياب تِتريت سوى دقائق قليلة لتعود بعدها و هي تدفع العربة المحملة بالشراب وضعت القنينات فوق الطاولة ثم أعادت العربة للمخزن.

بعد بضع دقائق وصلت مروى للحفلة، استقبلتها تِتريت بحرارة و هي توبخها على تأخيرها، اعتذرت مروى من صديقتها و عيناها تهيمان في أرجاء القاعة تبحثان عن وائل.

- لقد انصرف لإحضار أحد أصدقائه القدامى.

نظرت إليها مروى باستغراب، لتستطرد بعدها تِتريت:

- دائما يصر على إخجالي، لقد حاولت منعه لكنه لم يعرني أي اهتمام.

ربتت مروى على كتف صديقتها قائلة:

- لا عليك كلنا نعرف وائل و تصرفاته الغريبة لن نتضايق من فعلته.

ابتسمت تِتريت وهي تلاحظ تلألأ لون أحمر الشفاه الذي تضعه مروى و الذي كان ذا رونق خاص ،فلم تضع فرصة التعليق:

- آه عليك يا خائنة...

نظرت إليها مروى مصعوقة، لتكمل بعدها تِتريت:

- صرت تشترين ألوان ماكياج زاهية غير التي عودتنا عليها، من أين اشتريت هذا اللون؟ إنه رائع و لم أره من قبل.

أطلقت مروى ضحكة مصطنعة تخفي بها قلقها:

- إنه هدية من أحد الأصدقاء، لكن إن أردتي قد أسأله من أين اشتراه.

ثم أكملتا حوارهما النسوي الذي استمر لوقت طويل.

مرت ساعات و ساعات و بدأت تساؤلات الضيوف تتكرر حول غياب مضيفهم، شعرت تِتريت بخجل شديد وهي التي تحاول تهدئة ضيوفها بمماطلتهم حينا و بمجاملتهم أحيانا أخرى، لكن غياب وائل الطويل صار مقلقا فعلا، همت تخرج هاتفها الجوال لتتصل به فوجدت رسالة لم تنتبه لوصولها بسبب كثرة الصخب حولها، فتحتها فلاحظت أنها من وائل، أمسكت بذراع مروى التي كانت بجانبها مشيرة بعينيها للرسالة ثم قرأت:

"عزيزتي آسف لتأخري الشديد أرجو أن تعتذري من الضيوف فقد قررت أن أنهي بعض الأمور العالقة هنا، سامحيني، أنا فعلا آسف".

نظرت إليها مروى باستغراب، فقد كان كلامه غريبا جدا، فقد أحست بنوع من الحزن يطبع رسالته.

- متى وصلتك الرسالة؟

تفحصت تِتريت توقيت الرسالة ثم قالت:

- منذ ساعة و نصف من الآن، لا عليك فهو يتصرف بهذا الشكل دائما، يحب إتقان أدوار الدراما المسرحية.

ثم سحبت مروى لتعيدها بين الضيوف لإكمال سهرتهم.

بعد بضع دقائق اعتذرت تِتريت من الضيوف و انسحبت نحو المطبخ الذي كان في الجهة الشرقية للقاعة، تدفع عربة الطعام لإحضار مزيد من الحلوى التي كانت بدأت تنفذ، ملأت الصحون ثم وضعتها بانتظام على الطاولة و حملت القنينات الفارغة لتضعها على العربة و تقوم بإخراجها من القاعة في اتجاه الباب الخارجي الذي كان في الجانب الغربي للقاعة، لم يلحظ غيابها أحد سوى مروى التي كانت تهم بالرحيل فأرادت توديعها.

بعد وقت قصير عادت تِتريت إلى ضيوفها، استوقفتها مروى قائلة:

- عزيزتي أعتذر الآن، علي أن أذهب فلدي عمل كثير غدا و لا أستطيع السهر أكثر.

قاطعتها تِتريت:

- لا يمكن أن ترحلي الآن فقد اتصل وائل و قال أنه سيأتي حالا، سيغضب كثيرا إن علم أنك لم تبقي لرؤيته.

- لكن...

- ليس هناك لكن، بضع دقائق فقط.

استسلمت مروى لإلحاح صديقتها و بقيت تنتظر معها وصول المضيف.

استمر انتظارهما طويلا، لم تستطع مروى الصبر أكثر، نظرت إلى تِتريت قائلة:

- تعلمين كم أريد أن أسلم على وائل لكن لا أستطيع البقاء أكثر.

أومأت تِتريت برأسها متفهمة ثم قالت:

- أتعلمين ربما يكون قد عاد و دخل غرفته فغالبه النوم تعالي لنتفقد الغرفة.

توجهت السيدتان غربا لغرفة النوم بحثا عن وائل، فتحتا الباب لكنهما لم تجداه، نزلتا من على الدرج فلمحت مروى نور غرفة المكتب مضاء، أشارت لتِتريت نحو الغرفة ثم تبسمت.

- علمت أنه ربما كان في مكتبه يكمل دراسة بعض الملفات.

همست تِتريت بنبرة طفولية:

- فلنفاجئه بدخولنا.

ثم توجهتا في خطوات هادئة نحو المكتب، دفعت تِتريت الباب بقوة

لتفاجئه لكنها تسمرت مكانها، و سرعان ما أطلقت مروى صرخة دوت في أرجاء المنزل من هول ما رأت.

ما هي إلا ثوان معدودة حتى تجمع أمام باب المكتب كل الضيوف، حاول بعضهم دخول الغرفة لكن أحد الرجال منعهم قائلا:

- لا أحد منكم يطأ أرض الغرفة.

التفت إليه الجميع وهو يشق طريقه بين الحشد، حتى وصل لوسط الغرفة و لمس يد السيد وائل ثم أكمل قائلا:

- إنه ميت و ستفسدون الغرفة بآثاركم، يجب أن تبقى الغرفة كما هي حتى يصل رجال الشرطة، سأتصل بهم حالا، فأرجو منكم التزام الهدوء و مساعدة السيدتين على الجلوس في الغرفة المجاورة.

إنصاع الجميع لأوامر الرجل و هم يتساءلون عمن يكون.

لم تمض سوى بضع دقائق حتى ملأ الغرفة عمال المختبر الجنائي و محققي الشرطة القضائية، كانت تترأسهم شابة في مقتبل العمر، فرغم سنها الصغير كانت مفتشة شرطة، وقفت في جانب الغرفة و هي تنتظر نتيجة عمال المختبر، التي لم تتأخر كثيرا.

- سيدتي المفتشة، إن الضحية مات جراء الاختناق الحاد، لا أستطيع أن أؤكد أن عملية الاختناق كانت بسبب الحبل المحيط بعنقه إلا بعد أن نقوم بمزيد من التحاليل.

- حسنا، لكن أريد أن أستوضح بعد إنزالكم للضحية من السقف هل وجدتم أي آثار مقاومة تحت أظافر الضحية أو فوق عنقه؟

- لا يا سيدتي.

ثم هم بالرحيل قبل أن تستوقفه قائلة:

- سؤال آخر، من الذي اكتشف الجثة؟

حرك كتفيه دليلا على جهله و تعجبه من السؤال فمثل هذه الأمور لم تكن من تخصصه، و هذا ما استدركته المفتشة لتنادي على أحد ضباط الشرطة القضائية:

- مراد !

التفت الضابط و تقدم نحوها.

- نعم سيدتي.

- من الذي وجد الجثة؟

- إنها زوجته و صديقتها و هما في الغرفة المجاورة يستريحان من هول الصدمة، فلم يكن من السهل عليهما...

قاطعته المفتشة؛

- و من الذي اتصل بالشرطة إذا؟

- إنه أحد الضيوف أظنه يعمل صحفيا.

إتسعت عينا المفتشة و هي تنتظر معلومات أكثر من الضابط، لكن أحد الشرطيين قاطعهما بعد أن دخل و هو يدفع ليل لداخل الغرفة قائلا:

- سيدتي لقد كان هذا الرجل يختبئ بين الأشجار في الحديقة.

نظرت إليه المفتشة بطرف عينها فلمحت رجلا مستسلما و مصدوما، أومأت برأسها مشيرة ليكبله و يجلسه بزاوية المكتب، ثم عادت بنظرها للضابط ليكمل حديثه لكنه توقف عن الكلام على غير عادته، ثم أكملت:

- أين هو الآن و أين بقية الضيوف؟

- الضيوف كلهم مجتمعون في قاعة الحفل وهو معهم.

- أحضره حالا.

- حاضر سيدتي.

اختفى الضابط بضع دقائق قبل أن يدخل و معه الصحفي، نظرت إليه المفتشة في تعجب وهي تقول:

- علمت أنه أنت يا أيُّور.

ابتسم الصحفي و هو يمرر يده بين خصلات شعره الأسود الحريري:

- و كيف علمت أنه أنا يا تِيلِيلا؟

- و هل من فضولي غيرك يحشر أنفه في مثل هذه القضايا؟

- سامحك الله.

تصافحا و قد بدا على كل منهما علامة الفرحة ثم أكمل أيُور قائلا:

- هل علي أن أنتظر جريمة قتل لأرى مخطوبتي؟

- لا تبدأ بالنحيب من جديد، تعلم أن لدي عملا كثيرا هذه الأيام، كما أن عملك المتهور كاد يودي بعملي، كيف سمحت لنفسك أن تكتب مقالا كالذي كتبته عن وائل و فوق هذا استخدمت الأدلة التي أعطيتها لك و التي كان فريقي يجمعها منذ أشهر.

- لقد اعتذرت مئات المرات، هذا يكفي ألا تستطيعين مسامحتي أنت تعلمين أنني بعد أن قرأت المستندات لم أستطع تمالك نفسي و المواطنون من حقهم معرفة الفاسدين الذين يمتصون دماءهم.

- أنا المخطئة لأنني وثقت بصحفي، ظننتك ستضع حبك لي و خطبتنا في المركز الأول لكن عملك دائما أولا و بعده الطوفان.

- و أنت أيضا تضعين عملك أولا، فأي خاطب هذا الذي لا يرى خطيبته كل هذه المدة و لا يحتج، فقط احتراما لحجة عملها الصعب والمعقد، حجة واهية طبعا.

تغاضت تِيلِيلا عن تعليقه المستفز و قالت:

- لن أتشاجر معك الآن، أخبرني أولا، قلت جريمة، كيف علمت أنها جريمة؟

نظر إليها أيُور باستغراب ثم قال:

- لا تقولي لي أنك كنت ستعتبرينها انتحارا.

عضت تِيلِيلا على شفتها السفلى محاولة إخفاء توترها ثم قالت في ثقة:

- لم أقل أنها انتحار، كنت أحاول فقط أن أعرف بماذا تفكر.

- آه حسنا، قلت أنها جريمة لأنه لا يمكن للضحية أن يعلق نفسه بالسقف دون شيء يصعد عليه.

- نعم معك حق فقد لاحظت ذلك لكن ما يحيرني هو عدم وجود أي آثار مقاومة على الجثة، إضافة لرسالة كان الضحية قد أرسلها لزوجته و قد بدت نبرتها حزينة.

- فعلا أمر محير.

ساد الصمت لفترة قبل أن تضيف تِيلِيلا:

- أجبني أولا ما الذي تفعله هنا؟

- هل نسيت أنني صحفي؟

- و بعد؟

- أتذكرين الوثائق التي نشرتها عن هذا السيد و ما كتبته عن أعماله المشبوهة؟ لقد هدد أصدقاؤه ذوو النفوذ بأنهم سيقومون بإغلاق الجريدة إذا لم أقدم اعتذارا مباشرا، لكنني رفضت، مما جعلهم يرفعون قضية على الجريدة، فاضطررت للاعتذار شخصيا لكنه لم يقبله و لذلك ترجاني المدير أن أغطي الحدث كنوع من الاعتذار غير

المباشر، و لهذا أنا هنا.

- دائما تتورط في المشاكل كالأطفال.

زم أيُور شفتيه في احتجاج ثم انصرف من الغرفة نحو القاعة.

أكمل عمال المختبر الجنائي مهامهم ثم انصرفوا و قد تركوا نتيجة تحليلاته للضابط مراد، الذي توجه بدوره نحو المفتشة ليخبرها بالأمر:

- سيدتي يقول عمال المختبر أن الضحية قد خنق بالحبل الموجود في السقف و أن الجريمة قد وقعت بين الساعة الثالثة و الرابعة صباحا أي قبل ساعتين أو ثلاث من الآن.

- حسنا، استجوبوا المدعوين، احصروا دائرة الاتهام في كل من يملك ضغينة نحو الضحية و لا يملك أي دليل عن مكان تواجده، و اسمحوا للباقين بالمغادرة و لا تنسوا الشاب الذي وجدتموه في الحديقة.

بعد دقائق كان أغلبية الضيوف قد انصرفوا و لم يبقى إلا من انحصرت بهم دائرة الاشتباه، دخل الضابط المكتب قائلا:

- لقد انصرف الجميع و لم يبقى سوى زوجة الضحية لأنها صاحبة المنزل، شريكه مروان، الآنسة مروى لأنها كانت أول من اكتشف الجثة، رجل الحديقة و أخيرا الصحفي الذي اتصل بالشرطة فلا أحد يستطيع إثبات مكان وجوده وقت الجريمة إضافة أن له دافعا للقتل.

وضعت تِيلِيلا يدها على رأسها و هي تفكر، { ما الذي ورطت نفسك به يا أيُور} ثم أشارت للضابط مراد ليحضر المتهمين، استجاب الضابط لأمرها و ما هي إلا بضع ثوان حتى دخل الخمسة، لم يستطع أيُور أن يمنع نفسه من التهكم وهو ينظر لتِيلِيلا:

- لابد أنك تمزحين.

أدارت تِيلِيلا وجهها غير مبالية لأمره.

وقف المتهمون ينتظرون بفارغ الصبر أسئلة المفتشة و هم يحدقون ببعضهم البعض، كانت كل من تِتريت و مروى لم تتجاوزا الصدمة بعد، فقد كانت الدموع تنهمر من عينيهما بغزارة، بينما استمر مروان في الاحتجاج على إبقائه بين المشتبه بهم، أما ليل فكان يجلس في صمت، لم تغب عيني أيُور دقيقة واحدة عن ذاك الشاب الذي يجلس في الزاوية دون حراك و الذي يكاد يجزم أنه لم يكن ضمن ضيوف الحفل.

تنحنحت تِيلِيلا ثم استطردت قائلة، فليعرف كل منكم عن نفسه و يخبرني بقرابته للضحية و أين كان وقت الجريمة، ثم أشارت لأيُور.

نظر إليها أيُور بابتسامة متهكمة، ثم قال:

- كأنك لا تعلمين...

قاطعته تِيلِيلا بحزم.

- كفاك تهكما و أجب فحسب.

وضع يده في جيبه ثم قال:

- حسنا كما تريدين، إسمي هو أيُّور، أنا صحفي في جريدة الحدث، ليس لدي أي دليل عن مكان تواجدي وقت الجريمة، فقد كنت أتجول بين الحضور و ألتقط بعض الصور و لم أحدث أو أكلم أحدا، و كما تعلمين أنا هنا كلفتة اعتذار من جريدتنا للضحية.

- إذن فأنت أول المتهمين، ثم التفتت نحو مروان.

- أنا أصلا لا أفهم لماذا تبقونني هنا، فقد أخبرتكم أنني كنت أتحدث مع صديقي على الهاتف وقت الجريمة.

نظرت تِيلِيلا إلى الضابط مستفسرة فاقترب منها هامسا:

- لقد أخدنا رقم هاتف صديقه، حاولنا الاتصال به لكنه لا يجيب لذلك تحفظنا عليه ريثما يجيب صديقة.

- حسنا.

ثم أشارت لمروى لتعرف عن نفسها.

مسحت مروى دموعها و استجمعت قوتها لتتحدث بعدها بصوت مختنق من أثر البكاء:

- اسمي هو مروى، أنا صديقة قديمة لكل من الضحية و زوجته، فقد كنا نعمل سويا و بقيت علاقتنا قوية على طول هذه السنين، لم يكن لدي أي خلاف مع وائل، بالعكس لا طالما كان بيننا احترام متبادل.

- حسنا و أين كنت بين الثالثة و الرابعة صباحا؟

- لا أتذكر جيدا، فقد وصلت حينما كانت تِتريت ترتب قنينات العصير و الشراب على الطاولة، كنت أنوي الانصراف بعد ساعة أو ساعتين، لكن تِتريت طلبت مني البقاء بعد إخراجها للقنينات الفارغة و أتذكر أنني بقيت برفقتها بعد عودتها.

- حين غابت تِتريت لإخراج القنينات بقيت لوحدك بين الضيوف، كم مر من الوقت عليك تقريبا و أنت وحدك؟

- لم أكن وحدي كنت أحاول تبادل أطراف الحديث مع الضيوف، على أي لم أنتبه كم غابت تِتريت، فقد انسجمت في الكلام و لم أنتبه لغيابها إلا حين أردت الرحيل.

- حسنا، التالية هي أنت سيدة تِتريت.

رفعت تِتريت رأسها، ثم أجابتها بصوت غالبه البكاء و الحزن:

- أنا زوجة الضحية...

ثم صمتت لبعض الوقت و هي تحاول التقاط نفس يتيم قبل أن

تختنق بسبب الدموع لتستطرد بعدها:

- لقد كنت أحاول التغطية على غيابه عن السهرة، من خلال حديثي و مجاملتي للضيوف، كنت غاضبة و أعاتب تأخره و لم أكن أعلم أنه أنه...

ثم انهارت بعدها في نوبة بكاء هستيرية، عانقتها مروى محاولة مواساتها و لكن عبثا، فلا شيء كان بإمكانه التخفيف عنها سوى حديث المفتشة التي تقدمت نحوها و ناولتها منديلا لتمسح به دموعها ثم قالت لها بصوت واثق:

- لا تقلقي يا سيدتي، أعدك أننا سنجد قاتل زوجك و أنه سيلقى عقابه بالتأكيد.

ثم التفتت نحو ليل الذي ظل صامتا طوال الوقت، أشارت له قائلة:

- و أخيرا ضيفنا الغامض، المشتبه به الرئيسي، عرف عن نفسك و عن ما كنت تفعله بالخارج في هذا البرد القارس.

رفع ليل رأسه و نظر لكل من بالغرفة، ثم تنهد ليستهل حديثه بالتعريف عن نفسه:

- إسمي هو ليل...

وقفت مروى مصعوقة من وقع الصدمة، أما تِتريت فرفعت رأسها تبحث عن مصدر الصوت فهي لم تصدق ما سمعته.

- وماذا كنت تفعل في الحديقة؟

- لقد كنت أنتظر وائل لأتحدث معه.

- و كنت تنتظره في الحديقة؟

- لم أرد الدخول من الباب كي لا أثير الجلبة.

بقيت تِتريت تتأمل ليل في صمت وهي تشاهد ما طرأ على شكله من

تغيير، فقد ذبلت ملامحه و شحب وجهه، تريد أن تقول له أشياء كثيرة، تريد أن تسأله عن أحواله، أو عن سبب اختفاءه، عن سبب تخليه عنها، تريد أن تؤنبه و تعاتبه لبعده و فراقه غير المبرر، لكنها لم تستطع، اكتفت بترك عينيها تلتهمانه بنظرات شوق و عتاب، لم تقاطعها سوى صرخات مروى المزلزلة التي كانت تتهم من خلالها ليل:

- إنه القاتل لابد أنه هو لقد أراد الانتقام...

التفت الجميع نحو مروى بعد سماعهم الكلمة الأخيرة، لتتقدم منها المفتشة بعد ذلك مستفسرة:

- الانتقام؟ لماذا؟ أوضحي كلامك يا سيدة.

صمتت مروى و قد بدا عليها الارتباك، فقد كانت تفكر، هل تخبر الجميع بما فعلته هي ووائل بليل و تعرض نفسها للمساءلة القانونية؟ أم تستمر في صمتها إلى الأبد؟

- يا سيدة مروى لقد سألتك من قبل و ها أنا ذا أعيد سؤالي، ماذا تعنين بالانتقام؟

- أنا لا أعلم ماذا كان بينهما من مشاكل، لكن كل ما أعلمه أن ليل لطالما كان يحب تِتريت و كان خطيبها في الماضي.

- أهذا صحيح يا آنسة تِتريت؟

هزت تِتريت رأسها مؤكدة كلام مروي لتضيف بعدها:

- لكن هذا كان في الماضي، قبل أن يرحل بكامل إرادته بعدها و يتركني، أما وائل فلم يخطبني إلا بعد أن تأكد أن ليل لم يتصل بي أو يسأل عني مدة من الزمن، لذلك لا أظن أن من حقه أن ينتقم منه بسبب زواجنا.

بقي ليل صامتا طوال الوقت و هو يستمع للحديث الدائر حوله، لم يتدخل و لم يقوى على تبرير غيابه لتِتريت التي لم تستحق منه إلا كل

محبة و احترام.

التفتت تِيلِيلا إلى ليل قائلة:

- أجبني يا ليل، ماذا كنت تريد أن تناقش مع وائل؟ و لماذا يجب أن أصدق أنك لست القاتل؟

لكن ما إن هم ليل بالإجابة حتى دخل أحد رجال الشرطة مقاطعا حديثه:

- سيدتي لقد تحدثنا إلى صديق السيد مروان، لقد أثبت لنا أنه كان يتحدث معه على الهاتف وقت وقوع الجريمة، إضافة إلا أنه كان يتحدث من الهاتف الثابت لهذا المنزل.

- حسنا يا سيد مروان نأسف جدا لتأخيرك معنا، يمكنك الانصراف الآن.

انصرف مروان من المجلس بعد تذمر و عتاب اضطر رجال الشرطة لسماعه.

- و هكذا يا سادة، انحصرت دائرة الاتهام في شخصين بدل ثلاث، السيد ليل و السيد أيُور.

قاطعها أيُور معترضا:

- كفى يا تِيلِيلا، أوقفي هذه المهزلة حالا، أنت تعلمين أنه من الحماقة إبقائي هنا.

- آسفة يا أيُور و لكن كونك خاطبي لا يسمح لك أن تخرج من دائرة الاتهام بدون دليل.

تنهد أيُور معبرا عن امتعاضه لتستطرد بعدها:

- و الآن يا سيد ليل أكمل ما كنت تتحدث عنه من فضلك، اشرح لنا ما كنت تريد أن تناقش وائل في وقت متأخر كهذا.

بقي ليل صامتا مدة طويلة قبل أن يبدأ بالحديث:

- أنا و وائل كنا أعز الأصدقاء في الماضي، كنا نعمل في نفس الشركة و نتشارك نفس المكتب، كنت آنذاك خاطب تِتريت، عفوا أقصد السيدة تِتريت، بعد مدة قصيرة من ترقيتي الأولى أحسست أن وائل تغير جدا في تعامله معي، فقد صار يتجنبني و يحدثني بطريقة أقل ما يقال عنها أنها باردة، و رغم ذلك لم أفكر يوما أنه قد يفعل بي ما فعله تلك الليلة...

اتسعت أعين الجميع و هم يستمعون لليل، ليستفسر بعده أيُور:

- ماذا فعل بك؟

رمقته تِيلِيلا بنظرة غضب لأنه بدأ يسأل بدلا عنها، لتعيد السؤال مؤكدة سلطتها:

- ماذا تقصد يا سيد ليل؟

- في أحد الأيام جاء وائل لمكتبي و طلب مني أن أستقبل أحد موظفي الفرع الثاني لتسليمه الميزانية بدلا عنه، لأن والده مريض جدا و يجب عليه اللحاق بالقطار إن أراد أن يصل في الوقت المناسب لرؤيته، لم أستطع الرفض لأنه صديقي و ألغيت موعد خروجي مع تِتريت، في حين أخبرني هو على أنه سيعلم الآنسة مروى بالتغيير الذي حصل.

- أكمل رجاءا يا سيد ليل.

- بعد خروج الجميع بقيت أنتظر العامل في مكتبي و بعد وقت قصير عاد وائل و أعطاني زجاجة عصير، قال أنها عربون شكر، و لكن و بعد إنهائي للعلبة، لم أستطع الشعور بشيء من حولي فقد فقدت الوعي و لم أستيقظ إلا على صوت مروى و عامل الأمن اللذان كانا يقفان بجانبي.

قاطعه أيُور:

- تقصد أن وائل قام بتخديرك و لكن لماذا؟

- اتهمتني حينها الآنسة مروى بالتسلل للشركة، و هددتني بالاتصال بالشرطة إن لم أشرح لها ما كنت أفعله هناك آنذاك، أخبرتها أن وائل طلب مني العمل بدلا عنه، مما اضطرها للاتصال به، جاء بعدها وائل و أنكر كل ما حدث و اتهمني بسرقة مبلغ40000 درهم من الخزنة، و رغم إنكاري لذلك لم يصدقني أي منهما و أخبراني أن لدي مهلة 6 ساعات حتى الصباح لأحظر المال قبل أن يتصلا بالشرطة.

التفتت تِتريت نحو مروى:

- هل هذا صحيح؟

لكن مروى لم تجبها.

ليكمل بعدها ليل:

- رغم أنني لم أرتكب أية سرقة، إلا أنني خفت كثيرا، ذهبت و أحضرت بعض المال الذي كنت قد جمعته لحفل الزفاف، و أضفته للمال الذي أعطتني إياه أمي و قدمته لهما مقابل التستر عن الأمر للحفاظ على وظيفتي، إلا أنهما أخلفا وعدهما و اتصلا بالشرطة بعد أن أخذا المال.

قاطعته مروى:

- كاذب هذا لم يحصل، (ثم التفتت نحو تِيلِيلا) يمكنك الاتصال بالشرطة حالا لن تجدي أي شكاية بخصوص هذا الأمر، لأن كل هذا من صنع خياله.

ابتسم ليل ابتسامة سخرية ثم قال:

- خيال؟ مهما كان خيالي خصبا لن يصل لإبداعكما أنت و وائل، فأكثر ما يزعجني هو أنني قد بقيت مختبئا لأكثر من 5 سنوات خوفا من ملاحقة الشرطة لي في قضية لا وجود لها أساسا.

- ماذا تعني؟

- أعني يا سيدتي المفتشة أن مروى و وائل لم يتصلا بالشرطة، فأنا و حين علمي بشكايتهما، توجهت مباشرة لمنزلي لأحزم حقيبتي و ركبت الحافلة و لم أعد أبدا للمنزل إلا متخفيا، لاسيما أن أمي قد أخبرتني أن عشية يوم رحيلي حضر رجلان من مركز الشرطة يسألان عني.

- لم أعد أفهم شيئا (علق الضابط مراد)، ألم تقل أنهما لم يسجلا أية شكاية فماذا أتى برجال الشرطة لمنزلك؟

- لا تستغرب يا سيدي، فهما لم يكونا شرطيين حقا فقد استأجرهما وائل و مروى ليتقمصا دور الشرطيين.

- أنت كاذب، ليس لديك أي دليل يثبت ما تقول.

- معك حق يا مروى، ليس لدي أي دليل لذلك، جئت اليوم ابتغاء انتزاع اعتراف من وائل و لكن للأسف لم أستطع مقابلته حتى.

- لابد أنك قتلته بعد أن أنكر كل ما قلته.

- يكفي، لا يحق لك توجيه التهمة له يا آنسة مروى دون دليل، كما أن إيجاد القاتل هو دورنا نحن لا أنتم و أعدك أننا سنجده.

ثم التفتت تتحدث مع الضابط مراد الذي كان بجانبها، بينما ران صمت مطبق في الغرفة، ليل و تِتريت كانا يتحدثان بلغة العيون و يعاتب كل منهما الآخر في هدوء، بينما جلست مروى واضعة وجهها بين كفيها تنتظر ما سيؤول له الأمر، أما أيُور فلم يستطع منع نفسه من التطفل على رجال الشرطة و لم يمنعه اعتراضهم من التجول و فحص الغرفة و الجثة، و أثناء قيامه بذلك وجد ما أثار دهشته...

دخل عمال المختبر الجنائي للغرفة باحثين عن المفتشة لتسليمها نتائج فحص البصمات، أخذها منهم أيُور بدعوى أنه مساعد المفتشة لينصرفوا بعد ذلك، انتهت تِيلِيلا لفعله:

- ماذا تفعله يا أيُور؟ هات الأوراق، أنت حقا متطفل.

- هناك شيء غريب في ملابس الجثة يا تِيلِيلا.

التفت نحوه تِيلِيلا و قد زالت عنها ملامح الغضب.

- ماذا تعني؟

- وجدت ورقة خضراء في الجيب الأمامي لسترة الضحية.

- و ماذا في ذلك؟ لابد أنها سقطت من وردة كان يضعها كزينة في جيبه.

- معك حق، لقد كان يضع وردة في جيبه أثناء الحفل، فقد لاحظت ذلك لكن الغريب هو لون الورقة، فهي لم تعد خضراء كما يجب إنما صار لونها قاتما و هذا ليس له سوى تفسير واحد ألا و هو...

- لقد فهمت، شكرا لك و لكن هلا تركتني أقوم بالباقي؟ فهذا دوري أنا لا أنت.

- حسنا أنا أريد فقط أن أخرج من هنا في أقرب وقت، فهذه الحفلة قد أتعبتني فعلا و لا زال أمامي عمل في الصباح الباكر.

- حسنا، لا مشكلة في مساعدتك، لكن من فضلك يا أيُور لا تتجاوز الحدود.

أخذت بعدها تتفحص نتائج البصمات التي كانت تشير بوضوح لكذب أحد الحضور.

- اسمعوني يا سادة بعد حصولي على نتائج فحص البصمات تبين لي شيئان غريبان، أولهما هو أن مقبض الباب الداخلي للغرفة قد مسح بشكل جيد لإخفاء البصمات عليه، فنحن لم نجد حتى بصمات القتيل نفسه و التي كان من المفترض تواجدها، ثانيا لقد تبين أن أحد الحضور هنا يكذب علينا بشكل واضح.

صعق الجميع بكلام المفتشة الأخير، من يا ترى تجرأ على الكذب الليلة.

- إنه أنت يا سيد ليل.

نظر الجميع لليل متسائلين عما كانت كذبته يا ترى.

- لقد أخبرتنا أنك لم تقابل السيد وائل و أنك بقيت تنتظره في الخارج طوال الوقت، أليس كذلك؟

- نعم.

- و بماذا تفسر إذا تواجد بصماتك على بعض من أثاث الغرفة و بالتحديد على أحد الكراسي.

صمت ليل للحظات قبل أن يجيبها:

- نعم معك حق لقد دخلت للغرفة، فبعد أن أحسست أن البرد بالخارج سيقضي علي قررت الدخول لمكتبه و انتظاره بالداخل، ولكن عند دخولي من النافذة، ارتطمت بأحد الكراسي فسقط أرضا، أخذته و أعدته لمكانه و خرجت بعدها لأني خفت أن يكون أحد قد سمع الضجة التي أحدثتها.

- كفاك مراوغة يا ليل، لقد وجدنا حقيبة في الحديقة تحتوي حبلا و سكينا و معدات أخرى.

أجابه الضابط مراد و هو يهم بتصفيده لقيادته لقسم الشرطة قبل أن تقاطعه تِيلِيلا قائلة:

- ما الذي تفعله بالضبط يا مراد؟

- سيدتي، من الجلي أنه القاتل، فكل الأدلة تشير لذلك.

- يكفي (قاطعته بنبرة غاضبة)، كان من الممكن أن نقبض عليه مباشرة لولا أن السيد أيُور قد أوضح أمرا غفلنا عنه جميعا.

التفتت جميع الأنظار نحو أيُور، متسائلة عن ما اكتشفه ذلك الصحفي الفضولي.

- أخبرهم يا أيُور ماذا اكتشفت.

ارتبك أيُور من فعل تِيلِيلا، فقد ظن أنها هي التي ستخبر الجميع، لكن سرعان ما استرد رباطة جأشه و أخد يتحدث بثبات و ثقة واضحين:

- اسمعوني يا سادة، بينما كنت أقوم بفحص ملابس الضحية وجدت أمرا غريبا، فقد كان جيب الضحية يحوي ورقة متساقطة من وردة.

قاطعته تِتريت:

- انه أمر طبيعي، فزوجي كان يضع وردة حمراء في جيب سترته.

- نعم يا سيدتي، لقد لاحظت ذلك أثناء الحفل، و لكن الغريب هو لون الوردة...

ثم صمت قليلا لإضفاء نوع من التشويق قبل أن يستطرد.

- فقد فقدت رونقها و اكتسبت لونا أقرب للأخضر القاتم جدا، و هذا لا يحدث إلا في حال التغير السريع في درجة الحرارة، أي و بكل بساطة بعد أن يتم تجميد الورقة في المجمد و إخراجها بعد ذلك.

كان الجميع منبهرا و مصدوما من كلام أيُور و هو يشرح.

- و بما أن الورقة كانت في جيب الضحية، هذا يعني شيئا واحدا، ألا و هو أن جثة القتيل وضعت في المجمد لدقائق أو ربما لساعات قبل أن تعلق هنا على السقف.

قاطعه أحد الضباط.

- و لماذا قد يفعل القاتل ذلك؟

- بكل بساطة، ليتلاعب بتقديرنا لوقت الوفاة، فكما تعلمون نحن

نعتمد على تصلب الجثة و ارتخائها لتحديد وقت الوفاة و ما قد يجهله بعضكم هو أن هاتان العمليتان ترتبطان أساسا بدرجة الحرارة، فإذا كانت منخفضة جدا كدرجة حرارة المجمد تتباطأ العمليتان، مما يؤدي إلى تغير في وقت الوفاة بساعة أو أكثر و ذلك حسب الوقت الذي بقيت فيه الجثة داخل المجمد.

لتقاطعه بعد ذلك تِيلِيلا:

- أي و بكل بساطة لم يعد بإمكاننا الجزم بوقت الوفاة، مما يعني أن جميع من في الحفل داخل دائرة الاتهام، لكن للأسف فقد أطلقنا سراح الجميع مما يصعب علينا عملية البحث.

وقفت مروى محتجة:

- لا يمكنكم اتهامنا، فلا أحد هنا له دافع لقتل وائل غير ليل، إنه القاتل، لا أفهم لِم لم تقبضوا عليه حتى الآن.

- من فضلك يا آنسة هدئي من روعك، فنحن نعلم جيدا كيف نقوم بعملنا، إضافة إلى أنه قد قمت بإرسال رجال الشرطة للتحري عن جميع من كان بالحفل، لنرى إن كان حقا لا أحد منهم يحمل ضغينة نحو الضحية.

كان أيُّور لا يزال يحوم حول الجثة كنسر جائع، فقد شعر أن هناك أمرا غريبا في ملابس الضحية لكنه لم يستطع تحديد ما هو، ما هي سوى بضع ثوان حتى وجد ضالته، اتجه مباشرة نحو تِيلِيلا و جرها بهدوء نحو الجثة قائلا:

- هناك شيء أريد منك رؤيته حالا.

- ماذا هناك؟ لقد صارت تصرفاتك مزعجة حقا.

- كفاك تذمرا و انظري.

ثم أشار لبقعة تكاد تكون غير مرئية على ملابس الضحية، انحنت

تِيلِيلا بحذر تشم البقعة، ثم التفتت نحو أيُور مصدومة:

- أكاد أجزم أنها بقعة من إحدى مستحضرات التجميل، فرائحتها تشبه رائحة أحمر الشفاه.

- حقا؟ و ما الذي جعل في رأيك بقعة من أحمر الشفاه على ملابس الضحية؟ لا أظنه من محبي التبرج.

- لا أعلم، إنه أمر محير حقا، من الأفضل أن آمر رجال المختبر أن يقوموا بتحليل المادة ليؤكدوا لنا ماهيتها.

- لقد كنت على وشك أن اطلب منك هذا.

ما هي إلا دقائق معدودة حتى حضر رجال المختبر و بدؤوا بأخذ العينات و تحليلها، و بعد خروج النتيجة كان كل من أيُور و تِيلِيلا واثقين من صحة فرضيتهما فقد كانت بقعة لأحمر شفاه و لكن لمن يا ترى؟

كان نوع المستحضر هو Bella10.

نادت المفتشة على الضابط مراد:

- اتصلوا بجميع النساء اللواتي كن بالحفل و اسألهن عن نوع أحمر الشفاه الذي كن يضعنه؟

- ماذا؟

- افعل ما أمرتك به و لا تناقشني.

أخذ مراد يفكر في أن المفتشة قد جنت تماما، فهي قد تركت المتهم الأصلي و بدأت تسأل عن نوع أحمر الشفاه، إن العمل مع النساء حقا متعب، فهن لا يمتلكن الموهبة أو الحدس، و لكن ليس علي سوى الاستجابة لأوامرها.

دخل أحد الضباط و توجه مباشرة نحو لمفتشة ليسلمها ظرفا قائلا:

- لقد وجدنا هذا الظرف بين أغراض الضحية، يبدو أن أحدهم كان يهدده بما في داخله.

ثم انسحب ليساعد زملاءه في عملية البحث، همت تِيلِيلا بفتح الظرف لتفاجأ بتعليق أيُور من وراءها:

- يا إلهي، هذا يعطي كليهما سببا لارتكاب الجريمة.

رمقته بنظرة غاضبة.

- لا تتسلل من ورائي في كل مرة لقد أفزعتني، إضافة إلا أنه لا يحق لك التلصص على الأدلة، لأنك واحد من المتهمين.

- كفاك مزاحا، يبدو أننا قد عدنا للبداية من جديد، فبعد أن حصرتم دائرة المتهمين في أنا و ليل، هاهي الآنسة مروى و تِتريت تظهران في الصورة.

- سيدة تِتريت، هل يمكنك إخبارنا من فضلك عن نوع أحمر الشفاه الذي تضعينه؟

استغربت تِتريت من سؤال المفتشة و عن علاقته بما يحدث، لكنها أجابت رغم دهشتها:

- إنه JUN La rose12.

- و أنت يا آنسة مروى ؟

- إنه Bella10.

نظر أيُور و تِيلِيلا لبعضهما البعض و كأنهما يفكران في نفس الجملة، {لقد وجدنا ضالتنا}.

- آنسة مروى كيف تفسرين وصول جزء من أحمر شفاهك على ملابس الضحية؟

صعقت مروى من كلام المفتشة و انهمرت الدموع من عينيها تلقائيا:

- لا أفهم ما تتحدثين عنه يا سيدتي، فأنا لم ألتق وائل اليوم أبدا، كما أن هذه هي أول مرة أضع فيها أحمر الشفاه هذا، أقسم لك.

- و بماذا تفسرين هذا؟

ثم حملت الصور التي كانت في الظرف على مرأى من الجميع، رفع ليل عينيه ليجد صور تظهر مروى و وائل جالسين في أحد المطاعم في حالات تتخطى علاقة الصداقة بمراحل، و قبل أن تبرر مروى ما رآه الجميع فوجئت بتِتريت و قد انقضت على شعرها، فما كان من رجال الشرطة إلا التدخل لإنقاذ مروى من بين براثن تِتريت، بينما انحنى أيُّور هامسا لتِيلِيلا:

- إنها تستحق ذلك.

انهارت تِتريت بعدها على الأرض تنوح حظها، فلم يكفها أن زوجها قد قتل و لكن توضح لها أن هذا الأخير كان يخونها مع أعز صديقاتها، لم يستطع ليل مقاومة بكائها، فلم يشعر بنفسه حتى كان يحملها من ذراعيها هو و أيُور و يحاولان إجلاسها على الكنبة لترتاح.

- يؤسفني يا سيداتي أن أخبركن أنه قد صار لكل منكما سبب لقتل الضحية...

قاطعها ليل:

- أتقصدين أن تِتريت أيضا صارت متهمة في هذه الجريمة و لكن كيف ذلك؟

لتكمل تِيلِيلا بعدها:

- بثبوت خيانة وائل، صار واضحا أن تِتريت قد تقتله بسبب خيانته نفسها، أما مروى، فأعلمك سيدي أن أغلب العلاقات المشبوهة تنتهي بجريمة، لكن أظن أني سأحصر المتهمين في...

تركها أيُور تتحدث مع المتهمين في الغرفة بينما انسحب هو من المكتب

نحو قاعة الحفل و كلمات مروى تتردد في ذهنه، "لقد سلمت على تِتريت بينما كانت تهم بإخراج القنينات الفارغة بعربة الطعام"، " أنا لم ألتق وائل"، " هذه أول مرة أضع فيها أحمر الشفاه هذا"، انحنى على سجادة القاعة و أخذ يتفحصها بتمعن، و يأخذ بعض الصور لها، ثم توجه بعدها للساحة تفحص السيارات الموجودة و آثار العجلات التي بدت له غريبة.

جلس بعدها على كرسي الحديقة يستجمع أفكاره التي كانت مبعثرة كقطع "البازل"، أغمض عينيه و أخذ يرتب الصور على النحو الذي يبدو له أكثر منطقية و ما هي إلا بضع دقائق حتى أحس أن كل شيء صار واضحا.

- إنه ذكاء فعلا. (همهم مبتسما)

ثم دخل للمنزل متوجها مباشرة للمكتب، فتح الباب ليجد تِيلِيلا تتحدث مع أحد الضباط، اقترب منهما فوجدهما يتحدثان عن قائمة أحمر شفاه الضيفات الذي طلبت منه أن يقوم بإعدادها:

- ماذا هناك؟ هل من جديد؟

استدارت تِيلِيلا لتجد أيُور بجانبها، أشارت للضابط بالانصراف ثم أجابته:

- استعد للصدمة يا عزيزي، يبدو أن لا أحد من الضيفات، كانت تستعمل Bella10 إلا مروى، بدا لي الأمر غريبا فأمرت هذا الضابط ليتحرى عن الأمر و خمن ماذا حصل؟

- ماذا؟

- يبدو أنها قطعة لا تتواجد في الأسواق، فقد صنعت بطلب خاص.

- من مروى؟

- و هنا المفاجأة الثانية، بل بأمر من وائل، حتى الاسم من اختياره،

ف"بيلا" يقصد بها الجميلة أما 10 فيرمز للمدة التي مضت على أول لقاء لهما.

- يا له من رومانسي، و الآن ماذا تنوين فعله؟

- أنوي القبض عليها طبعا، فكل الأدلة تشير إليها، و لكن أين اختفيت أنت كل هذا الوقت؟

- كنت أقوم بالعمل بدلا عنك يا عزيزتي.

- ماذا تقصد؟

- كنت أفك خيوط هذه الجريمة التي كادت تفقدني حريتي.

- لا داعي لذلك فقد أخبرتك أننا وجدنا المجرمة.

- لا يا صديقتي فالأمر أصعب من ذلك بكثير، فحتى لو كانت كل الدلائل تشير إليها، يبقى لغز تبريد الجثة و إخراجها من المطبخ و تعليقها في الغرفة أمرا محيرا و لاسيما إن فكرنا أن القاتلة امرأة.

- أتود القول أن القاتل رجل، لأنه الوحيد القادر على حمل الجثة و نقلها ثم تعليقها، لكن إن كان الأمر كذلك كيف تفسر آثار أحمر الشفاه على الضحية؟ هل يمكن أن يكون القاتل رجلا شاذا يا ترى؟

ابتسم أيُور ساخرا من كلامها، أمسك بكتفها و أدارها نحو المتهمين هامسا:

- لا يا عزيزتي، القاتل واحد من هؤلاء.

استدارت نحوه و قد بدأ الغضب يستحوذ عليها:

- أووف، لقد بدأت هذه الجريمة تثير أعصابي فعلا، الرجل الوحيد هنا هو ليل، نعم معك حق، كل الأدلة تشير إليه و لكن كيف وصل أحمر الشفاه لملابس الضحية و مروى تقول أنها لم تقابل وائل البتة؟ و إن كانت بريئة لماذا تكذب بشأن لقائهما؟

ثم اتسعت عيناها فجأة وهي تنظر لوائل، لتكمل بعدها:

- هل من الممكن أن تكون هي و ليل شريكان؟ نعم لماذا لم نفكر في هذه النظرية؟ لقد أرادا الانتقام منه و لكل منهما أسبابه الخاصة، ربما تكون قد استدرجته و قام ليل بالباقي، هذا قد يفسر كل شيء أليس كذلك؟ ما رأيك يا أيُور؟

ابتسم أيُور، رفع رأسه نحو المتهمين:

- أظن أن وقت العرض قد حان، فلنناقش كل النظريات علنا لنشاهد ردة فعل كل من ضيوفنا الأعزاء.

جمع مراد رجال الشرطة في قاعة الحفل إضافة للمتهمين، تنفيذا لأوامر المفتشة تِيلِيلا و أيُور، اللذان صارا يثيران حنقه فهما حسب ظنه يماطلان و لا يريدان الاستسلام بأن ليل هو القاتل.

دخل أيُور و تِيلِيلا قاعة الحفل ليجدا الجميع مجتمعين بها، لتستهل تِيلِيلا حديثها قائلة:

- استمعوا إلي يا سادة، لقد كانت قضية اليوم محيرة جدا و كانت الأدلة متشابكة و كل منها تؤدي إلى هدف مختلف تماما عن الآخر، فبعد نقاش طويل، اكتشفنا الآتي، أن القاتلة امرأة لأننا وجدنا على ملابس الضحية آثارا لأحمر الشفاه...

ثم توقفت برهة عن الحديث قبل أن تستطرد.

- ولكن ما آثار حيرتي هو كيف استطاعت امرأة أن تعلق الضحية، فما كان لي سوى أن أستنتج أن للمجرم شريكا، شريكا رجلا على الأرجح، هو الذي ساعدها على ذلك...

كان كل رجال الشرطة يستمعون للمفتشة بتأمل و إعجاب شديدين، أما مروى فلم تتوقف عن البكاء و النحيب منذ أن اكتشفت علاقتها بالضحية، في حين كانت تِتريت و ليل يصغيان في صمت و هدوء

تامين.

- و بعد تحليلنا لأحمر الشفاه وجدنا أنه نسخة وحيدة لا ثاني لها، وقد صنع خصيصا لك يا آنسة مروى، و بذلك أنا أوجه لك و بشكل رسمي...

قاطعها أيُور:

- استمعوا إلي يا سادة...

التفت تِيلِيلا نحوه بنظرات غاضبة:

- ماذا تفعل؟

- أجنبك المشاكل.

- أتحاول أن تستهزئ بي، إذ لم تتوقف حالا سآمر الرجال بالقبض عليك، بتهمة عرقلة التحقيق.

لكن أيُور لم يكترث لها و أكمل حديثه:

- إن الأشياء التي يجب أن تستحود على انتباهنا في...

الا أن أحد رجال الشرطة قاطعه، محاولا وضع الأصفاد على يديه بأمر من المفتشة، دفعه أيُور بقوة و توجه نحو تِيلِيلا، لكنه فوجيء باثنين آخرين يعترضان طريقه، حاول الإفلات من قبضتهما لكن عبثا:

- تِيلِيلا، يكفي مزاحا، أنا أحاول المساعدة فقط، فلدي أدلة قاطعة تدين و بشدة القاتل و تجعل هذه الليلة الطويلة تنتهي.

تأملته تِيلِيلا في صمت محاولة اتخاد قرارا في أمره، فما كان منها إلا أن أمرت الرجال بتركه، عدّل أيُور ملابسه وهو يحاول الإبقاء على ما بقي من هيبته، ثم التفت ليكمل حديثه:

- كل ما قلته يا تِيلِيلا، كان من الممكن أن يكون صحيحا لولا إيجادي لأدلة أخرى تثبت نظرية ثالثة لم نفكر بها و تدين مجرما لم نضعه في

دائرة الاتهام منذ البداية.

توقفت مروى عن البكاء و اتسعت حدقتي كل من المتهمين و رجال الشرطة و هم ينصتون بتمعن لكلام الصحفي الفضولي.

- لا داعي لتعجبكم، القاتل الحقيقي أو بالأحرى القاتلة التي كادت تفلت بفعلتها الشنعاء هي أنت يا سيدة تِتريت.

انتفضت تِتريت لتدافع عن نفسها، لكن ليل سبقها قائلا:

- ماذا تقصد؟ مستحيل أن تكون تِتريت هي القاتلة، فهي لا يمكنها فعل شيء كهذا.

ابتسم أيُور، ابتسامة شفقة ثم قال:

- يكفي يا ليل، ألا ترى أنها كانت تراك على شفا الهاوية و لم تتدخل، فرغم علمها ببراءتك تركتك تواجه مصيرك و لولا تدخلي منذ البداية لكنت المتهم الوحيد و لكنت في السجن الآن، يجب على الانسان أن يعلم متى يتوقف عن حب أحدهم.

كان وقع كلام أيُور كالماء البارد على ليل الذي استسلم و جلس في هدوء يتأمل حقيقته، ليستطرد أيُور قائلا:

- كان من الواجب علينا أن نشك في الزوجة أولا ولكن بسبب توقيت الوفاة استبعدناها، و حتى في حين علمنا بتغير وقت الجريمة، انشغلنا بأمر احمر الشفاه و نسينا أمرها تماما.

- يكفي يا سيدي فأنا لست بقاتلة، إضافة لهذا لا يمكنك اتهامي دون دليل، فإن لم تكن قادرا على تقديم واحد فتراجع عن كلامك و أضمن لك أني لن أحاكمك بتهمة تشويه السمعة و التي سبق أن تذوقت مرارتها من قبل.

بقيت تِيلِيلا صامتة و هي تفكر أن كلام تِتريت صحيح، فإن لم يقدم دليلا، فيمكنها بسهولة ادخاله السجن بمحاكمة لا تتعدى الجلسة

الواحدة.

ابتسم أيُور و استجمع ثقته:

- لا تقلقي يا سيدتي، فلدي كل الأدلة التي تدينك و ترمي بك في السجن مدة 20 عاما على الأقل، بتهمة القتل العمد مع سبق الإصرار و الترصد.

ثم توقف لحظة عن الحديث كي يضفي على كلامه مزيدا من الإثارة.

- استمعوا إلي يا سادة، سأفصل لكم طريقة الجريمة، فمفتاح لغز قضيتنا اليوم هي عربة الطعام و سقف الغرفة.

قاطعه مراد متهكما:

- هل تريد القول أنها طلبت منه الصعود على عربة الطعام لتغيير المصباح في سقف الغرفة ثم دفعتها ليدخل رأسه في حلقة الحبل ثم سحبت العربة ليموت مشنوقا؟

تجاهله أيُور ليكمل حديثه:

- أولا: استقبلت السيدة تِتريت الضيوف رفقة زوجها و أمضت معنا سهرة ممتعة، لكن و بعد ساعات من الاحتفال، توجهت هي و زوجها إلى المطبخ لإحضار شيء ما، فقد كان ما يميز الحفلة هو خدمتهما للضيوف، فقد لاحظت عدم تواجد أي من الخدم في المنزل اليوم، رغم معرفتي أن السيد وائل يستأجر العديد منهم في منزله، و لابد أن هذه فكرة السيدة.

ثانيا: و بعد دخولهما للمطبخ قامت السيدة بتخديره و خنقه، وضعته داخل غرفة التبريد التي تتواجد في المطبخ و التي يحتفظون فيها باللحوم و الخضار.

قاطعه مراد:

- ولكننا لم نجد أية غرفة تبريد في المطبخ.

- إنها خلف خزانة الشراب، فهذه الأخيرة تشكل بابا للغرفة، لقد وجدته صدفة عندما كنت ألقي نظرة على المطبخ.

- غرفة سرية إذا. (همهم مراد)

- ليست بالمعنى الحقيقي للسرية فلابد أن الأصدقاء المقربين و الخدم يعلمون بأمرها، أليس كذلك يا آنسة مروى؟

- نعم، أظن ذلك، فأنا أعلم بوجودها، لطالما كانت موضوع حديث وائل.

- حسنا إذن لنكمل التفاصيل، بعد قتلك للضحية و وضعه في الغرفة، خرجتي لخدمة الضيوف و كأن شيئا لم يكن، بعد ذلك جاءت الآنسة مروى متأخرة قليلا عن موعد الحفل، و عند دخولها صادفتك حسب قولها و أنت تدفعين العربة المليئة بالقنينات الفارغة، سلمتي عليها ثم استأذنتي لتخرجي العربة.

ثم التفت نحو مروى.

- كم استغرق غياب السيدة تِتريت يا آنسة؟

- حوالي الربع ساعة تقريبا.

- ربع ساعة هو وقت كاف لإكمال خطتك الخبيثة، فعربة الطعام لم تكن تحتوي فقط على القنينات الفارغة إنما كذلك تحتوي على ما لم يشاهده الجميع، لقد كانت تحمل جثة القتيل.

انصدم الجميع من كلامه و لم تستطع تِيلِيلا إخفاء دهشتها قائلة:

- و كيف لم يلاحظ أحد الجثة؟

- هل شاهدتي عربة الطعام؟

- لا.

ناولها الصور التي التقطها لعربة الطعام ثم استطرد:

- كما ترين عربة الطعام في هذا المنزل كبيرة تشبه عربات الطعام في الفنادق، فهي تتكون من طبقتين، و فارق بينهما كبير يتسع لإخفاء جثة، إضافة إلى أنها تتميز بغطاء ينسدل على الطبقة السفلية منها و يخفيها تماما، مما سهل عليها إخفاء جسم وائل بسهولة عن أنظار الضيوف.

- يا له من خيال خصب يليق بصحفي حقا، لكن للأسف أنا لم أكن أحمل سوى القوارير الفارغة و لم أحمل أي جثة، إلا إن كنت أنت من ساعدتني بوضعها و تشهد بذلك.

- لا يا سيدتي أنا لم أساعدك بوضعها و لكن لدي دليل يؤكد فعلتك، لقد طلبت من مراد أن يجمعكم في هذه الغرفة بالظبط كي أبرهن لك على صحة كلامي.

ثم انحنى على الأرض:

- أنظرو يا سادة إلى هذه الآثار على السجادة.

حدا كل من تِيلِيلا و مراد حدوه و انحنوا ليقتربوا من الآثار، همست تِيلِيلا أنها آثار عجلات:

- أحسنت يا تِيلِيلا إنها آثار عجلات، و بالضبط إنها آثار عجلات عربة الطعام.

- والآن انظروا لهذه الآثار هنا.

ثم أشار لمكان آخر من السجادة.

همهم مراد:

- إنها آثار عجلات أيضا.

- نعم إنها كذلك و لكن هل تلاحظون أي فرق؟

استغرقت تِيلِيلا في التأمل و المقارنة بين الآثار قبل أن تعلق:

- إنه عمق الآثار، فالآثار الأولى أكثر عمقا من الثانية و لكن لماذا؟

- ملاحظة رائعة يا تِيلِيلا، و الآن اسمحي لي أن أفسر لك السبب، والذي ببساطة هو ثقل الحمولة، ففي الآثار الأقل عمقا كانت الحمولة على العربة أخف وزنا و هي القنينات و الطعام، بينما سبب الآثار الأكثر عمقا هي حمولة أكثر وزنا و التي لا يمكن أن يسببها سوى جسم يتجاوز بكثير 60 كيلوغرام، و كي نثبت ذلك أرجو منك يا تِيلِيلا أن تأمري أحد الرجال بإحضار عربة الطعام.

التفتت تِيلِيلا نحو أحد الرجال :

- افعلو ما قاله.

و ما هي إلا بضع ثوان حتى حضر الرجل و هو يدفع عربة الطعام نفسها التي كانت في الصورة.

- و الآن ماذا؟

- والآن سأثبت نظريتي، (ثم التفت نحو مراد) أنت تبدو لي في نفس وزن الضحية و طوله هل يمكنك الصعود على العربة.

استغرب مراد من قوله لكنه نفذ طلبه، بعد أن أشارت له تِيلِيلا أن ينفذ ما قاله، قام أيُور بتغطيته، ثم دفعه في أرجاء القاعة.

- حسنا يمكنك النزول الآن.

ثم أوحى لتِيلِيلا لتتقدم نحوه، أشار لها بيده نحو الآثار التي صنعها على الأرض بعربة الطعام.

- ألا تشبه هذه الآثار التي رأيناها قبل قليلا، أليست تقريبا بنفس العمق.

- بلى إنها كذلك.

- و الآن وبعد أن أثبتنا نظرية الجثة المحمولة على العربة، سنكون قد فهمنا نصف سيناريو الجريمة و لم يبق لنا سوى النصف الآخر.

- و هو النصف الأصعب، فكيف لامرأة أن تحمل جثة رجل و تعلقه بسقف غرفة وحدها؟

- سأفسر لكم هذا أيضا، فهي لم تفعل هذا وحدها يا تِيلِيلا.

- أتقصد أن لها شريكا؟

- نعم شريك آلي.

- ماذا تقصد؟

- إنها سيارتها، سأشرح لك، فبعد دخولها للمكتب أخرجت الجثة من عربة الطعام و هذا ما لم يتطلب منها أي مجهود، بحكم أن غرفة المكتب تتواجد بالدور السفلي من المنزل، قامت بتمرير حبل طويل من خلال العمود في السقف، ثم مررت حلقة صنعتها بطرف الحبل الأول على عنق الضحية، أما الطرف الآخر ، فقد أخرجته من نافذة المكتب المطلة على الحديقة و قامت بربطه بسيارتها، ثم خرجت و قامت بإدارة محرك السيارة و تقدمت بها للأمام بضعة أمتار مما أدى إلى رفع الجثة و تعليقها بالسقف، فما كان عليها بعدها سوى أن تقطع الحبل و تعيد السيارة لمكانها، و بما أن كل هذه الأحداث كانت تدور في الجهة الأخرى للمنزل فليل لم يرى شيئا على الأغلب بحكم أن غرفة المكتب تتميز بواجهتين و نافذتين مختلفتي الاتجاه، لتعود بعدها تِتريت للحفل و كأن شيء لم يكن.

ران صمت مطبق فالغرفة قبل أن تكسره تِتريت قائلة:

- حتى لو افترضنا أن كلامك صحيح، الجميع يستطيع تنفيد هذه الخطة بحذافيرها، كما أنني أملك دليلا فزوجي بعث لي رسالة بعد عودتي بساعات.

ثم أضافت تِيلِيلا:

- تبدو تفاصيل الخطة التي ذكرتها متناسقة جدا، إلا أن الجزء الخاص بقطع الحبل و إعادة السيارة به خلل معين، فإن قامت بقطع الحبل ستسقط الجثة، فهي لن تملك القوة لتقطع الحبل بيد و تمسك الجثة باليد الأخرى.

- كلامك صحيح يا تِيلِيلا، إلا أنها استعملت حيلة معينة في ذلك، فكل ما يجب عليها فعله هو ربط حبل جديد حول عنق الضحية و تعليقه على العمود، ثم فك الحبل القديم من عنق الضحية ثم من السيارة و رميه بعيدا، و لأثبات ذلك يجب علينا فقط تفقد عنق الضحية فلابد أننا سنجد أثر مزدوجا للحبل، أما بالنسبة للرسالة فهي لا تعد دليلا، يمكنك بكل بساطة أخذ هاتفه لإرسالها ثم إرجاعه فيما بعد في غفلة من الجميع.

بقي الجميع مذهولا من الدقة التي كان يروي بها أيُور تفاصيل الجريمة، و كيف كان يجد لكل تساؤل جوابا يقنع به كل من حوله، ولكن تِتريت لم تتوان عن الدفاع عن نفسها حتى آخر رمق:

- ولكن كل ما قلته لا يتبث أنني القاتلة، فكما قلت، الجميع يستطيع تنفيد هذه الخطة.

- كفاك مناورة يا تِتريت، فإضافة إلى أن لا أحد كان بإمكانه التسلل للمطبخ و استعمال العربة لإخراج الجثة، فأنا أملك دليلا يثبث اتهامي لك و يفسر تواجد أثر أحمر الشفاه على ملابس الضحية.

قاطعته تِيلِيلا:

- ألم نقل أن مصدر الأثر هي الآنسة مروى؟

- لا يا عزيزتي فقد اكتشفت أن مروى لا علاقة لها بالأمر، بل أحمر الشفاه وصل لملابس الضحية عن طريق زوجته نفسها.

- كيف ذلك؟

- يبدو أنه في وقت استقبال تِتريت لمروى و عناقها لها، التصق بعض من أثار أحمر الشفاه على ملابسها، و الذي انتقل إلى ملابس الضحية حين حاولت حمله لاخراجه من العربة، تفحصي ملابسك ياسيدة تِتريت هناك أثر لأحمر الشفاه على كتفك الأيمن.

التفتت تِتريت بسرعة تتفقد ملابسها و ما إن فعلت حتى صعقت بالنتيجة، اندفع كل من تِيلِيلا و مراد لتفقد ملابس تِتريت بدورهم. ثم أشارت تِيلِيلا لمراد قائلة:

- خد عينة من هذا الأثر و تأكد من تطابقه للعينة الموجودة على ملابس الضحية، و تأكد كذلك من تواجد بعض من أثار خيوط ثوبها على أحمر الشفاه.

- حاضر سيدتي.

سارع مراد لأخد عينة من ملابس تِتريت، لكنها اعترضت ثم تراجعت للجلوس على أحد الكراسي، لتطلق بعدها ضحكة هستيرية تردد صداها في كل أرجاء الغرفة، لم يقطعها سوى دموع ألم بدأت بالإنهمار دون أي كلمة، لتستجمع بعدها قواها:

- نعم، قتلته و لن أندم يوم على ذلك، بل أنا نادمة لأنني لم أقتله منذ البداية، فيكفيني أني تجاوزت حبي لليل و قبلت الزواج به، و يكفيني أني علمت بخيانته و قبلت بها، ولكن ما لا أتحمله هو ما اكتشفته...

توقفت بعدها لبضع ثوان لاستجماع نفسها ثم استطردت:

- لقد سمعته يتحدث على الهاتف مع أحد، لم أدرك أنه مروى حتى الآن، سمعته يقول أنه لن يسمح لليل أن يعود لتدمير حياتهما و أنه كما دبر له مكيدة سابقا مستعد ليعيد الكرة، فاستنتجت أنه هو من

أرسل به بعيدا، سمعته يقول لها أن سبب فعله ذلك هو حبه لي و أي حب هذا، فلا يكفيه أنه دمر حياته و حياتي معه، بل و صارت حياتي معه جحيما، كل يوم من أيامي كانت قطعة من العذاب، تجريح و إهانه و أشياء أخرى لا يمكنني البوح بها أمامكم.

- هل كنت تنوين إلصاق التهمة بمروى لتنتقمي منها؟

- لا يا سيدي فلم أعلم أنها هي عشيقته المجهولة و لم أعلم أنها من دبرت الخطة معه ضد ليل، فقد اعتبرتها صديقة لآخر ساعات هذا اليوم، لقد كنت أنوي جعلها انتحارا، و قد تأكدت من وضع كرسي تحت قدميه لكنني فوجئت بعدم تواجده عند اكتشافي للجثة و لكن بعد حديث ليل فهمت كل شيء، يبدو أنه اصطدم بالكرسي الذي وضعته فأعاده لمكانه ظنا منه أنه هو الذي زحزحه من مكانه.

ثم التفتت نحو ليل:

- آه فقط يا ليل لو أنك لم تأت ذلك اليوم للشركة، لو أنك لم تكن بتلك اللطافة، لو أنك لم تحبني، لو أنني لم أعشقك بجنون، لكنت الآن سعيدا بحياتك و لكنت أنا أسعد، لكن ماذا تقول للقدر؟ هناك أشياء لا نتحكم بها.

وضع رجال الشرطة الأصفاد على يدي تِتريت و هموا بإخراجها من القاعة، لكن توقفوا حين سمعوا نداء ليل:

- تِتريت!

التفتت تِتريت و قد ملأت الدموع عينيها، ليستطرد بعدها:

- سأنتظرك مهما كلفني الأمر.

نظرت تِتريت لرجال الشرطة باستعطاف، ثم توجهت نحو ليل، أمسكت بيده مانحة إياه خاتم خطوبتهما الذي لطالما احتفظت به ثم

قالت:

- لا ترتكب الخطأ نفسه يا ليل (أراد مقاطعتها لكنها لم تسمح له و أكملت) انساني من فضلك، فيكفي ما عانيته لحد الآن، ابدأ حياة جديدة، سمعت أن لك طفلة جميلة، كرس حياتك لها و اترك الماضي يرحل بسلام، لا داعي لتشبتك بآمال تعلم أنها أوهن من خيط العنكبوت.

ثم خرجت من القاعة رفقة رجال الشرطة تاركة وراءها ماضيا براقا من الخارج، متهاويا تماما من الداخل.

****

عاد ليل إلى المنزل و دخل غرفته دون ان ينبس ببنت شفة، و لأول مرة منذ زمن بعيد غرق في نوم عميق، و كأنه و لأول مرة منذ خمس سنوات استطاع أن يشعر بالأمان، فقد مات جلاده و لم يكن مضطرا لثلويث يده بدمه، حقا صدق من قال: "التوفيق هو أن يمنعك الله من الشر و أنت تسعى إليه و يدفعك للخير دفعا حتى تسعى إليه"، رغم أنه شعر بالأسف الشديد لما آلت اليه حال تِتريت.

مضت بضعة شهور على الحادث، استطاع خلالها ليل إرجاع طفلته لأحضانه مرة أخرى، كما أنه استطاع إيجاد عمل بدوام كامل في أحد المقاهي في المدينة التي تقطن بها عائلته، لم يكن يدر عليه دخلا كبيرا، لكن كان ذلك أفضل له و لطفلته، فوالدته كانت الوحيدة التي قد يؤمنها على صغيرته حياة، إضافة إلى أنه لم يستطع إيجاد عمل يناسب شهادته، فغيابه لخمس سنوات شكل ثغرة في ملف عمله و جعلت معظم الشركات ترفض توظيفه. في أحد الأيام و بينما كان يمسح طاولة أحد الزبائن فوجئ حين ناداه هذا الأخير باسمه:

- ليل أليس كذلك؟

رفع ليل رأسه متسائلا عن السائل، ليجد وجهه مألوفا جدا.

- ألا تتذكرني؟ أنا أيُور، الصحفي الذي حل قضية القتل.

و فجأة تذكر أحداث تلك الليلة المشؤومة، أحس بخدر في قدميه، و رمى بجسده المتهاوي على الكرسي .

- يبدو أنك تذكرتني، كما يبدو أنك بدأت حياة عملية جديدة.

استعاد ليل تركيزه بعد فترة ليرد متهكما:

- ليست بالحياة الرغيدة لكنها تكفيني، و الآن سيدي ماذا تطلب؟

- كأسين من الشاي بالنعناع من فضلك.

استغرب ليل :

- هل تنتظر أحدا أخر؟

ابتسم أيُور:

- الأول لي و الثاني لك، أريد أن أتحدث معك بموضوع مهم.

انصرف ليل لإحضار الكأسين و هو يتساءل عن الموضوع الذي قد يجمعه بهذا الغريب.

بعد دقائق معدودة أحضر ليل الطلب و جلس أمام الصحفي:

- و الآن ماذا؟

- اسمعني يا ليل لن أطيل عليك، فكما تعلم أنا أعمل صحفيا، الكتابة هي حبي الأول و كنت أحلم منذ زمن طويل أن أكتب كتابا ولكنني لم أجد القصة التي تستهويني و تدفعني لتحقيق هذا الحلم، لكن بعد أن سمعت ما حدث لك أيقنت أنك أنت بطل قصتي التي لابد للناس أن يتعرفو عليها، أتمنى من كل قلبي أن أكتب قصة حياتك، فهل تسمح لي.

بقي ليل صامتا لبرهة ليجيب أخيرا.

- لو كان غيرك من طلب هذا لرفضت بشكل قطعي لكن لك علي جميل، أريد أن ارده بأسرع ما يكون، فأنا لا أتحمل أن أبقى مدينا لأحد.

- هل أفهم من كلامك أنك موافق؟

نهض ليل مبتسما و أحنى رأسه موافقا، ثم انصرف لإكمال عمله.

النهاية

الفهرس

إهداء

شكر خاص

مقدمة المؤلف

الفصل الأول

الفصل الثاني

الفصل الثالث

Edited with the trial version of
Foxit Advanced PDF Editor
To remove this notice, visit:
www.foxitsoftware.com/shopping

رواية

النّجُومُ جَمِيلَة.. فَقَطْ مِنْ بَعِيدْ

" كنت صحفي في بداياتي، حين التقيت بذلك الشاب الذي غيرت قصته رؤيتي للعالم و جعلني أتوسل له لكتابتها، رغم علمي أن أغلب الناس لا يفضلون هذا النوع من الروايات و يميلون للروايات الرومنسية أو العلمية، أكثر من الدراما الإجتماعية و القصص البوليسية، لكن لا أهتم كثيرا بعدد القراء أو بكمية المعجبين، و لا أريد أن يعانقني الناس و يسلموا علي في الشارع حين يلتقون بي و يتعرفون علي، و لا أهتم أن يحب الناس سطوري و أسلوبي البسيط أو أن يقتبسوا كلماتي في حواراتهم، لكن أريد أن يفهم أولائك المتفائلون جدا، أن الواقع ليس عالما محاطا بالورود كما يظن البعض و لا غابة متوحشة كما يظن البعض الآخر بل هو أعقد من ذلك بكثير، الوصف الوحيد الذي أستطيع أن أقرنه به، هو أنه لعبة "بازل" ضخمة، تتعرف عليه بتجميع الصور مع بعضها البعض. روايتي هذه ليست إلا صورة وحيدة، قد يغفلها الكثير و قد يظنها أولائك المتفائلون مبالغ بها و ربما مختلقة، أبشرك عزيزي القارئ عزيزتي القارئة، أن روايتي هذه مجرد صورة بسيطة لما قد يقوم به الإنسان ليحقق ذاته، التشاؤم و التفاؤل وجهان لعملة واحدة، لكن الواقعية هي التمكن من الجمع بين الوجهين في آن واحد. أحببت أن أشارككم حكاية هذا الشاب، الذي أستطيع أن أراه في و في كل من أعرف، قصتي هذه قد تحب وجهة نظرها و قد تكرهها ولكن لن تستطيع إنكارها. "

وجدان سكيني